تمهيد فى النظرية الاجتماعية

تطورها ونماذجها الكبرى

تأليف

جراهام كينلوتش

وترجمة

دكتور محمد سعيد فرح

أستاذ علم الاجتماع

كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠١

هذه ترجمة عن الانجليزية لكتاب

Graham C. Kinloch
Sociological Theory
Its Development and Major Pardigms

مقدمة المترجم

لقد أقدمت على ترجمة هذا الكتاب لشعوري بعد فترة تزيد عن ١٥ عاماً فى تدريس مقرر النظرية الاجتماعية أن الطلاب كثيراً ما يشعرون بالإغتراب أثناء محاضرات النظرية الاجتماعية. وأن ثمة غموضاً وصعوبة فى الكثير مما يكتب أو يترجم للطلاب العرب عن النظرية الاجتماعية، رغم اعتماد هذا المقرر على مقررات ثلاثة هى - المدخل إلى علم الاجتماع وتاريخ الفكر الاجتماعى ومناهج البحث الاجتماعى - تدرس فى فرق دراسية سابقة.

وقد وافقنى على هذا الشعور الأخ محمد الحداد عضو هيئة التدريس بقسم الاجتماع بجامعة صنعاء. الذى قدم مشكوراً النسخة الانجليزية لهذا الكتاب لقراءتها، وما أن انتهيت من قراءة الكتاب حتى قررت الاعتماد عليه فى تدريس هذا المقرر فى العام الجامعى ٨٦/٨٥ بجامعة صنعاء، وبدأت فى الترجمة وانتهيت منها أثناء العمل باليمن، ثم راجعتها مرة أخرى فى عام ١٩٨٩ تمهيداً للنشر.

وعندما نترجم هذا الكتاب الذى يعرض فى يسر جهد مجموعة من المفكرين الاوربيين والامريكيين نجد أن هذا العمل يتميز بالوضوح فى عرض أعمال أربعة وعشرين منظراً من أشهر المنظرين الذى ساهموا فى إثراء النظرية الاجتماعية. كما أهتم المؤلف بتحليل العوامل التى تفاعلت وأدت بكل منظر إلى الإيمان بنموذج اجتماعى معين ورفض نموذج اجتماعى آخر، وقد أكد المؤلف أن التنشئة الاجتماعية الاسرية والمناهج التعليمية والقراءات الموجهة وغير الموجهه والمناخ السياسى والاجتماعى والثقافى السائد - أو بعبارة موجزة البيئة الاجتماعية -، كلها عوامل تؤثر على أفكار المنظر ومن ثم على صياغة النموذج الاجتماعى.

وكان مدخل المؤلف فى عرض الجذور الاجتماعية والتربوية للمنظر ثم الغرض الأساسى من النظرية ثم الافتراضات الأساسية ثم منهج البحث ثم نمط

المجتمع الذى يدرسه المنظر، ثم استخلاص بعض القضايا الاساسية التى تقبل الحوار والمناقشة ومقارنة أوجه التماثل والتقارب والاختلاف بين منظر وآخر اعضاء مدرسة فكرية واحدة، وعرض أوجه التقارب والتباين بين النماذج الاجتماعية الثلاثة – كان هذا المدخل – جديداً فى كتابة النظرية الاجتماعية ويناسب مستوى الطالب الجامعى؛ ومختلفاً عن كتابات النظرية الاجتماعية التى تعود عليها الطالب فى مجتمعنا. يضاف إلى ذلك كله عرض جهد كل منظر، وملخص كل نموذج اجتماعى فى أشكال توضيحية، وتلك طريقة لم نتعود عليها فى تدريس النظرية.

وترجمة هذا الكتاب لا تعنى دعوة إلى التغريب أو دعوة إلى الايمان بعالمية النظرية الاجتماعية بقدر ما تعنى دعوة إلى التأمل والبحث عن الأسباب الحقيقية التى دفعت بعض المفكرين إلى الإنتماء إلى بيئاتهم وإعمال عقولهم فى أمور أوطانهم ومجتمعاتهم، وفق قواعد المنهج العلمى.

والحقيقة لقد كانت مسألة النظام فى المجتمع الاوربى والتى بدأت منذ الفيلسوف هوبز صاحب مقولة حرب الجميع ضد الجميع – هى المسألة الحاسمة التى انطلق منها علماء الاجتماع وأعملوا أذهانهم لحلها من أجل إسعاد المواطن الاوربى فى البداية ثم المواطن الامريكى بعده، وما جهود المنظرين الاجتماعيين إلا لُبنة فى بناء صرح المجتمع الاوربى المستقر أو المجتمع الامريكى المتوازن، سعياً نحو حل مشكلاته بطرق سلمية.

وقد ترتب على اهتمام هؤلاء المنظرين بأمور مجتمعاتهم صياغة نماذج فكرية متعددة كلها تسعى إلى:

أ – تفسير السلوك الإنسانى والمساعدة على التنبؤ به.

ب – المساعدة على اجراء التصنيفات العلمية بين المجتمعات.

ج – المساعدة على فهم المواقف الإنسانية والسيطرة عليها.

د – المساعدة على اتخاذ مواقف وإصدار قرارات استناداً على المعلومات المتاحة عن السلوك.

فالنظرية فى علم الاجتماع ليست عبثاً أو رفاهية فكرية بقدر ما هى دليل عمل خاص يهدف إلى التفاعل مع البيانات المتاحة فى البحث وتساعد على وصف الواقع وتفسيره، كما تزودنا برؤية مستقبلية عن هذا الواقع، وتحاول المساهمة فى تشكيل مستقبل يخلو من الاضطرابات والفوضى.

وهذا الجهد البشرى فى التفكير فى أمور المجتمع الاوربى والامريكى من أجل حل مشكلاته ولتحقيق الاستقرار، وما ترتب عليه من صياغة أكثر من نموذج لوصف الواقع وتفسيره يؤدى بنا إلى القول بخصوصية النظرية الاجتماعية وأن ثمة عناصر ثلاثة أساسية تتداخل عند صياغة النظرية الاجتماعية، أولها العصر الذى يعيش فيه المنظر، والبيئة الاجتماعية والدراسية التى تحيط بالمنظر وأخيراً المناخ الاجتماعى والسياسى والثقافى، وما يسود ذلك المجتمع من قيم محكمات أو متشابهات وما يسوده من استقرار سياسى أو صراعٍ سياسى أو طبقى، وما يدرس فى الجامعة، وما يطرح على الرأى العام من أفكار وأراء وما يعانيه المجتمع من كساد اقتصادى أو يحققه من ازدهار فى الانتاج.

فالمنظر لا يجلس فى حجرة مكيفة مترفعاً عن الواقع، منعزلاً عن مجتمعه وما يضطرم فيه من أحداث، بل إنسان منتمى يشارك بفكره فى مشكلات مجتمعه مشاركة ايجابية ويطبق منهجاً علمياً ملائماً لحل تلك المشكلات.

ولذا فلا غرابة فى السؤال الذى يفرضه واقعنا علينا هذه الأيام، لماذا تتقدم بعض الدول وترتقى بعض الشعوب؟ ولماذا نتخلف نحن؟ والجواب سهل، فهناك المنتمى إلى مجتمعه الذى يفكر تفكيراً علمياً فى أمور مجتمعه ويسعى إلى تفسير الواقع الذى يعيشه وفق قواعد المنهج العلمى، مؤكداً فى الوقت نفسه نسبية المشكلات من زمان لزمان ومن مكان لمكان ونسبية الحقائق فى العالم الطبيعى. أما نحن فقد انشغلنا بأمور أخرى كثيرة بعيدة كل البعد عن عملية بناء المجتمع، وانصرفنا عن جمع المعلومات من الواقع المعاش والتى تساعدنا على فهم احوالنا والسيطرة على واقعنا من أجل التخطيط لبناء مجتمعات أفضل.

ومن ثم فترجمة هذا الكتاب دعوة صريحة للبحث عن أجابة للسؤال لماذا وكيف يفكر بعض الناس فى أمور مجتمعاتهم فى فترة زمانية معينة تفكيراً علمياً؟ ورغبة حقيقية صادقة فى تعويد الطلاب قراءة أعمال كل المنظرين قراءة نقدية والتدريب على التفكير النقدى فى كل المواقف والاهتمام بجمع البيانات الموثوق فيها من الواقع الاجتماعى حولهم قبل اصدار القرار كخطوة للبدء فى جمع البيانات عن مجتمعنا ولصياغة نظريات تنبع من واقعنا تساهم فى تفسيره من أجل بناء مجتمع أفضل بدلاً من استيراد نظريات غربية أو التعصب لاتجاهات فكرية لا تتلائم مع ماضينا أو حاضرنا أو ما يعترك فى مجتمعنا من مسائل.

ولقد عدلت ترجمة عنوان الكتاب من «النظرية الاجتماعية تطورها ونماذجها الكبرى» إلى «تمهيد فى النظرية الاجتماعية تطورها ونماذجها الكبرى» لأن المؤلف قد عرض جهد كل منظر فى عدد قليل من القضايا. وتضمنت هذه القضايا القليلة القضايا الرئيسية والاساسية بدقة وأمانة ويسر. وهذا الجهد فى العرض خطوة تمهيدية للإلمام بأهم النماذج قبل التعمق فى الكتب الاكاديمية المتعمقة التى كتبت عن النظرية.

وأخيراً أوجه شكرى للأخ محمد الحداد صاحب النسخة التى ترجمتها والتى وجدت فيها ضالتى فى تبسيط مقرر النظرية الاجتماعية والإجابة على السؤال الذى يلح علىّ. كما أوجه خالص شكرى لكل من استشرته وقدم لى النصح اثناء ترجمة الكتاب وكل من ساعد على اخراجه فى هذه الصورة.

والله ولى التوفيق،،،

محمد سعيد فرح

سان استفانو رمل الاسكندرية

سبتمبر ١٩٨٩

تمهيد فى النظرية الاجتماعية

تطورها ونماذجها الكبرى

المحتويات

الجزء الرابع

الخاتمــة

مقدمة المؤلف

تشغل النظرية الاجتماعية وضعاً متميزاً داخل قاعات الدرس منذ نشأة علم الاجتماع، ثم بعد بداية تدريسه كعلم اكاديمى. بيد أن النظرية الاجتماعية كمقرر دراسى اكاديمى هام صادفت مشكلتين كبيرتين هامتين عاقتا تطورها.

المشكلة الأولى: النظر إلى النظرية وخاصة خلال فترة انتشار الثقافة النفعية باعتبارها منفصله عن البحث والحقيقة التجريبية ولا صلة لها بهما.

المشكلة الثانية: ميل النصوص المدرسية للنظرية إلى أن تكون خلاصة وافية وصفية وتاريخية وفلسفية لعدد كبير من المنظرين بدلاً من تحليل تطور وبناء الاشكال المتعددة للنظرية الاجتماعية.

ويحاول هذا العمل تحليل نشأة وتطور بعض الأنماط الأساسية للنظرية فى علم الاجتماع والأفكار التى تتضمنها هذه الأنماط المتعددة فى النظرية الاجتماعية، وذلك رد فعل لهاتين المشكلتين. وينظر هذا المدخل إلى النظرية الاجتماعية باعتبارها عملية ديناميكية وموقفية ومتغيرة أى أن النظرية الاجتماعية ظهرت كرد فعل شامل ومنهجى لمواقف اجتماعية وتاريخية سيطرت على فكر المثقفين الذين يؤمنون باتجاهات فلسفية معينة.

ويلاحظ قارئ النظرية الاجتماعية فى أى مؤلف من مؤلفات علم الاجتماع أن ثمة ثلاثة مداخل تهتم بدراسة الحقيقة الاجتماعية. المدخل الأول هو مدخل البنائية العضوية الوظيفية والمدخل الثانى هو مدخل الصراع أو المدخل الراديكالى. والمدخل الثالث هو مدخل السلوكية الإجتماعية أى النموذج الاجتماعى النفسى. – وهناك مدخل رابع(*) يهمل فى الكتب الغربية. هو مدخل المادية التاريخية – ويحاول هذا الكتاب تحديد قواعد وأبنية النظرية الاجتماعية، وكيف تطور البدائل الممكنة للمداخل المختلفة للنظرية الإجتماعية.

(*) لم ترد هذه الفقرة فى النص الاصلى – المترجم.

ويحقق مثل هذا العرض عدداً من المزايا فهو يسلط الضوء القوى على الأنماط الأساسية للتفسير في النظرية الاجتماعية مثلما يؤكد أهمية العوامل الموقفية والتاريخية المرتبطة بالنظرية. ويكشف قواعد تفسير كل نمط، بدلاً من النظر إلى علماء الاجتماع المنظرين كما لو كانوا اشخاصاً منعزلين نسبياً يعيشون فى عزلة عن الواقع. كما يدرس هذا المدخل أى نمط خاص من أنماط النظرية باعتباره يمثل الواقع ويرتبط به. وكانت نتيجة هذه الرؤية استخلاص مجموعة من الأشكال والنماذج الأساسية التى تتضمنها أية نظرية اجتماعية وعلم الاجتماع بالتالى. ويستطيع دارس علم الاجتماع إدراك مواطن الضعف والقوة فى كل نظرية وأن يستخلص النتائج التحليلية إزاء كل نظرية بوجه عام.

بيد أن مثل هذا المدخل، كما هو الحال فى أى منظور تحليلى يعانى من عدد من القيود نعى بها منذ البداية، وأهمها أن التأكيد المفرط والزائد على أوجه التماثل والتقارب بين المنظرين لا يعنى دراسة كل أعمالهم دراسة تفصيلية، بل التركيز على بعد واحد هام أساسى فى كل نظرية أى أساسها النموذجى. وينظر إلى النظرية الاجتماعية باعتبارها مجموعة من النماذج العامة، تقل بينها الفروق، ويترتب على ذلك إحتمال وجود عدد من المعارضين لتصنيف واختيار عدد معين من المنظرين الذين تفسر وتحلل أعمالهم، وتلك مشكلة متكررة وثابتة فى مجال علم الاجتماع.

ولا يعرض هذا العمل تاريخ الافكار الاجتماعية ولا يقدم نموذجاً مستفيضاً عن علم اجتماع المعرفة أو تحليلاً مسهباً لكل الأبعاد الاجتماعية والتاريخية للنظرية، أو دراسة متعمقة للأعمال الكاملة لكل عالم من علماء الاجتماع أو تحليل شامل لكل أبعاد النظرية الاجتماعية وتطورها، ولكن هذا العمل يعرض تحليلاً محدوداً لجانب معين من جوانب النظرية فى محاولة لتجريد أنماط التفسير الاساسية فى النظرية الاجتماعية والعوامل المرتبطة بتطورها. ويمثل هذا المدخل الإتجاه المعاصر الذى يعطى اهتماماً أكبر للتحليل المنهجى للنظرية الاجتماعية. ويحاول أن يقدم مساهمة متواضعة فى هذا الاتجاه فى محاولة لتطوير رؤية أكثر موضوعية للنظرية الاجتماعية وتحليلها البنائى.

جراهام كينلوتش

النظرية الاجتماعية

تطورها ونماذجها الأساسية

الجــــزء الأول

المقـــدمـــة

الفصل الأول

صلة النظرية بالمعرفة

الموضوعات الأساسية:

- العلاقة بين النظرية والمعرفة
- التنظير والنظرية الاجتماعية
- مشكلات أساسية
- مدخل المؤلف

العلاقة بين النظرية والمعرفة

يفترض عادة أن ثمة فجوة واسعة بين معنى النظرية ومعنى الحقيقة، إذ ينظر إلى النظرية باعتبارها شيئاً مجرداً مبهماً، ومجالاً خاصاً للمفكرين وحدهم ولا صلة بين النظرية والحقيقة إطلاقاً والتى على نقيض ذلك ينظر إليها باعتبارها شيئاً عملياً من أمور الحياة اليومية الواقعية.

بيد أن هذه الرؤية مشوهة ومحرفة وتعكس ردة فى الفكر الإنسانى، وعلى نقيض الرأى السائد بين الناس، فإن النظرية جزء أساسى من الحقيقة العملية وحياتنا اليومية، وتمثل الأساس الكامن وراء كل مذاهب المعرفة، بل هى وراء تفسير كل فرد لما يفعله ويشاهده يومياً من ظواهر اجتماعية طبيعية، وإذا ما تفحصنا التعريف الخاص بالنظرية باعتبارها «مجموعة من العلاقات تستخدم لشرح وتفسير كيفية عمل وتفاعل مجموعة من الظواهر الخاصة» فإنه يبدو لنا أن هذه التفسيرات تتضمن كل شئ حتى ما يقع فى دائرة الملاحظات العلمية واليومية. فالتنظير أى صياغة الشروح التفسيرية والتأويلية يعد عملية مستمرة أساسية للمعرفة العلمية والمنطقية والتفاعل الإجتماعى اليومى. وهكذا فسواء حاول عالم الفيزياء تفسير أو شرح بناء ذرة من الذرات أو حاول أب مساعدة أطفاله على فهم الأسباب التى تدعو إلى الإلتزام وعدم الغش فالنظرية متضمنة فى كل من هذين الحدثين بقدر ما هى مجموعة من العلاقات.

فالنظرية فى أى مجال كامنة فى العلاقات بين الأشخاص وبناء اللغة الإنسانية، والمساعى العلمية الإنسانية بقدر ما يحاول الناس تفسير بيئتهم الطبيعية والاجتماعية وبناء البيئة الإجتماعية من خلال تفسيرات عامة أو معايير اجتماعية. وعلى هذا النحو يرتبط الفرد بالبيئة الطبيعية والمجتمع من خلال مجموعة معقدة من الافتراضات تحاول تفسير كيفية عمل هذه الظواهر. وهكذا فسواء أعطينا اهتمامنا للايديولوجيا أو المناهج أو التكنولوجيا فإننا نواجه مجموعة من الافتراضات التفسيرية التى تحاول تعريف الأفكار السائدة فى بناء

اجتماعى معين، وتفسير ما يحدث فى هذا البناء، ومن ثم فالنظرية ليست شيئاً مجرداً تماماً وليست شيئاً يدرك ويعرف بالممارسة، بل هى فى الحقيقة تجمع بين التجريد والممارسة لتفسير ما ينظر إليه باعتباره حقيقة.

وثمة عدد من العوامل المتباينة يمكن أن يستخدم فى محاولة تقديم تفسير ما لأية ظاهرة، مثل بناء الكون الطبيعى والسحر وعلم التنجيم والتصوف والدين والتكوين الاحيائى للشخص والنسق الإجتماعى وتأثيرات التفاعل، وعلاوة على ذلك فإن بناء النظرية يمتد من البناء البسيط للغاية مثل (س ترتبط بـ ص) إلى بناء شديد التعقيد، وذلك إذا ما اقترنت س بمدى واسع من المتغيرات وفق شروط خاصة محددة مع ص ومهما كان نمط النظرية (أى أنواع العوامل المستخدمة فى النظرية) أو بناؤها (مستوى التعقيد) فإن أهميتها الأساسية تستند على الكيفية التى تُعرّف بها الحقيقة عند المؤيدين لها، تلك الكيفية التى تؤثر بالتالى على رؤيتهم للعالم الطبيعى والاجتماعى وارائهم وسلوكهم. وهكذا فالنظرية عملية ديناميكية بقدر ما تُعرّف الحقيقة الطبيعية والاجتماعية تعريفاً مستمراً عند المؤمنين بها.

التنظير والنظرية الاجتماعية

وعلى العموم فإنه يمكن أن ينظر إلى التنظير باعتباره العملية التى يفسر بها الأفراد ويأولون بيئاتهم الاجتماعية والطبيعية، وتحدث مثل هذه العملية داخل بيئة اجتماعية محددة، اى أن عملية التنظير يحددها الفكر والايديولوجيا السائدين وتجارب التاريخ من أجل تعريف الحقيقة الطبيعية والاجتماعية فى هذا البناء. وبهذه الطريقة تعبر النظرية عن تفسير للحقيقة. علاوة على ذلك، فإن أساس أى نظرية هو نموذجها أو مثال الحقيقة، ويتكون هذا النموذج من عنصرين أساسيين. ١- تصور الظاهرة موضوع التفسير (أى أنه يمكن النظر إلى المجتمع أو إدراكه عقلياً كمجموعة من النظم المتفاعله). ٢- افتراض قيام علاقة علية بين هذه النظم، (أى رؤية البناء الاجتماعى باعتباره إستجابة للوظائف الأساسية فى المجتمع أو حاجات الأنساق، ويتطور تبعاً لهذه الإستجابة).

ويبدو أن هذه النماذج فى علم الاجتماع تأخذ شكلاً واحداً من أشكال ثلاثة أساسية، الشكل الأول نظرية عامة تصور المجتمع باعتباره نسقاً متكاملاً يؤدى وظائفه ويتمثل ذلك الشكل فى المدخل الوظيفى البنائى. الشكل الثانى وهو نظرية عامة تركز على المجتمع باعتباره نسقاً ديناميكياً متغيراً يسيطر عليه الصراع باستمرار ويقوم على التنافس والإستغلال، ويعبر عن هذا الشكل مدخل الصراع الراديكالى. الشكل الثالث يعبر عن نظريات تهتم بالظواهر الاجتماعية على مستوى العلاقات بين الأشخاص أى المستوى الضيق المحدود ويركز على عمليات مثل التنشئة وسلوك الدور، ويمثل هذا الشكل المدخل الاجتماعى النفسى والسلوكية الاجتماعية وسنعالج هذه النماذج الثلاثة للنظرية فى سياق تطورها ووضعها المعاصر.

مشكلات أساسية:

ومن ثم فإنه من الثابت والواضح أن التنظير عملية لها أهمية اجتماعية. ومن الأهمية أن تفهم تلك العملية بعمق أكبر بقدر الإمكان. ولكى نفهم عملية التنظير فهماً أفضل يتعين أن تطرح الأسئلة الأربعة الآتية وأن نجيب عليها قبل أن نتقدم إلى الأمام ونشرح المداخل الأساسية فى النظرية الاجتماعية.

السؤال الأول: ما المقصود بالنظرية؟

السؤال الثانى: ما المقصود بالنظرية الاجتماعية؟

السؤال الثالث: ما المقصود بالنظرية الاجتماعية التقليدية؟

السؤال الرابع: ما المقصود بالنظرية الاجتماعية المعاصرة؟

مدخل المؤلف:

يشير الجزء الأول من الكتاب إلى إجابة السؤالين الأولين، ويهتم الفصل الثاني بالمقصود بالنظرية عامة، إذ يعرفها، ثم يحدد أنماطها الأساسية، وبناءها المنطقي وطرق صياغتها، وبيان مدى تأثير البيئة الاجتماعية والثقافية على النظرية التى تظهر فيها. ويهتم الفصل الثالث بالنظرية الاجتماعية على وجه الخصوص، أى جذورها الثقافية والسياسية والبيئية وأنماطها الأساسية وتطورها

والعلاقة بين النظرية الاجتماعية والبيئة الاجتماعية، وسيحاول المؤلف فى نهاية الجزء الأول وضع نموذج أى مثال عن العوامل الفردية والمجتمعية الأكثر ملائمة التى تؤدى إلى تطور النظرية الاجتماعية فى اتجاه فكرى معين.

ويعرض الجزء الثانى للنظرية الاجتماعية التقليدية - ويحلل البيئات الاجتماعية والتاريخية التى ظهرت فيها، ثم يحدد نماذجها الثلاثة الأساسية التى ظهرت فى هذه البيئات، وهذه النماذج التقليدية هى النزعة العضوية ومدخل الصراع، والنزعه السلوكية الاجتماعية. وفى نهاية الجزء الثانى سنحاول أن نلخص كيف ترتبط هذه العوامل بالنظرية الاجتماعية التقليدية وتصيغ نموذجاً ملائماً.

ويعرض الجزء الثالث للنظرية الاجتماعية المعاصرة فى الولايات المتحدة الامريكية وتطبق فى هذا الجزء الصيغة نفسها التى طبقت فى الجزء الثانى عند تحليل الفروع الثلاثة الأساسية، والتى تماثل الصيغ الثلاث للنظرية فى الجزء الثانى. والانواع الثلاثة للنظرية المعاصرة هى: ١- البنائية الوظيفية. ٢- النظرية المعاصرة فى الصراع. ٣- النظرية الاجتماعية النفسية، وإنتهى التحليل فى الجزء الرابع بتحديد الأنماط الاساسية فى النظرية الاجتماعية. وكان محور الاهتمام فى هذا الفصل الأنماط الثلاثة للتفسير التى عرضنا لها، وتأكيد علم الاجتماع على مشكلات النظام الاجتماعى والتحليل على مستوى الفرد ومستوى المجتمع.

وعند مناقشة أعمال كل من كتب فى النظرية الاجتماعية من علماء الاجتماع، نرى أنه من الضرورى عرض ستة مظاهر أساسية لعمل كل عالم من علماء الاجتماع:

١- عرض المناخ الاجتماعى والنفسى الذى عاش فيه عالم الاجتماع أى عرض الوضع التاريخى والايديولوجى والفكرى الذى عاش فيه العالم، مثلما نعرض للتجارب الخاصة التى عايشها كل عالم وسيرته الشخصية.
٢- عرض الأهداف الأساسية للعمل النظرى.

٣- عرض الإفتراضات الأساسية التى صاغها المنظر والتى تتعلق بالظواهر الاجتماعية والطبيعية.

٤- عرض مناهج البحث التى لجأ إليها عالم الاجتماع وإستعان بها فى دراسة الأنساق النظرية.

٥- مناقشة نمط العلاقات المفترضة أى نموذج المجتمع كما يتصوره عالم الاجتماع المنظر صراحة أو ضمناً.

٦- نمط التفسير المستخدم فى البحث والنتائج التى ترتبت على إستخدام هذا التفسير فى علم الاجتماع المعاصر.

الفصـــل الثانى

مـــا النظـــريـــة؟

- تعريـــــــف النظريـــــــة
- الأنمـــاط الأساســية للنظريـــة
- عمليـــة صياغـــة النظريـــة
- البيئة الاجتماعية وعملية التنظير

ما النظرية؟

إختلف مفكرون كثيرون فى تعريف النظرية وتحديدها، ولذا فمن الأهمية تعريف هذا المصطلح تعريفاً إجرائياً وبدقة قبل التقدم إلى الأمام وتحليل المقصود بالنظرية الاجتماعية، ولذا فمن الضرورى منذ البداية دراسة أربعة موضوعات: ١- تعريف المقصود بالنظرية وخصائصها البنائية. ٢- الأنماط الأساسية للنظرية. ٣- عملية صياغة النظرية. ٤- الأفكار الأساسية التى أدت إلى نشأة مؤثرات أساسية ساهمت بدورها فى صياغة النظرية.

المقصود بالنظرية:

يبدو أن مفهوم النظرية يلتبس ويختلط مع مجموعة كبيرة ومتعددة من المفهومات تفتقد قوة التفسير، ومن أمثلة هذه المفهومات الوصف والنمطية والنموذج والتنبؤ وإطار العمل التصورى. ومن الصعب أيضاً أن نعثر على إتفاق واسع على تعريف النظرية بين مجموعة من علماء الاجتماع. ولذا علينا أن نفرق بين النظرية وتلك المفهومات الأخرى قبل التحول إلى دراسة الطريقة التى يعرف بها عدد من علماء الاجتماع المقصود بالنظرية. ثم نعرض لتعريفنا الخاص بالنظرية ونحدد الخصائص الأساسية للبناء المنطقى التصورى لها.

إن الوظيفة الأساسية لنظرية ما هى محاولة تفسير أو شرح ظاهرة خاصة فى إطار ظاهرة أخرى تعتبر مفسرة للظاهرة الأولى. وتلك الوظيفة التفسيرية هى ما يميز مفهوم نظرية ما عن المفهومات التى لها صلة بمفهوم النظرية ولكنها لا تقوم بالوظيفة التفسيرية، وهكذا فالوصف يشير إلى تحديد أو سرد خصائص ظاهرة ما دون تفسير لوجودها أو تغيرها. وتدل النمطية على مجموعة من الخصائص يفترض أنها تشير إلى ظاهرة ما خاصة أو أن هذه الخصائص تعبر عن هذه الظاهرة تعبيراً نمطياً، وينظر إلى النماذج أحياناً باعتبارها أنماطاً، وتقوم على ملاحظة أقل دقة، كما تحدد العلاقات المتداخلة بين الخصائص. بيد أنها تفتقد القوة على التفسير، أما التنبؤ فيعنى أن المرء

يعرف موقف فرد بالنسبة للمتغير س ويستطيع من هذه المعرفة ان يتنبأ ما سيكون عليه موقف هذا الفرد من المتغير ص مع ارتباطات تجريبية سابقة قد لوحظت بين هذين المتغيرين. بيد أن الباحث قد يكون قادراً على أن يعرض مستويات أعلى من التنبؤ وفى الوقت نفسه لا يستطيع فهم هذه العلاقات أو أن يفسرها. وهكذا فقد نتنبأ بأحداث مستقبلية دون أن يكون لدينا أدنى قدرة على التفسير والعكس صحيح. وهكذا فالتنبؤ بحكم طبيعته لا يعنى طرح نظرية ما أو تفسير أى ظاهرة، فالظواهر لا تتحدث عن نفسها، بل يتعين إعمال العقل لتفسيرها أو شرحها. وأخيراً فإطارات العمل التصورية والتى ينظر إليها عادة باعتبارها نظريات تمثل اساليب لإدراك الظواهر إدراكاً عقلياً فى سياق منظور محدد تحدده متغيرات أساسية ذات صلة به. بيد أن إطار العمل هذا يهمل تفسير العلاقات المتداخلة بين المتغيرات داخل هذا الإطار.

ويمكن أن نوضح الفروق السابقة على النحو الآتى: إن وصف الخصائص المميزة لثقافة ما مثل الثقافة الخاصة بالبدو أو ثقافة الفلاحين. أو ثقافة الشباب أو ثقافة الغجر، لا يعنى تفسير تطور وتغير هذه الجماعات، كذلك فإن وصف نمط الأسرة الزواجية الصغيرة الحجم لا يفسر أو يشرح هذه الوحدة الاجتماعية، ووصف نموذج المجتمع الصناعى المتقدم فى المستقبل قد يكون مفيداً، وقد يعتمد هذا الوصف على مجموعة محددة من المعلومات المستقاة من الواقع، لكن هذا النموذج لا يفسر لنا تطور أو بناء المجتمع الصناعى أو العمليات الداخلية التى تطرأ على هذا المجتمع المتخيل. وعلاوة على ذلك فالمدرس قد يكون قادراً على التنبؤ بدرجات الطالب الجامعى بعد إطلاعه على كيفية ادائه فى المرحلة الثانوية، ولكن هذا المدرس لن يقدر على تفسير العلاقة بين الأداء فى المرحلة الثانوية والأداء فى المرحلة الجامعية وهكذا فرغم أن العلاقات المستقاة من الواقع دقيقة للغاية فإن قدرة الباحث على تفسير هذه العلاقات قد تتدنى تدنياً كبيراً للغاية. وأخيراً فإن إطار العمل التصورى مثل مدخل التفاعل الرمزى مع الاسرة قد يكون مفيداً فى إلقاء الضوء على مشكلات نظرية أو مشكلات بحث محدده. مثلما يلقى الضوء على

متغيرات متصلة بالموضوع ولكنه فى الوقت نفسه لا يمتلك القدرة على تفسير هذه المتغيرات أو المشكلات. ورغم أن كل إطارات العمل والمفهومات والمصطلحات تعد جزءاً أساسياً من بناء النظرية، فإنها بمفردها لا تفسر الظواهر التى تشير إليها، فالتفسير هو الوظيفة الأساسية لنظرية ما.

ومن أجل إلقاء الضوء على الخصائص الأساسية لنظرية ما، فإننا نعرض تعريفات بعض الكتاب الكبار الذين درسوا النظرية، وأعطوا اهتماماً كبيراً لهذا الموضوع، وقد كتب عدد كبير من الكتاب عن الفروق بين النظرية العلمية التى تقوم على قواعد المنهج والنظريات التى لا تستند على منهج والنظريات الايديولوجية والنظريات التى لا تخضع للتجريب، وقد قدم هؤلاء المفكرون تعريفات عديدة حول هذا الموضوع. ومن أهم التعريفات التى قدمت التعريفات الآتية:

يقول هـ. بلالوك «أنه قد لوحظ أن بعض النظريات لا تشتمل على أنماط وخطط تصورية، ولكن ينبغى أن تحتوى على قضايا أشبه بقوانين تربط بين مفهومين أو متغيرين إثنين أو أكثر فى الوقت نفسه».

ويرى ج. جيب «أن النظرية تتكون من مجموعة من الأحكام المترابطة ترابطاً منهجياً فى شكل تأكيدات تجريبية عن خصائص وفئات غير محددة من الأحداث أو الأشياء»

ويقدم م.ج. هيج تعريفاً ثالثاً ويقول «إن هناك اتفاقاً عاماً على أن النظرية ما هى مجموعة من القضايا أو الأحكام النظرية».

أما د.ب. رينولدز. «فيرى أن استخدام مصطلح النظرية سوف يشير إلى أحكام مجردة تعتبر جزءاً من المعرفة العلمية سواء كانت مجموعة من القوانين أو البديهيات أو صيغ عمليات علية».

أما ستنشكومب فيعرف النظرية «بأنها ينبغى أن تخلق القدرة على ابداع التفسيرات».

ويرى د. ويلر «أن النظرية هى مجموعة متكاملة من العلاقات على مستوى معين من الصدق».

ورغم أن كل واحد من هؤلاء الكتاب يؤكد على جانب معين من جوانب النظرية يختلف عما أولاه الآخرون من اهتمام، فإنه يمكن لنا أن ندرك عدداً من الخصائص العامة المشتركة عند صياغة النظرية: التجريد والإستناد على قوانين المنطق، ومجموعة من القضايا، واللجوء إلى التفسيرات والربط بين العلاقات، والقبول من المجتمع العلمى. ولذا يمكن أن نقول أن النظرية هى مجموعة من القضايا المجردة والمنطقية تحاول أن تفسر العلاقات بين الظواهر.

وهذا التعريف السابق لا يشير إلى بناء نظرية ما أياً كانت، أى لا يبين لنا مكونات النظرية، ويختلف علماء اجتماع كثيرون على عدد ونوع العناصر المتضمنة فى بناء نظرية ما، ولكن يبدو من المعقول أن تلخص هذه العناصر على النحو الآتى:

١- إن أساس أى نظرية هو شكلها الذى تقوم عليه، ويتكون هذا الشكل من تصور خاص من الظواهر موضع التفسير والعلاقات الأساسية التى يقوم عليها هذا التفسير، والذى يشرح الكيفية التى تعمل بها هذه الظواهر. وهكذا فالظواهر الخاصة موضع الدراسة تعرف فى صورة مجردة تعريفاً دقيقاً يستند على عدد من المفهومات، بينما يفترض وجود علاقة علية أساسية بين هذه الظواهر. ويستخدم المعانى المتضمنة التى وراء هذه العلاقة لتفسير الظواهر الخاصة موضع البحث. فإذا كان الشكل قد تجاوز فى صياغته مستوى الفروض العامة البسيطة فإنه يصبح مثالاً للعلاقات المفترضة التى تمثل أساس البناء المنطقى الصورى للنظرية. ويعد إطار عمل الوظيفية البنائية واتجاه الصراع ونظرية الشخصية عند فرويد والتفاعلية الرمزية أوضح مثال لأشكال التنظير.

٢- ينبغى أن يتضمن شكل النظرية مفهومات محددة، بمعنى تصنيف أو إعطاء مسمى معين لفئة من الظواهر (أى الشخصية أو الطبقة الاجتماعية

أو النسق الاجتماعى أو النظام أو الحراك أو التغير الاجتماعى)، وتحتاج هذه المفهومات إلى تعريفات دقيقة وإثبات علاقاتها مع الشكل الأساسى.

٣- يحتاج الأمر إلى تقرير العلاقات المنطقية بين هذه المفهومات أى يتعين أن ترتبط هذه المفهومات سوياً برباط نظرى؛ إذ أن شكل ومستوى هذه العلاقات ينزع إلى التباين والإختلاف. وقد تكون هذه العلاقات المنطقية بديهيات. وهى قضايا يفترض أنها صحيحة فى حد ذاتها، أو فروض، وهى أحكام تحدد العلاقات بين المفهومات فى شكلها الإجرائى، وعلاوة على ذلك قد تكون هذه العلاقة ايجابية أو سلبية أو مستقلة عن بعضها البعض.

أخيراً يعتمد بناء نظرية ما على أنواع احكام العلاقات بين مكونات القضية والعلاقات بين القضايا التى تتضمنها النظرية وهكذا قد تكون النظرية بديهية (أى مجموعة من القضايا المحددة) أو قد تكون النظرية مجموعة من القضايا المتناسقة (مجموعة من القضايا المستقرأه من البديهيات) أو قد تكون النظرية بناءً يجمع بين قضايا استدلالية وقضايا بديهية، بمعنى (أنها تتكون من مجموعة من البديهيات والقضايا المستنبطة منها والمترابطة سوياً)، وأخيراً قد تتكون النظرية من مجموعة من الافتراضات المترابطة. وفى هذه الحالة لن تكون النظرية كاملة لغياب البديهيات والقضايا الأساسية.

٤- الحاجة إلى تعريف المفهومات وأحكام العلاقات تعريفاً إجرائياً أو تجريبياً فى صورة متغيرات مثل (إختبارات الشخصية ومقاييس التدرج الطبقى الاجتماعى أو مقاييس الكثافة السكانية أو مقاييس الحراك الاجتماعى أو المقاييس الاجتماعية والاقتصادية للتغير الاجتماعى) ويتضمن كل متغير عدداً من المؤشرات التجريبية تحددها أداة البحث التى اختارها الباحث مثل الإحصاء أو الإستبيان، كما أن ثمة فرقاً كبيراً بين النظريات العلمية والنظريات غير العلمية أى مدى خضوع هذه النظريات للإختبار التجريبى للتحقق من صحتها بدلاً من الأنساق الأيديولوجية وأنساق الفكر المنغلقة على نفسها.

٥- الحاجة إلى منهج تجريبى لإختبار العلاقات الإفتراضية بين المتغيرات والمؤشرات. وقد تشمل هذه الاختبارات مسوح الرأى العام، أو الملاحظة بالمشاركة، أو إختبارات المقابلة أو التحليل الرياضى أو أدوات القياس الرياضية فى الدراسات السكانية أو التجارب المعملية التى تطبق على جماعة صغيرة. وطبيعة المنهج المستخدم تفرضها أنواع المتغيرات المستنبطة من بناء نظرية ما، وبالمثل يحدد بناء النظرية هذا المنهج ومن ثم لا يكتشف هذا المنهج إلا بعد صياغة النظرية، ومهما كانت طبيعة المنهج المستخدم فإنه مقيد بخصائص العينة المتاحة وأخطاء هذه العينة، ومستوى سيطرة الباحث وأخطاء القياس، والأخطاء التى تقع عند تحليل البيانات كلها.

٦- وبعد جمع البيانات، تبدأ مرحلة تحليل الفروض الأساسية للنظرية. ويعتمد هذا التحليل على تطبيق الأساليب الإحصائية لتحديد مستويات الإرتباط بين المتغيرات والمغزى الإحصائى للنتائج. وقد تكون هذه الإختبارات الإحصائية مضللة سواء طبقت تطبيقاً سليماً أو طبقت خطأ. وعلاوة على ذلك فإن تحليل البيانات يعتمد على طبيعة العينة ونوع المعلومات التى يهتم بها الباحث.

٧- بعد إتمام وإنجاز عملية تحليل البيانات، يتعين على الباحث أن يتقدم خطوة لتفسير نتائج البيانات فى ضوء النظرية التى يقتدى بها. أى الشكل الأساسى والبديهيات والقضايا والفروض. ولما كانت المناهج والإختبارات التجريبية لا تقدم إلا إختبارات غير مباشرة للبناء الأساسى للنظرية، فإن الباحث يحتاج إلى حذر شديد عند إستخلاص النتائج من البيانات المحددة والمتاحة.

والأمر الأكثر سذاجة أن نبالغ فى تقدير الأهمية النظرية لمجموعة من البيانات التجريبية مهما إتسع مجالها.

٨- يحاول المنظر أن يقيم النظرية فى إطار معيارين أساسيين:

أ - كفاءة ومجال ومنطق البناء النظرى.

ب - مستوى قابلية هذا البناء للإختبار والتنبؤ ومدى دقته عند خضوعه للإختبار والفحص التجريبى.

وثمة عدد من البدائل الممكنة تطرح فى حالة عدم إثبات صحة النظرية تجريبياً، أهمها رفض النظرية كلية، أو تعديل شكلها الأساسى أو تطوير البديهيات والقضايا والفروض أو استبدال منهج جديد بالمنهج القديم، ومهما كانت الحالة فإن الباحث مجبر على إتخاذ قرار ما يتعلق بالنظرية موضوع الاختبار، فالتنظير عملية ديناميكية مستمرة، ويتضمن التغيير والتعديل باستمرار.

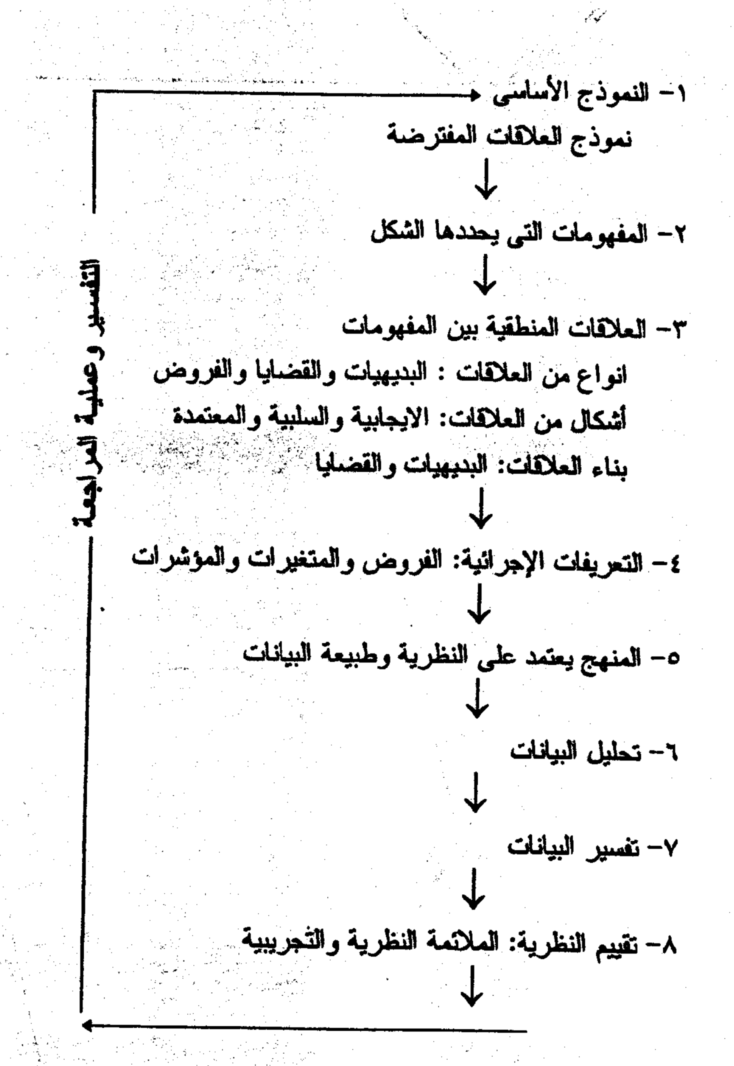
وبإيجاز فإنه يمكن أن نوجز ما سبق ونعرف النظرية بأنها تشمل مجموعة من القضايا المقبولة والمجردة والمنطقية تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر، وأن بناء النظرية يتكون من عناصر أساسية ثمانية:

١- الشكل الأساسى،
٢- مجموعة من التصورات،
٣- مجموعة من الأحكام (البديهيات والقضايا والفروض) تتعلق بالعلاقة المنطقية بين هذه المفهومات،
٤- التعريفات الإجرائية إبتداء من الفروض والمتغيرات والمؤشرات،
٥- المنهج المستخدم لإختبار العلاقات بين الفروض،
٦- تحليل البيانات،
٧- تفسير النتائج،
٨- تقييم البناء المنطقى المنهجى التجريبى للنظرية فى ضوء تحليل البيانات وتفسيرها.

ويوضح الرسم التالى المميزات والخصائص البنائية للنظرية باعتبارها نسقاً تفسيرياً.

شكل رقم (١)

الخصائص البنائية للنظرية الصورية كنسق تفسيرى



وفى نهاية ذلك الجزء نقول أن النظرية نسق تفسيرى وأن النظرية الصورية تتكون من ثمانية عناصر أساسية عرضت فيما تقدم. وعلينا أن ندرك أن هذا النسق يقوم على أساس الشكل الأساسى الذى لا يمكن إختباره إلا بطريق غير مباشر ويفترض وجوده نظرياً لأغراض التفسير المفيد.

أنماط النظريات الأساسية:

والنظرية التى ينبغى أن تدرس هى النظرية ذات الطابع العلمى التى تلقى الضوء على خصائص التفسير، بيد أن النظريات تختلف فى عدد من الخصائص أهمها:

١- النظرية المنطقية الصورية فى مقابل النظرية اللاصورية:

فالنظرية قد تقوم على قوانين المنطق وذات طابع علمى وتستند على فروض يحددها المنهج العلمى لتصل فى النهاية إلى أحكام يقينية. أو قد تكون النظرية حدسية، تفتقد البناء المنهجى إلى حد ما، وترتبط باقتراحات الحياة اليومية. وتتوائم النظرية الرياضية والنظرية فى العلوم الفيزيائية مع النمط الأول بينما توضع الفروض التى لا تستمد من البديهيات أو الايديولوجيات والأبحاث التى تعتمد على الحس الباطنى والشعور بالحدس فى المقولة الثانية.

٢- النظريات الوصفية مقابل النظريات التفسيرية:

النظريات قد تكون وصفية ومن ثم تفتقد الشكل التفسيرى الأساسى أو قد تعتمد النظرية على الوظيفة التفسيرية ومن ثم تصاغ لتفسير الظواهر، ورغم أن النظرية الوصفية قد تكون تفسيرية ضمناً، فإنها تعجز عن التفسير إذا كان نموذجها الأساسى غير موجود أو خفى غير مرئى.

٣- النظرية الأيديولوجية مقابل النظرية العلمية:

قد يكون محتوى النظرية ايديولوجى النزعة أو يحكمه المنهج العلمى الذى يؤكد على صياغة الافتراضات وضرورة إخضاعها للاختبار التجريبى. ورغم أن هذه التفرقة مسألة درجة، وليست خلافاً فى الشكل، إذ أن المنهج العلمى يتضمن عناصر ايديولوجية ايضا. فمن الأهمية أن نعرف الأهداف الأساسية

للمنظر، لكى ندرك القيمة الكامنة وراء العمل، وهكذا يمكن أن نقول أنه لا توجد نظرية موضوعية تماماً بالمعنى الدقيق لكلمة موضوعية، مهما كانت الموضوعية التى تظهرها إذ أن أى نظرية تتضمن دائماً أفكاراً ومعان ايديولوجية.

٤- النظريات الحدسية مقابل النظرية الموضوعية:

تتباين النظريات فى مدى ادعائها أن المعرفة حدسية وذاتية مقابل الإدعاء بالمعرفة الخارجية والموضوعية. وهكذا نجد أن أنصار إتجاه الفلسفة الظاهراتية[١] والأسطورة يؤمنون بالإتجاه الأول بينما أنصار العلم التجريبى يؤكدون على الاتجاه الموضوعى. وأن الظواهر توجد خارج الذات. وهذه التفرقة موجودة فى علم الإجتماع. فأنصار منهج دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها – الاثنوميتودولوجى[٢] – ينزعون إلى الحدس. بينما أنصار الوظيفية البنائية يؤكدون الموضوعية.

٥- المنهج الاستقرائى مقابل القياس:

يمكن أن تكون النظريات نمطاً من نمطين أساسيين: إذ يمكن أن تحاول الحركة من الخصوصية إلى العمومية أو العكس. فالطريق الأول يمكن أن يطلق عليه الاستقراء، ويمكن أن يطلق على الطريق الآخر القياس. وفى علم الاجتماع كما سنرى فإن أكثر النظريات الإستدلالية تبدأ من العام (النسق الاجتماعى) كمتغير مستقل فى النسق التفسيرى، بينما تميل نظريات علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى إلى الطريقة الإستقرائية.

---

(١) الظاهراتية. والفينومينولوجيا وهى منهج فى المحل الاول، منهج ينحصر فى وصف الظاهرة، أى ما هو معطى مباشرة ومن ثم فالظاهراتية تغض النظر عن العلوم الطبيعية وتتعارض مع المذهب التجريبى ولا تحاول الظاهراتيه تقديم نظرية فى المعرفة فى الموقف الفلسفى وتتعارض مع المثالية وموضوعها المضمون العقلى للظواهر الذى يدرك مباشرة – راجع الفلسفة المعاصرة فى أوربا تأليف أم بوشنسكى ص ٢٢٠. المترجم

(٢) الاثنوميتودولوجى: Ethnonethodology لهذا المصطلح اكثر من ترجمة باللغة العربية مثل المنهجه العامية – دراسة اساليب الشعوب – طرق خلق النظام الاجتماعى منهجه النظام الاجتماعى... وهو فرع من فروع علم الاجتماع يبحث فى النظم والاعراف الكامنه وراء التفاعل والاشعة الاجتماعية راجع النظرية الاجتماعية لى.. سونز هبرماس تأليف أ. كريب حاشية ص ٣٠. المترجم

٦- الوحدة الصغيرة الحجم مقابل الوحدة الكبيرة الحجم:

تختلف النظريات أيضاً في مستوى التحليل، إذ يمكن أن يركز على المستوى الخاص والفردي (الوحدة الصغيرة)، أو يعطي الاهتمام كله للمستوى العام أو المجتمعي (الوحدة الكبيرة) وفي مجال علم الاجتماع تهيمن نظريات الوحدة الكبيرة الحجم، بينما ركزت التفسيرات النفسية أكثر على الوحدات الصغيرة الحجم، ولكل مستوى من مستويات التحليل مزاياه ومشكلاته، بيد أن التحليل على مستوى الوحدة الكبيرة ينزع إلى تعميم تفسيراته للظواهر الفردية أكثر مما ينبغي، بينما يعاني التحليل على مستوى الوحدة الصغيرة من عكس ذلك، أي يهتم بالتخصيص أكثر من التعميم.

٧- البناء مقابل الوظيفة:

تختلف النظريات أيضاً في محور إهتماماتها، فبعض النظريات تهتم بتفسير بناء الظواهر، بينما تعطي نظريات أخرى اهتماماً أكبر للكيفية التي تتطور وتتغير بها هذه الظواهر، وفي مجال علم الاجتماع على سبيل المثال تهتم النزعة البنائية الوظيفية بدراسة بناء مجتمع معين في إطار وظائفه الأساسية، بينما تركز نظرية الصراع على ديناميكية المجتمع.

٨- الإتجاه الطبيعي مقابل الإتجاه الاجتماعي:

يختلف اهتمام النظريات بأنواع الظواهر التي تحاول تفسيرها، فبينما يركز البعض على التفسيرات الحيوية أو الطبيعية تهتم نظريات أخرى بدراسة الظواهر الاجتماعية، وهكذا نجد أن العالم الاجتماعي قد يحاول تفسير السلوك الاجتماعي في إطار الغرائز الاحيائية الإنسانية (المدخل الطبيعي) أو في إطار خصائص النسق الاجتماعي مثل تقسيم العمل الجمعي أو مستوى التصنيع أو درجة التنظيم. وهذان المدخلان يختلفان اختلافاً جذرياً في تفسير المعاني المختلفة للظاهرة موضوع البحث.

وهكذا فالنظريات تنزع إلى أن تكون منطقية صورية وتفسيرية واستدلالية وموضوعية مقابل النظريات اللامنطقية والوصفية والايديولوجية والحدسية. ولكن الأمر في علم الإجتماع يختلف عنه إذ نجد أن كثيراً من

النظريات – إن لم يكن أغلبها – يفتقد الطابع المنهجى وقواعد المنطق وتميل إلى الوصف وتتأثر بالايديولوجية وتبتعد عن التفسير.

عملية صياغة النظرية:

كيف تكتشف النظريات؟ وكيف تتطور؟ وكيف تصاغ؟ ورغم أن هذا الكتاب لا يهتم على وجه الخصوص بعملية صياغة النظرية، فمن الأهمية أن نناقش تلك العملية من خلال المقدمة منذ البداية، وسنحاول أن نقوم بتلك المهمة بالإشارة إلى التعريف السابق لبناء النظرية المنطقية.

ولما كانت أغلب نظريات «علم الاجتماع» لا تمثل إلا الأشكال الوصفية فإن هذا الإتجاه يدل دلالة واضحة على مواقف تاريخية وايديولوجية وفكرية معينة، أى أن هذا الإتجاه يمثل نماذج نظرية من اكتشاف أفراد (سواء أكانوا فلاسفة أم اكاديميين أم مفكرين) ولدوا وعاشوا ونشأوا داخل موقف اجتماعى خاص. ويمثل بناء النظرية التى تحمل هذا الطابع رد فعل منطقياً يعطى احتراماً شديداً للموقف الاجتماعى. ولقد إقتضى التنظير فى مرحلته المبكرة صياغة نظرية لا تهتم بالمنهج إلا قليلاً، وتهتم أكثر بالواقع، ولكن تدريجياً وبعد اكتشاف المنهج العلمى وعلم الاجتماع التجريبى صارت عملية صياغة النظرية عملية تعتمد أكثر على المنهج ويمكن أن نحدد هذه العملية على النحو الآتى:

١- الخطوة الأولى تعريف العلاقات العلية الأساسية للنظرية وكما أوضحنا، فإن إطار العمل التفسيرى يعد أساسياً للبناء التفسيرى للنظرية، ويتعين أن يصاغ النموذج صياغة واضحة بقدر الإمكان، وخاصة العلاقات العلية داخل هذا النموذج والتى يفترض أن تكون تفسيرية. إن تعريف وتحديد هذا النموذج للعلاقات المفترضة خطوة أولى وهامة فى عملية التنظير.

٢- تتضمن الخطوة الثانية تعريف المفهومات التى يتضمنها النموذج تعريفاً واضحاً ومحكماً بقدر الإمكان. إذ أن معانى المفهومات مفترضة وليست محددة بإحكام. مما يؤدى بالتالى إلى الإبهام واللبس والغموض.

٣- ان العلاقات المنطقية بين هذه المفهومات والتى يتضمنها شكل النظرية يقتضى التعريف فى صورة بديهيات وقضايا، ويمكن أن نستدل منها منطقياً قضايا أخرى بأتباع طريقة الاستدلال.

٤- تعريف المفهومات تعريفاً إجرائياً فى صورة متغيرات. وتصاغ العلاقات المنطقية بين هذه المتغيرات فى شكل فروض نظرية نستنبطها من البديهيات والقضايا السابقة.

٥- يوضح بالتفصيل المنهج الذى يدل على هذه المتغيرات من أجل إختبار هذه الفروض بالرجوع إلى المؤشرات التجريبية، ويطبق هذا المنهج تطبيقاً صارماً بقدر الإمكان لإختبار الفروض إختباراً تجريبياً.

٦- ضرورة تحليل البيانات وفق الطرق الإحصائية أو غيرها.

٧- بعد تحليل البيانات، يحتاج المنظر إلى تفسير مغزى النتائج بالإشارة إلى النظرية التى يوضحها تفصيلياً، ويمكن أن تفسر النظرية على أساس هذه النتائج أو الرجوع إليها للإستشهاد بها، معتمدين فى ذلك على المدخل المقبول لصياغة النظرية.

٨- وباستكمال هذه الخطوات، يحاول المنظر تقييم النظرية على قواعد وأسس نظرية وتجريبية أو أسس نظرية أو تجريبية، مما يتوقف مرة أخرى على المدخل المقبول للتنظير.

وينبغى أن يكون واضحاً من الحوار السابق أن صياغة النظرية عملية معقدة ولكنها عملية موحدة يتحول خلالها النموذج الأساسى إلى شكل نظرى وتجريبى ويُقَيم وفق قواعد التنظير والتجريب. وهكذا فالنظرية والمنهج ليسا وحدتين منفصلتين. فالأول يتضمن الآخر. وينبغى أن يتم تقييمهما سوياً.

البيئة الاجتماعية وعملية التنظير:

والحقيقة أن عملية صياغة النظرية لا تتم فى فراغ، بل على النقيض من ذلك تتأثر عملية صياغة النظرية بالخصائص التاريخية والأيديولوجية والفكرية

السائدة فى الموقف الاجتماعى. وعلاوة على ذلك تحدد سيرة حياة المنظر اتجاهاته الأيديولوجية والفكرية، والتى بدورها تؤثر على إدراك الفرد للحقيقة. ومن الأهمية أن توضح أثر حياة عالم الاجتماع على انتاجه الفكرى أو ما يدافع عنه من نظريات، وما يتبناه من نظريات منشورة، ولكى يفهم أثر السيرة الشخصية لعالم الاجتماع على إنتاجه الفكرى أو ما يؤيده من أفكار يدافع عنها علينا أن نعرف تاريخ حياته ومركزه الاجتماعى والاقتصادى ونوع التعليم الاكاديمى الذى لقن له، وخصائص رفاقه وتأثيرهم على الأراء الايديولوجية التى يؤمن بها وتجاربه الشخصية. فعلماء الاجتماع الذين عاشوا حياة الطبقة الأرستقراطية أو الذين يتطلعون إلى طريقة حياة الأرستقراطيين أو لقنوا الدروس والمحاضرات فى جامعات الصفوة يميلون إلى الفكر المحافظ ويتعاطفون مع الإتجاه الوظيفى البنائى. أما علماء الإجتماع الذين نشأوا فى الطبقة الدنيا الوسطى والتزموا بمبادئ هذه الطبقة ولم يخونوا الطبقة التى نشأوا فيها. بل يدافعون عن حقوق الطبقات الفقيرة، ورفضوا البرامج والمناهج الدراسية التى تلقن فى المعاهد الامريكية أو جامعات اوربا الغربية أو التى تصدر من أقسام علم الاجتماع بهذه البلدان فيميلون أكثر إلى علم الاجتماع الراديكالى ويؤمنون بنظريات الصراع.

فالتجارب الشخصية تجعل من علماء الاجتماع المنظرين أكثر وعياً بجوانب معينة من الظواهر الاجتماعية وإغفالاً لجوانب أخرى. وتثرى هذه التجارب أفكارهم، وما يبدعونه من نظريات. أما علماء الاجتماع المنعزلون عن الواقع والذين قد يهملون الظواهر المعاشه فتكاد نظرياتهم تنسلخ تماماً عن الحقيقة الاجتماعية المعاشة.

وأخيراً فالمجتمع الاكاديمى الذى يرتبط به عالم الاجتماع والمناخ الأكاديمى المعاش حوله يعبران عن ثقافة خاصة يتوحد بها هذا العالم. فالمناخ الفكرى الذى يحيط بعالم الاجتماع قد يغذى ويثرى أعمال الباحث وقد يعوق نموها وتطورها وقد يجهضها، وقد يجعل منه عالماً محافظاً أو متمرداً على الوضع الاجتماعى أو من فريق الوسط. فعملية التنظير الاجتماعى ليست عملية فردية بحتة بقدر ما هى عملية مجتمعية.

الفصـــل الثالث

ما المقصود بالنظرية الاجتماعية

- تعريف النظرية الاجتماعية.
- الأنماط الكبرى والمشكلات الأساسية فى النظرية الاجتماعية.
- تطور النظرية الاجتماعية.
- البيئة الاجتماعية والنظرية الاجتماعية.
- نماذج للنظرية الاجتماعية.

ما المقصود بالنظرية الاجتماعية

وبعد أن شرحنا المقصود بالنظرية سواء أكانت منطقية أو لا منطقية باعتبارها نسقاً تفسيرياً، نتقدم خطوة وندرس الأشكال المختلفة للاتجاهات النظرية التى ظهرت فى علم الاجتماع على وجه التحديد. وإذا ما نظرنا إلى النظرية الاجتماعية باعتبارها محاولة لتفسير وشرح الظواهر الاجتماعية، فإننا سوف نخصص حوارنا لدراسة الجوانب الآتية فى النظرية الاجتماعية.

١- تعريف النظرية وخصائصها البنائية.
٢- الأنماط الأساسية للنظرية الاجتماعية.
٣- التطور التاريخى للنظرية الاجتماعية.
٤- المؤثرات الاجتماعية التى أثرت على البيئة الاجتماعية التى أفرزت النظرية الاجتماعية.
٥- بعض الأمثلة الأساسية فى النظرية الاجتماعية.

تعريف النظرية الاجتماعية:

بدأ إهتمام الناس بالمجتمع وشئونه والتفكير فى الظواهر الاجتماعية منذ عهد افلاطون حتى يومنا هذا. وتختلف هذه الإتجاهات الفكرية إختلافاً كبيراً إبتداء من الفلسفة اليونانية والرؤية الميتافيزيقية للعالم، ثم تعريف الحقيقة تعريفاً لاهوتياً ثم رؤية عصر التنوير للطبيعة الإنسانية والمنهج العقلانى ثم ظهور المنهج العلمي ومحاولة إستخدامه لتفسير الظواهر الاجتماعية وإنتهاء بالفهم الاجتماعى العلمى للظواهر الإجتماعية فى إطار المتغيرات الاجتماعية والمنهجية. والحقيقة إن علم الإجتماع المعاصر يتغلغل فى كثير من أوجه الفكر الإنسانى وخاصة الدراسات التى تهتم بالمجتمع وعلاقته بالفرد. بيد أن الواقع يبين وكما سنؤكد فيما بعد، أن النظرية الاجتماعية لم تظهر وتتبلور حقيقة إلا فى القرن التاسع عشر، عندما نظر المفكرون إلى المجتمع باعتباره كياناً حقيقياً ومنفصلاً وباعتباره وحدة تخضع فى ذاتها للتحليل الذى يمكن أن يستخدم

لتفسير الظواهر الاجتماعية الموجودة فى داخل المجتمع، أما قبل ذلك فكانت كل المحاولات التى تحاول تفسير المجتمع تنزع نزعات ميتا فيزيقية وفلسفية ومن ثم فشلت كلها فى دراسة المجتمع دراسة علمية.

ومن ثم فنظرية علم الاجتماع تمثل مجموعة من الافتراضات تخص المجتمع والظواهر الاجتماعية. وتقوم هذه الافتراضات على إعتبار أن المجتمع والظواهر الاجتماعيـة حقيقـة مجتمعيـة توجد فـى عـالم الواقـع باعتبارهـا شيئاً خارجياً منفصـلاً. ولـذا يمكـن أن نقـول أن النظريـة الاجتماعيـة تقـف موقـف النقيض مع أنساق الفكر القديمة التى تؤكد على التفسيرات الغيبيـة والأسـطورية واللاهوتية والطبيعية لهذه الظواهر. ورغم أن النظرية الاجتماعية تأثرت تـأثراً واضحاً بالإتجاهات السابقة عليها التى أهتمت بـالكون، وخاصـة فلسـفة عصـر التنوير، فإن النظرية الاجتماعية تستند على افتراض وجـود النسـق الاجتمـاعى كوحدة مستقلة فى مقابل الظواهر الميتافيزيقية. وفى هذه الحالة يمكـن أن نقـول أن تطور النظرية الاجتماعية مثل تطور نسق الفكر الجديد الـذى اسـتبدل فكـرة الحقيقة الاجتماعية التى فهمت واستخدمت لتفسـير الظواهـر الاجتماعيـة بـالفكر الميتافيزيقى والأسطورى.

وعلى وجه العموم فنماذج التفسـير فـى علـم الاجتمـاع تمثـل محـاولات لفهـم النظـام الاجتمـاعى والكيفيـة التـى يتغير بهـا كـل مـن البنـاء الاجتمـاعى والعمليات الاجتماعية. ونحن نعرف النظرية الاجتماعية باعتبارها مجموعة من القضايـا المقبولـة والمجـردة والمنطقيـة تحـاول تفسـير العلاقـات بيـن الظواهـر الاجتماعية. وإستناداً على هذا التعريف يمكن أن نقـول أن النظريـة الاجتماعيـة تمثل تلك القضايا التى صيغت وفـق مصطلحـات علـم الاجتمـاع، وتحـاول هـذه القضايا تفسير العلاقات بين الظواهر الاجتماعية. وتطرح فرضاً أساسـياً مـؤداه أن المجتمع بما يشمل من ظواهر اجتماعية يمتلك حقيقة مستقلة وأن تلك الحقيقة قائمة بذاتها ولذاتها.

ورغم أن بعض المؤلفات التى عرضت للنظرية تخفق فى تعريف وتحديد مفهوم النظرية الاجتماعية، فمن الممكن أن نلقى مزيداً من الضوء على الأراء السابقة بتحليل تعريفات علم الاجتماع كما عرضت فى بعض هذه المؤلفات. وقد أشار مارتندال إلى علم الاجتماع - على سبيل المثال - باعتباره العلم الذى يدرس الحياة الإنسانية فى صورها المتبادلة عند بنى البشر. أما تيماشيف فيعرف علم الاجتماع تعريفاً آخر فى كتابه المشهور «نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها»(*). بأنه «العلم الذى يدرس المجتمع على مستوى عال من العمومية والتجريد». ويترتب على ذلك أن النظرية الاجتماعية تتكون من مجموعة من الافتراضات التى تحاول تفسير أو شرح المجتمع والحياة الإنسانية فى صورها المتبادلة بين البشر. وعلى العموم فالنظرية الاجتماعية نسق تفسيرى للظواهر الإجتماعية.

ومما سبق عرضه قد يبدو فى الظاهر أن ثمة إتفاقاً عاماً بشأن بناء النظرية الاجتماعية بيد أن الشئ الواضح هو أن الأمر على خلاف ذلك، فإعتماداً علئ كيفية رؤية علماء الاجتماع لطبيعة الظواهر الاجتماعية (فيما يتعلق بدرجة تعقدها ومدى ملائمتها للمنهج العلمى) نستطيع أن نقول أن هناك مدى من التباين بين علماء الاجتماع، فهناك من ينظر إلى النظرية الاجتماعية باعتبارها لا منطقية ولا علمية وشكلا من أشكال الفن يقوم على الوصف بالضرورة. وهناك من يرى أن النظرية الاجتماعية نظرية علمية منطقية ومنهاجية وتفسيرية. ولقد نظر روبرت نيسبت إلى علم الاجتماع باعتباره شكلاً فنياً تصاغ مقدماته وأفكاره من خلال عمليات الابداع. وعملية الابداع هذه عملية مشتركة بين الفن وعلم الاجتماع.

(*) ترجم هذه الكلمات إلى العربية محمود عوده وآخرون، القاهرة، الطبعة الأولى، دار المعارف ١٩٧١.

ولقد تبنى رايت ميلز رؤية مماثلة عندما وصف عالم الاجتماع بأنه أشبه بالحرفى القديم الذى يستعين بالمخيلة الاجتماعية(**) عند التفرقة بين مفهومات المجتمع الكبير الحجم والشروح التفصيلية، مركزاً على بناء المجتمع ككل والتطور التاريخى لهذا المجتمع، وأنماط الناس أو المجموعات المتباينة من الناس الذين يكثرون عدداً فى هذا المجتمع فى مرحلة معينة من مراحل تطوره. وبدلاً من التركيز على نظرية عامة أو دراسات تجريبية متخصصة تخصصاً دقيقاً، رأى رايت ميلز أنه يتعين على علماء الاجتماع استخدام التنظير العام والتجريب الخاص بصورة مرنة مألوفة فى العلم. ولكن المنهج الذى تبناه ميلز هدف إلى تطبيق مفهومات الوحدات الكبيرة على الدراسة التجريبية للوحدات الصغيرة.

وقد حاول ميرتون أن يعبر الفجوة بين المستويات العامة والخاصة للتحليل بالاستعانة بنظريات المدى المتوسط، وهى مجموعة محددة من الإفتراضات تستنبط منها مجموعة محددة من الفروض المنطقية التى يؤكد صحتها من البحث التجريبى. وتحاول نظرية المدى المتوسط عند تحليل الحالة (سواء جماعة المرجع أو نظرية الدور) ربط الفرد مع البناء الاجتماعى من خلال شبكة من علاقاته الاجتماعية واستناداً على هذا المدخل فنظرية علم الاجتماع تركز على الجماعة بدلاً من التحليل على مستوى المجتمع أو مستوى الفرد.

وفى نهاية الطرف الآخر لهذا السياق يقف بعض علماء الاجتماع الذين يقبلون تعريف النظرية تعريفاً علمياً، وفى طليعة هؤلاء يقف جورج هومانز وهانز تستربرج، إذ يرى هومانز أن النظرية تتكون من منهج علمى ومجموعة من القضايا الاستنباطية، بعضها يخضع للتجريب، ومن ثم يمكن أن تختبر. وقد وصل هومانز إلى نتيجة مؤداها أن ثمة عدداً قليلاً من النظريات فى مجال علم الاجتماع يتوافر فيها تعريف وتحديد ما ينبغى أن تكون عليه النظرية، سواء درسنا النظريات المعيارية أو اللا معياريه. أو الثنائية أو الوظيفية أو النفسية.

(**) قام الدكتور أحمد ابو زيد بترجمة مصطلح Sociological Imagination إلى «المخيلة الاجتماعية».

ومن ثم يرى هومانز أن النظريـة الاجتماعيـة هُلامية الشكل أكثر ممـا ينبغـى تماماً وتتطلب صياغة أدق، لكى تظهر نظرية بالمعنى المألوف فى العلم.

ومن ناحية أخرى نجد هـانز تسـتربرج يدعـو إلـى مدخـل منطقـى لعلـم الاجتماع، يؤكد على التحليل المنظم المنهاجى لأنماط العلاقـات بيـن المتغيـرات والقضـايـا فـى شـكل بديهـى اسـتنباطى. ويمثـل هـذا المدخـل الـذى يعتمـد علــى البديهيـات والاسـتنباط فـى النظريـة الاجتماعيـة الـذى افترضـه سـتربرج، مـع مجموعة القواعد المحددة للاستنباط المنطقى واحـداً مـن أهـم المداخـل المنطقيـة الصوريـة فـى النظريـة الاجتماعيـة. ولقـد قـدم العلمـاء المحدثـون لهـذا المدخـل توضيحات كثيرة تهتم بعملية بناء النظرية فى علم الاجتماع.

ويكشف لنا الحوار السابق عن مدى مـن الأراء الواضحـة تتعلـق بخصـائص النظرية الاجتماعية، تقع على متصل واحد، أحد قطبيـه يركـز علـى الاهتمـام بالشكل والمنهج والقطب الآخر يهتم بالتجريب بصرف النظر عن الشكل. ونجد نيسبت وميلز ينظران إلى علم الاجتماع باعتباره شكلاً من أشكال الفن الإبداعـى والحـرف القديمـة الكلاسيكية. وفى أقصى الطرف الآخر نجد هومـانز وستربرج اللذين يدعـوان إلـى الاهتمام بالناحية المنطقية والصورية والبديهيات عند صياغة النظرية الاجتماعية. كما نجد ميرتون يحاول التوفيق بين الاتجاهين، وصاغ لنا نظرية المدى المتوسط، حاول خلالها أن يربط بين الفرد والبناء الاجتماعى علـى مستوى الجماعـة. وهكذا فقد نظر إلى النظرية الاجتماعية باعتبارها تضم مجموعة من المنظورات تعتمد على تعريف كل منظر للنظرية بوجه عام والنظرية الاجتماعية على وجه الخصـوص، وتتضمن هذه الأراء أهدافاً نظرية مختلفة وافتراضات متباينة، ومناهج متعددة كما يوضح الشكل التالى (شكل رقم ٢) ومن ثم فالنظريـة الاجتماعيـة ليست منظـوراً متجانساً، بل تعكس مجموعة متباينة من الاتجاهـات الفكريـة تتشـتت بيـن الاتجـاه الكلاسيكي والفلسفى والاتجاه المنطقى والعلمى.

وقد أشار هومانز إلى ملاحظة هامة مؤداها أنه مهما كان رأى المنظر فقد أخفقت أغلب النظريـات الإجتماعيـة فـى التوافق مـع النمـط المنطقـى العلمـى الـذى

حدده، أى أنها أخفقت كلها فى التوافق مع الطرف المنطقى العلمى للمتصل. وعلى العكس فلم تتجاوز معظم النظريات فى علم الاجتماع مرحلة النموذج إلا قليلاً وقد استخدمت هذه النماذج بما لها من جذور اجتماعية وفكرية وشخصية فى تفسير الظواهر الاجتماعية. إن لب أى صيغة أو عملية تنظير وفقاً لأراء جيرالد هيج هو تصنيف متغيرات الظواهر الاجتماعية موضوع البحث فى فئات معينة، أى أن هذه التصنيفات هى موضوع اهتمام النظرية. وهكذا فالنماذج فى علم الاجتماع تختلف فى محور اهتمامها الأساسى. فالبعض ينظر إلى المجتمع باعتباره وحدة عضوية وظيفية مؤكداً على الأنساق الاجتماعية باعتبارها مجموعة من القوى المتعارضة والبعض الآخر ينظر إلى المجتمع كمجموعة من الأفراد المتفاعلين والمتصلين سوياً، ومهما كان محور اهتمام النظرية فإن هذه الاتجاهات أو النماذج النظرية تمثل القاعدة التى يقوم عليها التفسير النظرى فى علم الاجتماع.

شكل رقم (٢)
الأفكار المتضمنة فى النظرية الاجتماعية

عالم الاجتماع / مظاهر النظرية	نيسبت	ميلز	ميرتون	هومانز	ستربرج
الأهداف	النظرية فن ابداعى	المخيلة الاجتماعية تشبة الحرفة الكلاسيكية	نظرية المدى المتوسط	تضم النظرية مجموعة من القضايا المستنبطه من البديهيات	علم الاجتماع علم
الافتراضات	علم الاجتماع والفن مظهران من عملية الإبداع	أهمية السياق التاريخى للمجتمع	ترتبط نظرية المدى المتوسط بمستويات التحليل الكبير والصغير معاً	أهمية العنصر النفسى عند صياغة النظرية الاجتماعية	إن صياغة نظرية علمية فى علم الاجتماع أمر ممكن
المنهج	التنظير اللامنهجى الخلاق وتجريد الافكار	تطبيق مفهومات المجتمع كوحدة صغيرة على الدراسات التجريبية للوحدة الكبيرة	الاستفادة من نظرية جماعة المرجع والابحاث التى تقوم على هذه النظرية	البناء المنطقى والاستنباط	عملية الاستنباط من البديهيات

واستناداً على الاتجاهات التى عرضنا لها يمكن أن نعرف النظرية الاجتماعية باعتبارها مجموعة من النماذج (الافتراضات المجردة) تتعلق بالمجتمع والظواهر الاجتماعية. وتؤكد هذه النماذج أن المجتمع والظواهر الاجتماعية حقيقة اجتماعية منفصله وتستخدم هذه النماذج لتفسير البناء الاجتماعى والعمليات الاجتماعية التى تحدث داخل المجتمع. ويتباين محور اهتمام هذه النماذج كما تتباين فى المستوى والناحية الصورية. وتلك خصائص سنهتم بها بعد قليل.

الأنماط الأساسية والمشكلات الكبرى فى النظرية الاجتماعية:

ولقد بينا أن النظرية عامة تتباين فى عدد من الأبعاد الأساسية:

١- مستوى الشكل ٢- والتفسير

٣- والايديولوجيا ٤- والموضوعية

٥- ونوع التفسير (التفسير على مستوى الوحدة الكبيرة أو التفسير على مستوى الوحدة الصغيرة).

٦- ومحور الاهتمام (البناء والعملية).

٧- والعوامل المستخدمة فى التفسير (العوامل الطبيعية الاحيائية أو العوامل الاجتماعية).

وتتصف أغلب النظريات الاجتماعية بأنها منطقية لا صورية ووصفية وحدسية واستنباطية، وتنحو إلى الايديولوجيا. إلا أنها تتباين فى المستوى (مستوى الوحدة الصغيرة أو الوحدة الكبيرة) والعوامل المستخدمة فى التفسير (العوامل الطبيعية الاحيائية أو الاجتماعية) ومحور اهتمامها (البناء الاجتماعى أو العملية) وباستخدام هذه الأبعاد الثلاثة يمكن أن نوضح بالتفصيل النمط العام للنظرية الاجتماعية ليضم الأنماط الأساسية الثلاثة للنظرية الاجتماعية. ويوضح الشكل رقم ٣ الأنماط الاساسية الثلاثة فى النظرية الاجتماعية الغربية. وتضم هذه الانماط عدداً من الصيغ الاجتماعية الأساسية على النحو التالى: العضوية - الوظيفية - البنائية؛ والصراع الراديكالى؛ والسلوكية الاجتماعية - النفسية الاجتماعية، وعلاوة على ذلك فالنظرية التى تهتم بدراسة الوحدة الاجتماعية

الكبيرة الحجم هى نظرية استنباطية فى الشكل بينما توصف النظرية التى تهتم بدراسة الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم باعتبارها نظرية استقرائية. والنظرية التى تهتم بالوحدة الاجتماعية الكبيرة الحجم وتركز على البناء الاجتماعى تتعاطف عادة مع الايديولوجيا المحافظة. أما النظرية التى تدرس الوحدة الاجتماعية الكبيرة الحجم وتركز حول العملية الاجتماعية (كما يوضح ذلك نموذج الصراع) فتعبر عن اتجاهات راديكالية فى علم الاجتماع سواء فيما تضم من معان أو أفكار. أما النظرية التى تهتم بالوحدات الصغيرة الحجم، فهى بوجه عام نظريات محافظة، رغم أنها تؤكد صراحة أهمية المنهج العلمى والظواهر الوظيفية على مستوى تحليل العلاقات الشخصية.

شكل رقم (٣)

الأفكار المتضمنة فى النظرية الاجتماعية

مستوى التحليل	الوحدة الاجتماعية الكبيرة		الوحدة الاجتماعية الصغيرة	
نمط التفسير	التفسير فى ضوء العوامل الطبيعية	التفسير فى ضوء النسق الاجتماعى	التفسير فى ضوء العوامل الطبيعية	التفسير فى ضوء النسق الاجتماعى
المحور				
البناء	النظرية العضوية	النظرية البنائية الوظيفية	السلوكية الاجتماعية	النظرية النفسية الاجتماعية
العملية	نظرية الصراع	علم الاجتماع الراديكالى	السلوكية الاجتماعية	النظرية النفسية الاجتماعية

ويمكن أن نحدد الخصائص الأساسية لهذه النماذج النظرية على النحو الآتى:

أولاً – النموذج العضوى – البنائية الوظيفية:

يرى هذا النموذج أن المجتمع نسق يتكون من أجزاء مترابطة فيما بينها، يؤدى كل جزء منها وظيفة. وهذا النموذج فى شكله الأول، أى المدخل العضوى – يرى أن ثمة عدداً من القوانين الطبيعية فى المجتمع تمارس فاعليتها بطريقة آلية عضوية بينما يتطور النسق الاجتماعى اثناء نموه.

وثمة شكل ثان من أشكال المدخل العضوى، يرى المجتمع فى صورة تماثل صورة الكائن العضوى، وهذه الصورة واضحة فى كتابات أميل دوركيم وتونيز، وقد تبنى هذان العالمان أكثر من غيرهما المدخل الاجتماعى أو مدخل الأنساق عندما أكدا أن المجتمع كائن متكامل متجانس يعتمد على نسق تقسيم العمل، والذى بدوره يرتبط بأنواع من المعايير أو الإرادة الجمعية التى تربط الفرد بالبيئة الاجتماعية التى ينتمى إليها. ويؤكد هذا المدخل على الظواهر الاجتماعية والأنساق الاجتماعية بدلاً من الظواهر الطبيعية، ولكنه بدوره مدخل عضوى إذ يرى المجتمع كائناً متكاملاً.

ويمثل المدخل البنائى الوظيفى رؤية معاصرة للمدخل العضوى السابق عليه ويركز هذا المدخل على الكيفية التى يعبر بها أى نسق اجتماعى عن عدد من الوظائف الأساسية أو مشكلات النسق. ويحاول منظروا هذه المدرسة أن يطوروا نظريات عامة عن المجتمع فى إطار المشكلات الأساسية التى تُحّل اجتماعياً اثناء تطور عدد من الأنساق الاجتماعية الجزئية.

ومن ثم فبوجه عام فإن النموذج العضوى - البنائى الوظيفى يتصور المجتمع نسقاً عضوياً متكاملاً على مستوى الوحدة الصغيرة ومستوى الوحدة الكبيرة. والمجتمع نسق يتطور تلقائياً نحو تكامل اجتماعى أكبر وكفاءة داخلية أوفر. وقد أصبح هذا المدخل مدخلاً أساسياً فى النظرية الاجتماعية إذ ترجع الجذور الفكرية لهذا المدخل إلى فلسفة عصر التنوير ثم أُحكم صياغتها بأقتباس شروح كثيرة من علم الأحياء والمماثلة بين المجتمع والكائن الحى. إن الخصائص الاساسية لهذا النموذج هى الرؤية الشاملة للبناء الاجتماعى واستفادته من طريقة التفسير فى ضوء العوامل الطبيعية وفكرة النسق عند تفسير الظواهر.

ثانياً - نموذج الصراع والراديكالية:

يهتم نموذج الصراع مثله مثل النموذج البنائى الوظيفى بالنسق. ولكنه يرى أن الصراع عملية حتمية وأساسية داخل النسق بدلاً من تأكيد التوافق

والتكامل بين أجزاء النسق. وعندما يناضل الأفراد مع الطبيعة لمواجهة الحاجات الأساسية تظهر أشكال مختلفة من الصراع والهيمنة والسيطرة تمثل الأساس الذى يقوم عليه النسق الاجتماعى. وهكذا فالمجتمع فى حالة صراع وتطور مستمرين. ومدخل الصراع التقليدى واضح فى كتابات وأعمال كارل ماركس الذى طبق منهج المادية الجدلية عند تحليل تاريخ نضال الإنسان مع الطبيعة ومع نفسه. وثمة مدخل مماثل للمشكلات الاجتماعية تبناه روبرت بارك الذى طبق إطار العمل الإيكولوجى – أى العوامل البيئية – على دراسة التطور الطبيعى للمجتمع. وقد تبنى كل من باريتو وفبلن المدخل الطبيعى. وقد استفاد هذان العالمان من أفكار مثل الرواسب والسمات الإنسانية لتفسير التوازن والصراع الاجتماعى.

وتحاول نظرية الصراع المعاصر إعادة صياغة المدخل الماركسى لتجعله أكثر ملائمة لفهم المجتمع الصناعى الحديث. وقد عرف دارندورف نظرية صراع الجماعات. وقدم لويز كوزر شرحاً لوظائف الصراع الاجتماعى. وقد أدمجت نظرية الصراع فى علم الاجتماع المعاصر فى أراء وأفكار المدخل الراديكالى. وقد إشتهر رايت ميلز باكتشافه علم اجتماع أكثر راديكالية، وساير الماركسية فى إهتمامها بعلم الاجتماع التطبيقى بدلاً من علم الاجتماع النظرى. أما دافيد ريزمان فقد رأى أن توزيعات السكان أساس الصراع الاجتماعى والتغير ووصف ذلك بدقة فى أنماط ثلاثة للتوافق الاجتماعى.

ومن ثم ينظر نموذج الصراع – الراديكالى إلى المجتمع باعتباره نسقاً تسوده قوة متصارعة تنشأ من صراع الأفراد لتلبية الحاجات الأساسية (الفيزيقية). وقد استفاد هذا المدخل من التفسير الطبيعى والتفسير الاجتماعى للنسق. ولهذا أصبح هذا المدخل مماثلاً للنموذج العضوى والبنائى الوظيفى فى تصورهما سوياً المجتمع نسقاً كبير الحجم. بيد أن المدخلين يختلفان فى تأكيد أحدهما للصراع كعملية اجتماعية مقابل تأكيد الآخر للتوافق والتكامل الاجتماعى ويترتب على ذلك تناقض ايديولوجية كل مدخل تناقضاً جذرياً.

ثالثاً – النزعة السلوكية الاجتماعية – المدخل الاجتماعى النفسى:

فى مقابل المدخل البنائى الوظيفى ومدخل الصراع يتصور أنصار السلوكية الاجتماعية المجتمع على مستوى الوحدة الصغيرة الحجم والعلاقات الشخصية المتبادلة. ويعتمد هذا المدخل على الإستقراء بدلاً من الاستنباط، ويرى أنصار هذا المدخل المجتمع عادة كإرادة فردية مغفلين المشكلات الوظيفية الأساسية للنسق. وتتضمن النزعة السلوكية الاجتماعية عادة التفسيرين الاجتماعى والطبيعى. ولقد درس كل من ماكس فيبر وجورج ميد الفرد باعتباره نتاج المجتمع وركزا على معنى السلوك الإجتماعى وعمليات التفاعل الاجتماعى ومن جهة أخرى إستفاد كل من جورج زيمل ووليم سمنر من الفروض التى طرحت فيما يتعلق بالغرائز والرغبات لتفسير البناء الاجتماعى والتطور الاجتماعى.

أما النظرية الاجتماعية النفسية الحديثة فعلى نقيض ذلك تعطى اهتمامها للبيئة الاجتماعية وعلاقات الفرد مع البيئة، وتركز دراساتها على عمليات التنشئة الاجتماعية والأدوار والتبادل وأداء الدور وتعريف الفرد الذاتى للحقيقة. وفى هذا المجال سندرس التفاعلية الرمزية ونظرية الدور ونظرية التبادل. ويختلف مدخل السلوكية الاجتماعية عن المدخلين السابقين فى اهتمامه بالوحدة الصغيرة الحجم عند دراسة الظواهر الاجتماعية، ولكنه يتفق معهما فى الإعتماد على التفسير الطبيعى والاستعانة بفكرة الأنساق الاجتماعية المعيارية فى التفسير.

المقارنة بين النماذج الثلاثة:

تختلف النماذج الثلاثة اختلافاً واضحاً فيما بينها، فالبنائية الوظيفية تركز على التكامل الاجتماعى، مقابل تأكيد مدخل الصراع الراديكالى على الصراع، وتأكيد مدخل السلوكية الاجتماعية على الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم والإستقراء كمنهج. وقد تغيرت طرق التفسير خلال تطور كل مدخل إبتداء من التفسير الطبيعى والاهتمام بالنسق كله فى الدراسات المبكرة الرائدة وإنتهاء بالتأكيد الواضح على التفسير الاجتماعى للنسق فى النظرية المعاصرة. ويلخص لنا شكل رقم ٤ مدخلنا فى دراسة هذه النماذج. وكما أن هناك صوراً للخلاف بينها فثمة نقطتا اتفاق بين المداخل الثلاثة.

شكل رقم (٤)

مقارنة بين النماذج الثلاثة

نموذج الجوانب	العضوية – البنائية الوظيفة	الصراع – الراديكالية	السلوكية الاجتماعية – النظرية النفسة الاجتماعية
١- الأهـــــداف	صياغة نظرية عامة عن المجتمع باستخدام مدخل الأنساق	صياغة نظرية عامة عن المجتمع باستخدام مدخل الأنساق	يفهم أفراد المجتمع باعتبارهم نتاج المجتمع
٢- الافتراضات	١- المجتمع نسق يتكون من اجزاء مترابطة متكاملة وظيفياً. ٢- أهمية القوانين الطبيعية. ٣- أهمية تقسيم العمل. ٤- أهمية دراسة المشكلات الاجتماعية الأساسية.	١- يتكون المجتمع من اجزاء متصارعة ومتنافسة ومتنافرة. ٢- أهمية القوانين الطبيعية. ٣- أهمية التصنيع والبيروقراطية. ٤- أهمية الحاجات الأولية الأساسية.	١- المجتمع إرادة فردية. ٢- أهمية دراسة الرغبات والغرائز. ٣- الفرد نتاج اجتماعي. ٤- أهمية التنشئة الاجتماعية كعملية أساسية.
٣- المنهـــج	١- تطبيق القوانين الطبيعية عند دراسة المجتمع. ٢- تطبيق ظاهرة تقسيم العمل عند دراسة المجتمع. ٣- دراسة مشكلات المجتمع دراسة تطبيقية. ٤- استخدام الطريقة الاستنباطية للإستفادة من القوانين الطبيعية والأنساق الاجتماعية.	١- تطبيق فكرة الصراع الاجتماعي عند دراسة المجتمع. ٢- تطبيق مفهومات التصنيع والبيروقراطية عند دراسة المجتمع. ٣- تطبيق مفهومات الحاجات الأساسية عند دراسة المجتمع. ٤- استخدام الطريقة الاستنباطية للإستفادة من البراهين الطبيعية والاجتماعية.	١- تطبيق مفهومات الغرائز والرغبات عند دراسة المجتمع. ٢- استعمال مفهوم الطبيعة الانسانية الاجتماعية عند دراسة المجتمع. ٣- تطبيق عملية التنشئة عند دراسة المجتمع. ٤- الاستفادة من البراهين الطبيعية والأنساق الاجتماعية باستخدام الطريقة الاستنباطية.

١- تركيز المداخل الثلاثة على النظام الاجتماعى والتغير.
١- إستفادة المداخل الثلاثة من التفسير الطبيعى والتفسير الشمولى التكاملى استناداً على فكرة النسق.

وفى هذه النقطة فمن المناسب أن نعيد تعريف النظرية الإجتماعية بأنها «نسق من النماذج تطبق مفهوم النظام الإجتماعى والتغير وتستعمل فى شرحها القوانين الطبيعية وفكرة الأنساق المتكاملة».

التطور التاريخى للنظرية الاجتماعية:

لقد تقدم الفكر الإنسانى تقدماً واضحاً خلال أطوار متميزة من تاريخ البشرية، وأفضل الأمثلة على تطور الفكر الإنسانى يبدأ من طور الحكمة الشعبية، ثم طور الفكر الدينى ثم الفكر الفلسفى ثم النزعة الطبيعية ثم النزعة العقلانية وأخيراً النزعة النفعية[1]. وقد ظهر علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية فى مرحلة متأخرة من مراحل تطور التفكير الإنسانى فى بيئة تاريخية محددة، أى فى اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بعد الثورات السياسية فى اوربا وتعجيل عملية التصنيع فى القارة الاوربية[2]. ولقد تصور روبرت نيسبت تلك الفترة التى شاهدت ميلاد علم الاجتماع بأنها فترة تتميز بإنفجار ثورتين هامتين. الثورة الأولى وهى الثورة الصناعية ثم الثورة الفرنسية. والثورة الأولى ألقت الضوء على قضايا ترتبط بظروف العمل والملكية والمدنية ونظام المصنع والتكنولوجيا، بينما رفعت الثورة الديمقراطية فى فرنسا شعارات تنادى بالمركزية والمساواة والقومية والوطنية أو التجمع الوطنى والعلمانية

---

(١) النفعية ترجمة عربية للمفهوم الانجليزى Pragmatism. وارد به أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا التأمل النظرى ويرى أن معيار صدق الاراء والافكار - والافعال - هو فى قيمة عواقبها عملاً وهو وصف لكل ما يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة - راجع المعجم الفلسفى - مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٧٩. المترجم

(٢) يمكن أن نقول أن علم الاجتماع اوربى النشأة إذا أغمضنا أعيننا عن جهل أو سبق اصرار بأهمية ابن خلدون ومساهمته فى نشأة علم الاجتماع أو باعتباره حلقة منسية ومفقودة فى تاريخ العلم (المترجم).

والبيروقراطية. وهكذا إحتلت المشكلات الاقتصادية والسياسية مكان المقدمة. كما تأكد أهمية الحاجة إلى فهم المجتمع كوحدة للتحليل فى ذاتها ومن أجل مصلحة هذا المجتمع، وقد إستفادت النظرية الاجتماعية من الميراث الفلسفى لعصر التنوير وعصر النهضة، وبدأت تطبيق التقاليد والتعاليم الفكرية لهذين العصرين عند دراسة الفرد والمجتمع.

ولقد تغير هذا الميراث الثقافى بعد أن إحتل التطور الاقتصادى مكانة متميزة، وبعد ظهور النزعة النفعية والمنهج العلمي، وترتب على هذه التغيرات تعديل محور اهتمام وافتراضات النظرية الاجتماعية وتحول اهتمام النظرية الاجتماعية من المجرد والفكر الفلسفى إلى دراسة الظواهر المحسوسة والتجريبية. بيد أنه من الأهمية أن نؤكد هنا أن النظرية الاجتماعية ظهرت استجابة للتغيرات الاقتصادية والسياسية فى المجتمع الأوربى وحاولت أن تدرس المشكلات الاجتماعية فى زمانها وبيئاتها باعتبارها نظاماً عقلانياً جديداً. ولما كان المجتمع نفسه متغيراً، فإن النظرية الاجتماعية تتغير أساساً استجابة للإدراك المتغير للحقيقة الاجتماعية وبهذه الكيفية ظهرت النظرية الاجتماعية فى سياق فلسفة القرن التاسع عشر، ثم تعدلت نتيجة التطور العام للمجتمع متحولة إلى الطريقة العلمية، وممثلة للمفهومات السائدة والمتغيرة للنظام الاجتماعى والتقدم الاجتماعى.

لقد درس عدد من الباحثين الطريقة التى تغيرت بها النظرية الاجتماعية. وتعد دراسة وليم كاتون ذات أهمية خاصة ولقد صدرت هذه الدراسة تحت عنوان «تطور الفكر الاجتماعى العلمى» وقد رأى هذا العالم أن أهداف علم الاجتماع تتحول من مرحلة ما قبل العلم إلى المرحلة العلمية، وأن منهج علم الاجتماع تغير من الرؤية الشمولية الكونية أو الرؤية العامة للكون إلى الرؤية الأكثر تحديداً كلما توطدت مناهج العلم الطبيعى فى الدراسات الاجتماعية. وقد رأى كاتون أن مضمون علم الاجتماع أصبح يهتم اهتماماً ضئيلاً بالتركيز حول النزعة العرقية وتحول الاهتمام إلى دراسة الوحدات الصغيرة، كما اعطى علم الاجتماع المعاصر اهتماماً أكبر إلى قضية

وضوح المفهومات الأساسية، وعلى العموم فقد رأى كاتون أن علم الاجتماع علم متغير، هجر التفسيرات الفلسفية والشمولية والعرقية إلى التفسيرات العلمية والموضوعية، بعد أن أصبح المنهج العلمى هو الفلسفة المسيطرة فى مجال العلم.

وقد حدد كوتون المتغيرات الأساسية الآتية عند تحليله لتطور النظرية الاجتماعية.

(١) تزايد الاهتمام بالأهداف الاجتماعية الصغيرة والمحددة.
(٢) وتزايد التأكيد على التفاعل داخل الوحدات الصغيرة وتعريفات الحقيقة الاجتماعية.
(٣) والإستفادة من الملاحظة التجريبية مقابل التحليل الفلسفى.
(٤) وتطور الأنماط التى تركز على العمليات الصغيرة بدلاً من دراسة التغيز البنائى والاجتماعى. وعلى العموم، فإنه يمكن أن يفهم أن النظرية الاجتماعية قد تطورت من النمط الفلسفى والوصفى ودراسة الوحدة الكبيرة الحجم ومن الاهتمام بالايديولوجيا إلى النمط الأكثر إهتماماً باساليب البحث فى العلوم الطبيعية والتفسير والوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم والموضوعية وذلك كله إستجابة للتغيرات التى طرأت على المناخ الفكرى فى المجتمع الأوربى.

بيد أنه ينبغى ألا يفترض أن هذا التطور يسير فى خط مستقيم جامد، فكما نعرف فإن نماذج العضوية والصراع والسلوكية الاجتماعية قد تطورت، وظهرت مرة أخرى فى علم الاجتماع المعاصر فى أشكال جديدة واتخذت أسماء جديدة. وعرفت النزعة العضوية بأسم النزعة الوظيفية البنائية وأشتهر مدخل الصراع بمدخل الصراع المعاصر أو علم الاجتماع الراديكالى كذلك عرفت السلوكية الاجتماعية بإسم الإتجاه الاجتماعى النفسى. وهكذا انعكست المنظورات الأساسية فى المدرسة العضوية ومدرسة الصراع ومدخل السلوكية الاجتماعية والتى ظهرت فى وقت مبكر على الكتابات المعاصرة فى النظرية الاجتماعية، وأعطت تأكيداً أكثر على التفسير الاجتماعى بدلاً من التفسير الطبيعى. وقد طبق علم الاجتماع المعاصر المنهج العلمى عند دراسة الوحدة

الاجتماعية الصغيرة. وهكذا يمكن أن نقول أن تطور النظرية الاجتماعية قد إتخذ شكل دورات متعاقبة فى هذه النماذج الثلاثة، ولكنه سار فى خط مستقيم فى الحركة نحو قبول المنهج العلمى، والاهتمام بالوحدات الصغيرة بتأثير تطور الفلسفة النفعية والنزعة التجريبية على المضمون الفكرى لعلم الاجتماع. ولقد إرتبط بهذا التطور ارتباطاً وثيقاً تأثر علم الاجتماع بالمعايير والحاجات المدركة حسياً فى البيئة الاجتماعية التى ظهر فيها.

أثر الظروف المجتمعية على النظرية الاجتماعية:

وثمة ظروف وعوامل اجتماعية وفكرية وتاريخية ساهمت فى تطور النظرية الاجتماعية، وأهم هذه العوامل هى ما يلى:

الظروف المجتمعية: لقد ظهرت النظرية الاجتماعية إستجابة لظروف مجتمعية معينة وأهمها على الخصوص الثورة السياسية فى فرنسا والتغير الإقتصادى والتأثيرات الاجتماعية المترتبة على التصنيع فى أوربا، وتطور العلوم، وهكذا ظهرت النماذج الثلاثة فى اوربا الغربية وامريكا - العضوية والصراع والسلوكية الاجتماعية - باعتبارها إستجابة للتطورات الخاصة التى حدثت فى المجتمع الاوربى، فقد ظهرت النزعة العضوية رد فعل للثورات فى اوربا، وأعطت تأكيداً أكبر لمبدأ إعادة استمرار النظام الاجتماعى وتحقيق الضبط الاجتماعى. ولقد عبرت النزعة الوظيفية البنائية عن رد فعل لحاجات الاقتصاد الأمريكى فى الثلاثينيات من القرن العشرين. ولقد ظهر علم اجتماع الوحدات الكبيرة رد فعل لتغير اقتصاد المجتمع والحاجات التكنولوجية السائدة فى هذا العصر. وقد أعطى هذا الفرع من فروع علم الاجتماع أكبر اهتمام لنظرية الأنساق ونظرية السيبرنطيقا وهكذا تطور النموذج العضوى البنائى الوظيفى أساساً رد فعل لحاجة المجتمع إلى إعادة تأكيد اهمية النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى وتوطيده ورسوخه.

وقد ظهر نموذج الصراع الراديكالى فى الأصل عند هؤلاء الذين عانوا ووعوا أكثر من غيرهم بفترات الصراع السياسى والإضطهاد. وقد كتب كارل

ماركس نظريته فى الصراع بتأثير تلك الظروف. بينما ظهرت كتابات علم الاجتماع الراديكالى ونظرية الصراع المعاصرة فى العالم الرأسمالى لأول مرة فى عام ١٩٦٠ إستجابة إلى وعى متزايد لتأثيرات القهر والإضطهاد فى عصر التصنيع، والتزام علم الاجتماع بالمحافظة على الوضع الاجتماعى السائد وعدم الإنسلاخ عنه، وهكذا ظهر الإهتمام فى كتابات علم الاجتماع باهمية تقصى الظروف الاجتماعية التى وراء الانتفاضات الشعبية والصراع بين الطبقات وأعمال العنف وهيمنة الصفوة على الحكم والسلطة، مما أوضح أهمية تلك العمليات باعتبارها أساسية عند دراسة المجتمع وفى مجال النظرية الاجتماعية. وعلى نقيض المنظور البنائى الوظيفى أدرك نموذج الصراع الراديكالى أثر الوعى بالهيمنة والسيطرة والحاجة إلى تغيير المجتمع بدلاً من إعادة تأكيد الضبط الاجتماعى والتوازن.

ويمكن أن ينظر إلى مدخل السلوكية الاجتماعية باعتباره إنعكاساً لتطور النزعة السلوكية فى العلم، وظهور النفعية وزيادة التأكيد على المنهج العلمى والتركيز على خصائص الفرد بدلاً من خصائص المجتمع، ومن ثم فردود الأفعال للحاجة إلى تكنولوجيا صناعية فى شكل علم النفس الصناعى وعلم الاجتماع الصناعى أى ردود الأفعال إلى المشكلات الاجتماعية والإنسانية التى ترتبت على تطور الإقتصادى المتزايد وإدراك أهمية التخصص - كلها أسباب أكدت أهمية دراسة الفرد وعلاقته بالجماعة بدلاً من نقيض ذلك أى دراسة الجماعة وإنكار الفرد. وهكذا يمكن أن يفهم تزايد اهتمام علم الاجتماع بالوحدات الصغيرة وتعريف علم النفس الاجتماعى باعتباره رد فعل لتزايد اهتمام المجتمع بالنزعة النفعية (أى على الرؤية التى ترى أن الصواب هو ما يفيد)، وبالمنهج العلمى (التجريب) والمؤثرات الفردية للمجتمع البيروقراطى والتكنولوجيا (أى مجتمع تتزايد فيه الاتجاهات اللاشخصية وتدرج المكانات والسيطرة والكفاءة والمادية).

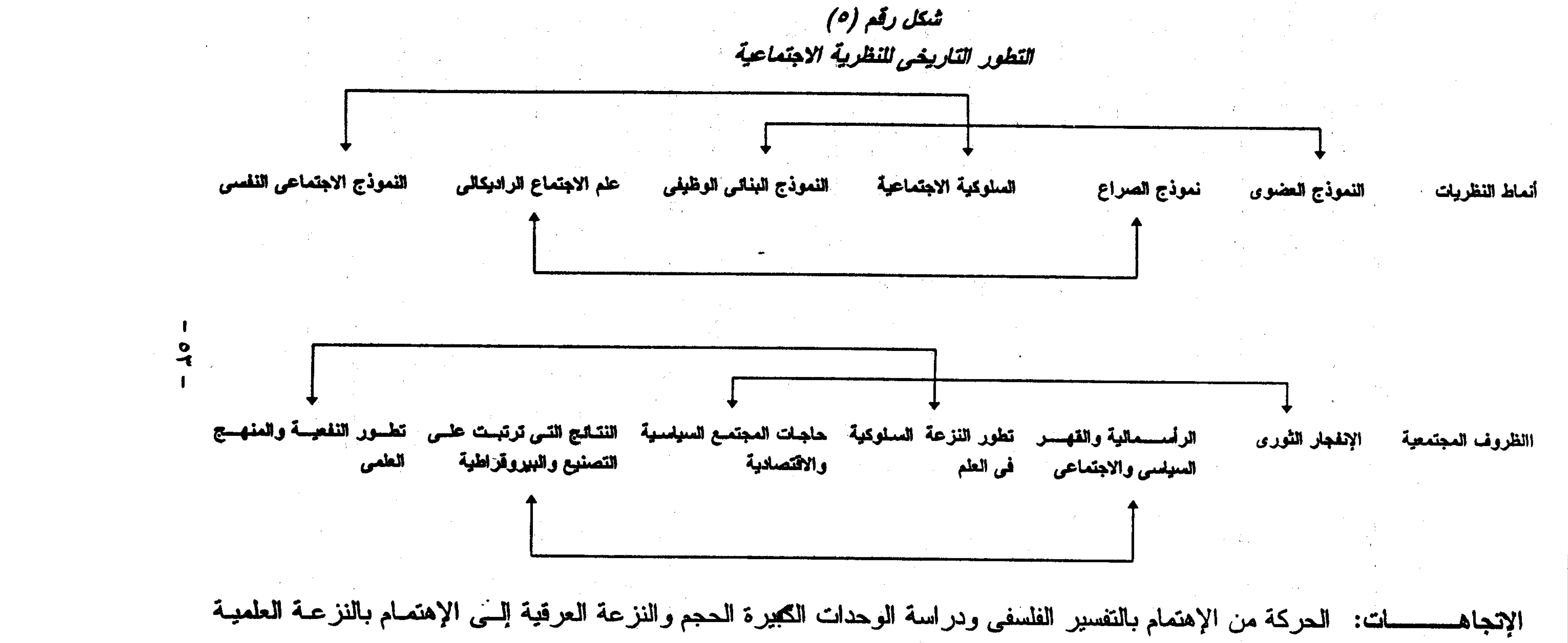
ومن ثم يمكن أن نصل إلى نتيجة مؤداها أن النظرية الاجتماعية تعبر عن رد فعل للإستجابة الأساسية لعلم الاجتماع للظروف والحاجات المجتمعية الخاصة والتأكيدات المعيارية السائدة فى المجتمع. وكما أوضحنا تتضمن هذه الظروف الحاجات المجتمعية والسياسية والإقتصادية وتجارب الاضطهاد والقهر وتطور العلم بكيفية تُلقى الضوء على الحركة نحو الاهتمام بالوحدات الصغيرة الحجم والظروف النفسية والاجتماعية. ولكن ردود الأفعال هذه كانت تدور فى شكل وحدات. كما بين تحليل الأعمال المعاصرة فى نظرية علم الاجتماع إحياء نموذج العضوية ومدخل الصراع والمدرسة السلوكية الاجتماعية فى شكل معاصر، ويوضح شكل رقم (٥) العلاقة بين البيئة الاجتماعية ونمط النظرية الاجتماعية العلمية.

المناخ الفكرى السائد فى المجتمع

تحدد القيم الفكرية السائدة فى المجتمع إلى حد بعيد مضمون وشكل النظرية الاجتماعية، وخاصة تلك القيم التى تعكس الأطوار المختلفة لحركة المجتمع نحو التصنيع. وهكذا تأثرت النظرية الاجتماعية فى نشأتها وتطورها تأثراً قوياً بفلسفة عصر التنوير. وأكدت أهمية النزعة الطبيعية والاتجاه العقلانى والتمثيل العضوى. وكانت الإفتراضات التى تتعلق بالطبيعية الإنسانية رافداً أساسياً فى دراسة الصراع عند ماركس. كذلك فقد كان من الواضح تأثير أنساق الفكر فى المراحل الأولى للتفكير الإنسانى مثل النزعة اليوتوبية ولاهوت العصر الوسيط على نظرية علم الاجتماع فى نشأتها. وما أن سيطرت روح النفعية وسادت النتائج المترتبة على تطبيق المنهج العلمى على المسرح الفكرى وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية، حتى تحولت الفلسفة من سيطرة النزعات العقلانية إلى النزعة النفعية وتحولت الحركة فى علم الاجتماع نحو صياغة النظرية الاجتماعية النفسية والاهتمام الأكبر بنظرية الوحدات الصغيرة الحجم.

شكل رقم (٥)

التطور التاريخى للنظرية الاجتماعية



الإتجاهات: الحركة من الإهتمام بالتفسير الفلسفى ودراسة الوحدات الكبيرة الحجم والنزعة العرقية إلى الإهتمام بالنزعة العلمية ودراسة الوحدات الصغيرة الحجم والإلتزام بالموضوعية.

ومن ثم فالمناخ الفكرى الذى يحيط بالمنظر له تأثير كبير وواضح على أعماله. وعلاوة على ذلك فإن تأثير زملاء العمل والذين يعيشون فى البيئة العلمية نفسها والذين يتفاعل معهم المنظر، ويتبادل الأفكار معهم، وخاصة من خلال التشجيع فى العمل والدعم المادى والنقد البناء والحوار المتصل له أثر لا ينكر على صياغة نظرية معينة وتطورها. وهكذا فالمناخ الاكاديمى يساعد على إبداع أنماط فكرية جديدة باستمرار. كما أن التعاون المشترك والدعم الاقتصادى والأكاديمى فى الجامعات ومراكز البحوث كلها عوامل ذات أهمية فى تزايد الإنتاج النظرى وقد تساعد البيئة الأكاديمية على ازدهار وتطور وإجهاض النظرية الاجتماعية بمقدار ما تقدم من دعم أكاديمى، وما يخصص من أموال تمويل البحوث. وهكذا وجدت بعض النظريات الاجتماعية الدعم فى بعض الجامعات والمجلات الأكاديمية، كما لاقت نظريات أخرى إهمالاً من بعض الجامعات، وبتأثير سيطرة النزعة النفعية على المناخ الأكاديمى حدث تحول أكثر إلى التجريب وإهمال التنظير. والحقيقة إن النظرية فى بداية تطورها نشأت فى بيئة فكرية تميل أكثر إلى التجريد والتنظير الفلسفى، وتكاد تخلو فى الوقت نفسه من القيود والضغوط الأكاديمية.

أثر الوضع الطبقى الخاص لعالم الاجتماع على أعماله:

وكما أوضحنا فإن وضع الفرد ومن ثم عالم الاجتماع فى البناء الاجتماعى يمارس تأثيراً قوياً على إدراكاته للمجتمع وما يحدث فيه، ومن ثم فهذا الوضع يؤثر تأثيراً حاسماً على نوع النظرية الاجتماعية التى يبدعها أو يؤيدها. وهكذا قد يبدو لنا أن منظرى البنائية الوظيفية نشأوا فى الطبقة العليا المتوسطة حيث يعتبر الضبط الاجتماعى أمراً ضرورياً والتطور المتناسق والمتوازن لعناصر البناء الاجتماعى مسألة أساسية. وتمثل النزعة البنائية العضوية رد فعل أبناء الطبقة العليا لحاجات المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حسب روح فلسفة التنوير. أما منظروا الصراع فقد كانوا أكثر تعرضاً للقهر السياسى والقمع والظلم الاجتماعى والاقتصادى والحرمان، لذا حللوا المجتمع وفسروه فى إطار الصراع والقهر. وغالباً ما يظهر هذا المدخل رد فعل لمعاناه

أفراد الطبقة المتوسطة والطبقة الدنيا الذين عانوا من القهر السياسي وسوء توزيع الثروة. وأخيراً لما كانت الأخلاق النفعية هي أخلاق الطبقة الوسطي، فإنه يمكن أن يوصف منظرو السلوكية الاجتماعية والدراسات الاجتماعية النفسية بأنهم أبناء الطبقة الوسطى. والحقيقة التى لا ينبغى أن تغيب هى أن علم الاجتماع الأوربى المعاصر يميل أكثر إلى التعبير عن مصالح ونظام الطبقة الوسطى وأصحاب الياقات البيضاء. ويعبر الكثير من كتابات علم الاجتماع المعاصر عن إستجابة أنصار السلوكية الاجتماعية من النفعيين أبناء الطبقة الوسطى لحاجات المجتمع الصناعى على مستوى الوحدة الصغيرة الحجم وإهمال الحاجات على مستوى الوحدات الكبيرة.

ومن ثم يمكن أن نقول أن الوضع الطبقى لصاحب النظرية الاجتماعية أو المكانة الاجتماعية للمنظر أو المتعاطف مع اتجاه نظرى معين، كلها مؤثرات تحدد مضمون وشكل نظرية علم الاجتماع التى يؤيدها. وبوضوح أكثر نقول أن الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها عالم الاجتماع تحدد مصالحه، وأن هذه المصالح الطبقية تحدد اتجاهاته النظرية ومضمون النظرية التى يؤيدها أو يرفضها.

وعلى العموم فالنظرية الاجتماعية فى العالم الغربى تمثل رؤية المجتمع وحاجاته عند مجموعة من الأكاديميين يعيشون فى بيئة اجتماعية معينة ويتوحدون مع مجموعة من القيم تؤثر على تجاربهم ونظرتهم إلى المجتمع.

وهكذا وبقدر ما تتغير البيئات الاجتماعية وتتغير الحاجات تتغير النظريات الاجتماعية ويتزايد على هذه النظريات المنهج العلمى والنزعة النفعية. وبهذه الكيفية تمثل النظرية الاجتماعية رد فعل عالم الاجتماع فى مرحلة معينة من تطوره، عندما يحاول تفسير وتحليل هذا التطور، ويتقصى حلولاً لمشكلاته الأساسية ولكى يكون كلامنا أقرب إلى الواقع وبعيداً عن التجريد، نقول أن النظرية الاجتماعية نشاط عقلى مستمر لفهم الحقيقة الاجتماعية.

شكل رقم (٦)

العوامل الأساسية التى تحدد النظرية الاجتماعية

الظروف المجتمعية	المناخ الفكرى السائد	الأوضاع الطبقية	نمط النظرية
١- حاجات الأنساق السياسية والاقتصادية والاجتماعية	١- فلسفة التنوير النزعة الطبيعية والنزعة العقلانية	١- الطبقة العليا وجذورها الاقتصادية وعمليات التنشئة الاجتماعية	١- الاتجاه العضوى والبنائية الوظيفية
٢- الصراع الاجتماعى والقهر والصراع الطبقى وتأثيرات التصنيع والبيروقراطية	٢- فلسفة عصر التنوير العقلانية والنزعة الطبيعية.	٢- الطبقة الفقيرة وجذورها الاقتصادية وأساليب التنشئة الاجتماعية الخاصة بها	٢- الصراع والراديكالية
٣- تطور حاجات المجتمع الصناعى. تطور العلم والنزعة السلوكية.	٣- النفعية	٣- الطبقة الوسطى وجذورها الاجتماعية والاقتصادية وأساليب التنشئة.	٣- النزعة السلوكية الاجتماعية والاتجاه النفسى الاجتماعى

أمثلة للنظرية الاجتماعية:

يتعين فى البداية أن نعرض بعض الأمثلة للاساليب التى تفسر بها النماذج الاجتماعية الكبرى كما يكشف عن ذلك أعمال بعض المفكرين. وقد تصور هؤلاء المنظرون المجتمع تصورات مختلفة، مرة باعتباره مجموعة من المعايير، ومرة ثانية باعتباره نسقاً وظيفياً يتكون من مجموعة أجزاء متساندة، يؤدى كل جزء منها وظيفته من أجل استمرار النسق وبقائه ومرة ثالثة باعتباره مجموعة من القوى المتعارضة أو باعتباره نسقاً تسيطر عليه الصفوة القوية أو باعتباره تنظيماً للرغبات الإنسانية الأساسية أو باعتباره مظهراً لقوة النظام الإخلاقى فى حياتنا اليومية. ومهما كان التباين حول هذه الآراء، فإنه يمكن أن نفهم بوضوح أن النظرية الاجتماعية تهتم اهتماماً أساسياً بفهم وتفسير النظام الاجتماعى والعمليات الاجتماعية فى بيئة اجتماعية محددة فى سياق هذه النماذج الثلاثة.

شكل رقم (٧)
أمثلة لنماذج النظرية الاجتماعية

النموذج	المنظر	مفهوم النظام الاجتماعى
١- العضويـــة - البنائيـــة الوظيفية	١- دور كيـــم	إن المظاهر الجمعية للمعتقدات والميول وممارسات الجماعة هى التى تحدد تحديداً واضحاً وصادقاً الظواهر الاجتماعية (قواعد المنهج فى علم الاجتماع).
	٢- بارســـونز	ندرس ونفسر الأنساق الإجتماعية باعتبارها مكونات نسق الفعل الأكثر عمومية والمكونات الأساسية الأخرى هى أنساق الثقافة وانساق الشخصية وسلوك الكائن الحى (نسق المجتمعات الحديثة).
٢- الصـراع - الراديكاليـة	١- مـــاركس	إن تاريخ كل المجتمعات الإنسانية الموجودة الآن هو تاريخ صراع الطبقات (المانيفستو. البيان الشيوعى).
	٢- رايـت ميـلز	فى هذا العصر الحديث أدت مجموعة من الظروف التاريخية إلى ظهور الصفوة التى تستحوذ على السلطة فالقرارات التى تتخذها هذه الصفوة والقرارات التى تفشل فى اتخاذها تعود بعواقب وخيمة على الجماهير.
٣- السـلوكية - الإجتماعيـة النفسية	١- زيمـــل	يدرك المجتمع باعتباره عملية تفاعل بين الأفراد (علم الاجتماع عند جورج زيمل)
	٢- جار فينكل	استعمل المصطلح الاثنوميتودولوجى (طريقة دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها) ليشير إلى تقصى الخواص العقلانية لأفعال عملية باعتبارها انجازات مستمرة محتملة فى التطبيقات الفنية المنظمة فى الحياة اليومية.. (دراسة فى الاثنوميتودولوجى).

الخاتمة:

لقد حاولنا فى هذا الفصل أن نُعَرِف النظرية الاجتماعية. وعرضنا مختلف الاراء التى كتبت عن بناء النظرية ووصفنا أنماطها الكبرى فى سياق تطورها التاريخى. وهذا كله يكشف تأثير البيئة الاجتماعية، ويقدم أمثلة كبرى رئيسية لمفهوم النظام الإجتماعى. وقد حددنا النظرية الاجتماعية بأنها مجموعة من الصيغ التى تخص المجتمع والظواهر الاجتماعية بالرجوع إلى الحقيقة الإجتماعية المنفصلة والتى تراعى البيئة الاجتماعية للمجتمع والعمليات الاجتماعية التى تحدث داخله. ولقد عرضنا متصلاً من الآراء فى النظرية تمتد من اللاصورية والناحية الفنية إلى الآراء التى تهتم بالناحية الصورية والناحية العلمية.

وبتطبيق ابعاد مستويات التحليل والعوامل المستعملة وبؤرة الاهتمام، صنفنا ثلاثة نماذج اجتماعية كبرى وهى النموذج العضوى – البنائى الوظيفى، ونموذج الصراع – الراديكالية، ونموذج السلوكية الاجتماعية – الاجتماعية النفسية – قد بينا أن هذه النماذج لست إلا إستجابة لحاجات المجتمع المتغيرة فى السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية سواء فى أوربا أو امريكا عندما تصدى مجموعة من علماء الاجتماع لدراسة المشكلات الاجتماعية وفق نظام فكرى جديد كما بينا أن التطور التاريخى للنظرية الاجتماعية يكشف عن حركة نحو المنهج العلمى ودراسة الوحدات الصغيرة. ومع ذلك فقد ظهرت هذه النماذج من جديد فى علم الاجتماع المعاصر مركزة تركيزاً أشد على التفسير الاجتماعى بدلاً من التفسير الطبيعى.

ومن ثم فالنظرية الاجتماعية تمثل وتعبر عن رد فعل مجموعة من الأكاديميين لحاجات المجتمع ومشكلاته فى بيئة معينة فى فترة زمانية معينة، وما دامت القدرة على فهم وتفسير حاجات المجتمع تتغير، فإن النظريات الاجتماعية تتغير بالتالى، ويترتب على ذلك أن تتصف النظرية الاجتماعية بأنها عملية ديناميكية تتلائم مع الحقيقة اليومية وليست مجموعة أفكار مجردة، ورغم أن النظريات ترتبط بالواقع وتنتمى إليه فإن التجربة المجتمعية شرط أساسى لإبداعها وصياغتها وقبولها. فالنظرية لا تنسلخ عن الواقع وليست فكراً مجرداً، ولكنها تمثل محاولة لتفسير البيئة الاجتماعية.

الفصل الرابع

نحو نموذج لعملية التنظير

ملخص الجزء الأول

سنحاول فى هذا الشرح التمهيدى توضيح صلة النظرية بالمعرفة، ومميزات النظرية بوجه عام وطبيعة نظرية علم الاجتماع بوجه خاص. ولنا أن نعرض النقاط الأساسية التالية:

١- التنظير عملية بها يعبر الناس عن بيئاتهم الفيزيقية والاجتماعية فى سياق وضع اجتماعى خاص، وبذلك فالتنظير يحدد حقيقتهم الفيزيقية والاجتماعية. وتطبق هذه العملية فى كل من العلم والحياة اليومية. ومن ثم فالفجوة الظاهرة بين النظرية والحقيقة فجوة كاذبة لا حقيقية.

٢- حددنا النظرية المنطقية الصورية بأنها مجموعة من القضايا التى تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر. وتتكون هذه النظرية من ثمانية عناصر بنائية فهى صيغة من مجموعة من المفهومات، والعلاقات المنطقية بين هذه المفهومات ومجموعة من المتغيرات والمؤشرات الإجرائية، ومنهج معد لإختبار صحة هذه العلاقات المسبقة، وتحليل البيانات وتفسيرها. وأخيراً صياغة النظرية فى ضوء ما تقدم. كذلك فقد ميزنا بين النظريات المنطقية الصورية والتفسيرية والعلمية والاستدلالية والموضوعية وغيرها من النظريات اللاصورية والوصفية والايديولوجية والتخليقية والحدسية وأخيراً فقد بينا كيف تتأثر النظرية بالوضع فى المجتمع والاحوال المعيشية والتيارات الفكرية التى تحيط بالمنظر الذى يصيغ النظرية.

٣- وعندما طبقنا هذا الشرح على علم الاجتماع تبين أن النظرية الاجتماعية هى مجموعة من النماذج تهتم بالمجتمع والظواهر الاجتماعية باعتبار هذه الظواهر الإجتماعية حقائق اجتماعية منفصلة وهى نماذج تستعمل لتفسير البناء الاجتماعى للمجتمع وما يحدث فيه من عمليات اجتماعية. وقد ناقشنا سلسلة متصلة من الأراء حول النظرية بداية من النموذج ذو الطابع الفنى الذى لايهتم بالناحية المنطقية وإنتهاء بالنموذج الذى يهتم بالمظهر المنطقى الصورى والمظهر العلمى ثم إستخدمنا ابعاداً ثلاثة هى: المستوى والعوامل المستخدمة والمحور، وكانت النتيجة أن استنبطنا ثلاثة نماذج

كبرى هى العضويه - البنائية الوظيفية؛ والصراع - الراديكالية؛ والسلوكية الاجتماعية - الاجتماعية النفسية... وقد رأينا أن هذه النماذج قد نشأت إستجابة للتغير السياسى والإقتصادى فى اوربا وأمريكا. كذلك يكشف هذا التطور التاريخى عن حركة تنحو إلى التأكيد على النظرة العلمية على مستوى الوحدات الصغيرة والمستوى الاجتماعى العلمى بدلاً من الرؤية الفلسفية المبكرة على المستوى الكبير الحجم والنظرة الطبيعية فى تفسير المجتمع. وأخيراً حاولنا أن نبين أن النظرية الاجتماعية رد فعل لمجموعة معينة من الأكاديميين لحاجات المجتمع المدركة فى سياق مجموعة خاصة من القيم العقلية والتجارب المجتمعية.

شكل ٨

نموذج عملية التنظير

السياق الإجتماعى	نمط النظرية	تعريف الحقيقة	تغير المجتمع	التغير فى النظرية
الظروف المجتمعية والفكرية والمعيشية الشخصية	العضوية - الوظيفية. الصراع - الراديكالية. الإجتماعية النفسية تغير فى مجال وايديولوجية ونمط التفسير	الكيفة التى بها تسيطر هذه النماذج على التعريفات الاكاديمية والاجتماعية للحقيقة	فى الظروف المجتمعية والاقتصادية وفلسفة وبناء المجال الاكاديمى	تزايد الاهتمام بالنطاق الأصغر والمنهج العلمى والاجتماعى مع عودة النماذج المبكرة للظهور فى مصطلحات جديدة

ومما تقدم نخلص إلى أن النظرية ليست مجردة عن الحقيقة بل إنها تمثل محاولة الفرد للتعبير عن بيئته الفيزيقية والاجتماعية فى ظروف مجتمعية وفكرية ومعيشية وشخصية محددة. ومن ثم فالنظرية تعرف حقيقة الفرد الفيزيقية والاجتماعية. كذلك تمثل النظرية إستجابة لاحتياجات مجتمعية يدركها الناس والمنظر. ويترتب على تغير هذه الاحتياجات والظروف تغير النظرية. ومن ثم فالنظرية عملية اجتماعية علمية ديناميكية ذات صلة بالمنطق الصورى والحقيقة اليومية وليست مجموعة جامدة من الأفكار المجردة المنفصلة عن عالم الواقع. ويوضح شكل رقم (٨) هذه العملية.

الجـــزء الثـانى

النظرية الاجتماعية التقليدية

الفصـــل الخامس

مدخل إلى النظرية الاجتماعية التقليدية

- نمـاذج مـا قبـل علـم الاجتمـاع
- الجذور الاجتماعية والتاريخية للنظرية الاجتماعية

إذا كانت النظرية كما أوضحنا تمثل رد الفعل إزاء ظروف اجتماعية وفكرية وشخصية محددة، فإن الأمر يتطلب فى هذا الفصل مناقشة النقطتين الآتيتين قبل عرض نظرية علم الاجتماع التقليدية.

١- النماذج التى ظهرت قبل علم الاجتماع وحاولت تفسير الواقع الاجتماعى.

٢- السياق التاريخى والاجتماعى الذى ظهرت فيه النماذج الاجتماعية الثلاثة الكبرى.

نماذج ما قبل علم الاجتماع:

لقد بذلت جهود متواصلة فى كل مرحلة من مراحل التاريخ الإنسانى تحاول البحث عن تفسيرات للظواهر الفيزيقية والاجتماعية، وتحاول أن تفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية. وكل نموذج من نماذج التفسير يعبر عن رؤية خاصة للحقيقة الاجتماعية، كما أن تغير نمط التفسير من التفسير الغيبى وغير العقلانى إلى التفسير الدينى ثم إلى التفسير العقلانى ثم إلى التفسير العلمى يعبر عن تغير الرؤية لما يحدث فى المجتمع، تلك الرؤية التى هى وليدة تغير الظروف والأوضاع الاجتماعية والفكرية من المرحلة الميتافيزيقية إلى اللاهوتية والفلسفية إلى المرحلة الوضعية والعلمية.

النماذج الميتافيزيقى:

لكى نفهم النماذج الاجتماعية المعاصرة فهما أفضل، فإنه يتعين علينا أن نتراجع إلى الوراء إلى بداية عصر المدينة الاغريقية. فقبل افلاطون كانت الظواهر الاجتماعية تفسر بالرجوع إلى آلهة الاغريق الذين كانوا يتصفون بصفات إنسانية إلى جانب صفاتهم الخارقة للطبيعة. وكان النظام الاجتماعى الطبيعى خاضعاً كما يرون لرغبات وسيطرة الآلهة الذين يتدخلون إلى حد كبير فى أعمال البشر. وهكذا نخلص إلى أن هذه النظرة ترى أن الكون والمجتمع ينظمهما الآلهة ويخضعان لسيطرتهم، وكانت آلهة الأغريق تتصف بخواص إنسانية. وهذا النموذج يمثل إسقاطاً للذات الإنسانية على القوى الإلهية. وإتخاذ هذه القوى الإلهية وسيلة لتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية. وكانت هذه

النظرية تمهيداً هاماً لظهور المسيحية التى ظهرت بعد ذلك وخاصه فى إدخال العنصر الإنسانى فى قوى خارقة للطبيعة، وتصور الآلهة بصفات إنسانية. وربط هذه الآلهة بالنظام الطبيعى.

النموذج اللاهوتى:

فى العصور الوسطى برز دور الكنيسة فى اوربا وسيطرت على أفكار الاوربيين، ومن ثم فقد إتسم التفكير بالطابع الغيبى واللاعقلانى فى صورة مسيحية اوربية. فالآلهه صارو إله واحد يتحكم فى الكون كله. ولكنه يرتبط بصورة المسيح الإنسان. وكان الوصول إلى هذا الكائن الأعظم يتم من خلال المسيحية، وكانت السلطة السياسية والاقتصادية تتركز فى رجال الدين الذين يتحكمون بدورهم فى العلاقات بين البشر وصياغة اساليب تفكيرهم ومعارفهم، وبهذه الطريقة تعدلت الفكرة الأولى عن الحقيقة لتطابق التفسير اللاهوتى للكون، بيد أنه من الواضح أن ثمة متصل لاعقلانى بين الصيغة الميتافيزيقية والصيغة اللاهوتية المسيحية.

النموذج الفلسفى:

وكانت المرحلة الثالثة الكبرى فى تطور الفكر الإنسانى ذات طابع فلسفى فى مضمونها، وبانهيار سلطة الكنيسة الاوربية ظهرت السلطة السياسية للدولة العلمانية. وبدأت الأفكار تتجه أكثر إلى الفرد باعتباره موضع السيطرة ومركز الإهتمام بدلاً من الكون الخارجي الغيبى. وبزيادة الاهتمام بالطبيعة والنظام الطبيعى تزايد الاهتمام بالنزعة العقلانية والمادية وبدأ ظهور العلوم. ومع أن المسيحية قد ظلت راسخة فى مجموعة من المعتقدات فقد إتخذت فلسفة عصر التنوير الفرد وما يبدو من عقلانية البشر موضوعاً لاهتمامها بدلاً من الاهتمام بالكون. وأصبح الإنسان وبيئته الاجتماعية مركز المعرفة. وقد سعى فلاسفة عصر التنوير إلى فهم النظام الطبيعى وآثاره على الكائنات البشرية لبلوغ الحد الأقصى من السعادة الممكنة والحرية والتنمية المادية والتقدم الاجتماعى العام. فى ذلك العصر – عصر التنوير – طُبقت المعرفة السائدة على التطور الاجتماعى الذى يطرأ على المجتمعات

والعلاقات الإنسانية. وهكذا ظهر لنا فلاسفة يهتمون بالموضوعات الاجتماعية مثل هوبز وميكافيلى، وجون لوك، وفولتير، ودافيد هيوم، وروسو، ورغم أن هؤلاء الفلاسفة يمثلون وجهات نظر مختلفة اختلافاً جلياً، إلا أنهم يصرفون الاهتمام إلى تطبيق الفلسفة والمعرفة على أمور الحياة السياسية والاجتماعية . وهكذا تحولت الصيغ الاجتماعية من الاعتقاد فى المقدسات والتحكم فى الأفراد إلى إيمان بأهمية فهم الناس والطبيعة ليتسنى المساهمة فى التطور الاجتماعى العام أى تحركت الأفكار من نسق الاعتقاد فى المقدسات إلى إيمان بالعلمانية. وبهذه الكيفية تحولت الصيغة السائدة من الصور اللاعقلانية إلى صورة عقلانية مصطبغة بفلسفة عصر التنوير وأنصرف الاهتمام من المقدسات والمفاهيم اللاعقلانية للحقيقة الفيزيقية والاجتماعية إلى الصيغة العقلانية والعلمانية، وكانت تلك هى الخطوة الاولى فى تطور العلم والطريقة العلمية.

النموذج الوضعى:

وبتقدم المنهج العلمى منذ عصر التنوير سعى المفسرون إلى البحث عن عوامل تخضع لسيطرة الإنسان ويمكن تعقلها وخضوعها للبحث والتجريب. وكان المنهج الذى وضعه فى البداية فرنسيس بيكون بداية النموذج الوضعى واستعداداً لفلسفة عصر التنوير. فهذا النموذج يرى أن الطريقة العلمية وسيلة لكشف النظام الأساسى الذى تقوم عليه الحياة الاجتماعية، ومن ثم تؤدى إلى بلوغ الغاية فى التقدم الاجتماعى . وهو تقدم رأى هؤلاء المفكرون أنه لامفر منه.

وقد أعتقد أوجست كونت اعتقاداً راسخاً بامكانية تطبيق الطريقة العلمية بتقاليدها الوضعية (المعرفة المقتصرة على المعطيات المأخوذة من تطبيق الطريقة العلمية) لتساهم فى التطور الاجتماعى للبشر نحو سعادة أشمل ووحدة أخلاقية. وكانت الطريقة الوضعية أو العلمية بتركيزها على استنباط قوانين عامة من التجربة والمقارنة والاستنباط التاريخى مجرد وسيلة لتحقيق غاية التقدم الاجتماعى، متأثرة فى ذلك بالإعتقاد العام بأن ثمة نظام فيزيقى واجتماعى أساسى قائم على العقلانية.

وهكذا فاذا كان المناخ الفكرى السائد فى القرن الثامن عشر قد أدى إلى ظهور النموذج العلمانى، فإن القرن التاسع عشر شاهد ميلاد منهج معد لتحويل هذا النموذج العلمانى إلى معرفة علمية، وبالتالى إلى سيطرة اجتماعية أكبر.

الخاتمة:

ويكشف لنا تطور النماذج الاجتماعية أن مداخل علم الاجتماع المعاصرة لم تكن جامدة، ولكنها كانت تجدد نفسها باستمرار نتيجة تغير المجتمعات والمناخ الفكري وقد مرت المداخل الاجتماعية بمرحلتين: المرحلة الأولى مرحلة تكوين النظرية الاجتماعية التقليدية، والمرحلة الأخرى مرحلة تجديد النظرية الاجتماعية المعاصرة. وتعبر نظرية علم الاجتماع التقليدية عن محاولة للتوفيق بين فلسفات عصر التنوير والداروينية الاجتماعية والإيمان بالمجتمع العلمى عند تفسير المجتمع.

ويعبر علم الاجتماع التقليدى عن الحركة من التفسير الخرافى والميتافيزيقي واللاهوتى الكنسى- النابع عن فكر كنيسة العصور الوسطى فى أوربا - لأمور المجتمع وما حدث داخله من تغيرات، وما نشأ من ظواهر اجتماعية، أى الحركة من التفسير الخرافى والميتافيزيقى واللاهوتى إلى الإيمان بالنظام الطبيعى والعقلانية والمنهج العلمى وكلها اتجاهات نشأت عن فلسفة التنوير والفلسفة الوضعية، وتعكس هذه التطورات عدداً من الاتجاهات الواضحة، أهمها انتشار الفكر العلمانى والرؤية العلمانية للعالم والحقيقة، والإيمان بالإنسانية والإنسان والتحول من التفكير فى الكون إلى التفكير فى المجتمع والإنسان وتعبر هذه المتغيرات فى أنماط التفكير عن المتغيرات التى طرأت على البناء الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الاوربى، وتغير تفسير الإنسان للحقيقة مما يعكس تزايد الوعى الاجتماعى فى مرحلة معينة من مراحل التطور الاجتماعى وبإيجاز شديد نقول أن نضوج الدراسة العلمية للمجتمع واكتشاف علم الاجتماع إرتبط بظهور القيم العلمانية والعلمية.

الجذور الاجتماعية والتاريخية
للنظرية الاجتماعية

وسنحاول فى هذا الجزء الإستمرار فى مناقشة الجذور التاريخية لعلم الاجتماع بتحديد الخصائص الأساسية للبيئات التى ظهر فيها النموذج العضوى ونموذج الصراع والسلوكية الاجتماعية.

الجذور الاجتماعية والتاريخية للنموذج العضوى:

وقد نشأ النموذج العضوى فى علم الاجتماع أثناء سيادة المذهب الوضعى بتأثير ظروف معينة هامة سيطرت على المناخ السائد فى القرن التاسع عشر يمكن أن نوجزها على النحو الآتى:

١- الثورات السياسية وانهيار النظم الاجتماعية فى اوربا.

٢- التطور الصناعى الذى كان منارًا يسلط الضوء على أهمية حاجات المجتمع الاقتصادية إلى جانب حاجاته السياسية.

٣- الإتجاهات الفلسفية نحو حل مشاكل الانهيار الاجتماعى والثورة الصناعية، وتمثل هذه الاتجاهات توافقات بين فلسفة التنوير ووضعية القرن ١٩. وقد أكدت هذه الاتجاهات الفلسفية ما يلى:

أ - الإيمان بالمذهب الطبيعى، أى افتراض أن العالم الطبيعى يخضع لقواعد العلية.

ب - العقلانية أى افتراض أن الكائنات البشرية عقلانية فى سلوكها.

ج - التطور الاجتماعى أى افتراض أن المجتمع يسير فى تطور دائم.

د - الإصلاح الاجتماعى أى افتراض أن التقدم الاجتماعى هو الهدف الإنسانى.

هـ - اهمية الالتزام بإرادة المجتمع العامة (النزعة المحافظة فى مضمونها).

و - تطبيق الطريقة التقليدية العلمية لتحقيق هذه الأهداف.

٤- ولنا أن نقول أخيراً أن هذه الاتجاهات الفلسفية تمثل الصفوة المفكرة من الطبقة العليا، والتى كانت أراؤها وأفكارها عن المجتمع محافظة وشمولية وتكاملية.

ولنا أن نوجز أن النظرية العضوية نظرية وضعية عقلانية فلسفية واجتماعية تمثل توافقاً بين الأفكار الفلسفية ورد الفعل للحاجات الاجتماعية والاقتصادية.

الجذور الاجتماعية والتاريخية لنظرية الصراع:

أما نظرية الصراع فقد ظهرت فى ظروف مجتمعية مماثلة. لكن صاغها مفكرون كانت تجاربهم الاجتماعية مختلفة. ولنا أن نحدد البيئة الاجتماعية التى وراء نظرية الصراع فيما يلى:

١- تأكيد قوى على جوانب عصر التنوير التى تؤكد التقدم الاجتماعى والتطور الاجتماعى وأهمية الطبيعة البشرية وعقلانية البشر والإيمان بإمكانية تغيير المجتمع لتحقيق أقصى حد من السعادة (مثالية).

٢- تأثير الداروينية الاجتماعية - أى تطبيق مفهوم التطور الاحيائى على تطور المجتمعات - التى تحدد أن الصراع هو المظهر الإنسانى والاجتماعى لهذا التطور.

٣- تجربة الصراع والتغير السياسى ولا سيما تجربة الضائقة الاقتصادية بسبب تصرفات الصفوة السياسية.

بيد أن نظرية الصراع أبعد ما تكون عن التجانس، فالبعض من منظريها كانوا محافظين فى نزعتهم والبعض الآخر كان ثورياً متطرفاً، كما يختلفون فى التأكيد على النزعة الطبيعية أو الأنماط الاجتماعية الملائمة للتفسير. ولنا أن نقول ان هذه النظرية تطبيق لمبادئ ومثل عصر التنوير عن الطبيعة البشرية على التحليل التاريخى للصراع الاجتماعى وتستخلص فى النهاية افتراضات اجتماعية تخص النظام الجديد حيث تكون الطبيعة البشرية وطبيعة المجتمع أكثر تنظيماً وتآلفاً.

الجذور الاجتماعية والتاريخية للسلوكية الاجتماعية:

تأتى بعد ذلك المدرسة السلوكية الاجتماعية التى تختلف عن المدخلين السابقين فى تركيزها على الفرد على المستويات الصغيرة للتحليل وفى تطبيقها للاستقراء بدلاً من التفسير الاستنباطى، لكنها تشترك معهم فى تطبيقها لمبادئ

ومُثل عصر التنوير على مشاكل المجتمع فى العصر الصناعى التكنولوجى باستخدام الطريقة العلمية. وبصفة أخص فالعوامل التى أدت إلى ظهور السلوكية الاجتماعية يمكن سردها فيما يلى:

١- مثالية عصر التنوير فيما يتعلق بطبيعة البشر والاعتقاد بأن الفاعل البشرى فاعل حر ديناميكى وأن الداروينية الاجتماعية تفسر التقدم العام للمجتمع.

٢- التأكيد على الفردية النابع من تأثير الاخلاق البروتستانتية فى الثقافه الأمريكية، (اى الاعتقاد بأن الفرد منضبط ذاتياً ومقتصد ودؤوب ويستند هذا الاعتقاد على افكار كالفن) وقد تركز محور اهتمام علم الاجتماع الامريكى حول طبيعة الفرد وعلاقته بالمجتمع.

٣- تأثير الفلسفة النفعية، وهى الفلسفة التى تقول بأن ما يفيد استناداً على التجربة هو الحق.

٤- أدى تزايد الحاجات وإلحاحها فى المجتمع الحضرى الصناعى إلى تطبيق العلوم الاجتماعية على الفرد وعلاقة الفرد بالنسق الاجتماعى. وقد تطورت هذه المدرسة بتطور علم النفس التطبيقى الذى ساهم فى ظهور فرع من علم الاجتماع يهتم بدراسة الوحدات الصغيرة.

ومن الواضح من الحوار السابق أن النزعة السلوكية الاجتماعية تمثل تعميماً وتعميقاً لقيم عصر التنوير والمنهج العلمى لفهم المشكلات الناتجة عن قيم المجتمع الصناعى الحضرى فى نطاق قيم المجتمع، تلك القيم التى تتمثل فى النزعة النفعية والاخلاق البروتستانتية. ويكشف لنا ذلك بوضوح عن الاستمرارية بين أنساق القيم الاوائل ورد فعل علم الاجتماع لمشكلات المجتمع المعاصر، مع تأكيد جديد على فهم الفرد استناداً على مبادئ العلم.

الملخص:

ولكن رغم الاختلاف بين هذه المداخل فثمة أفكار مشتركة بينها نوجزها على النحو التالى:

١- الإيمان بقيم عصر التنوير التى تتعلق بالنظام الطبيعى وعقلانية الإنسان.
٢- الإيمان بالتطور الاجتماعى نتيجة تزايد تأثير الداروينية الاجتماعية.
٣- إيمان مصاحب بحتمية التقدم الاجتماعى.
٤- الاستفادة من التفسيرات الطبيعية فى تفسير السلوك الاجتماعى.
٥- نزعة مثالية تهتم بالطبيعة الإنسانية والمجتمع.
٦- الإيمان بالوضعية والمنهج العلمى باعتبارهما منهجين أساسيين لتفسير وفهم تقدم المجتمع وبلوغ الحد الأقصى للتقدم.

والحقيقة أن النظرية التقليدية فى علم الاجتماع تمثل توفيقاً متجانساً بين فلسفة عصر التنوير والداروينية الاجتماعية والإيمان بالمنهج العلمى.

ويكشف لنا تحليل الأفكار الأساسية للنماذج الثلاثة بوضوح عن اتجاهات أساسية سيطرت على المناخ الفكرى حينئذ:

١- تزايد الاهتمام بالنزعة الاجتماعية والإنتماء إلى المجتمع بدلاً من طبيعة الفرد.
٢- تغير المنهج إلى الإستخدام النفعى للمنهج العلمى بدلاً من الاستدلال التاريخى.
٣- حركة مصاحبة من فكر عصر التنوير إلى النفعية.
٤- التحول من الفكر المحافظ إلى اتجاهات أكثر ثورية عن الإنسان والمجتمع، تهتم بالإنسان والمجتمع اهتماماً اساسياً.
٥- التحول من نظام يؤكد الحاجة إلى السيطرة والضبط الاجتماعى إلى نظام يؤكد الحاجة إلى التغير الاجتماعى.
٦- التركيز المتزايد على الإنسان بدلاً من إمكانية تكامل المجتمع.
٧- الإهتمام بالإنسان بدلاً من تقديم تعريفات عن الحتمية.
٨- تضاؤل أراء الصفوة فى أمور المجتمع والفرد.

وترتب على ظهور هذه الاتجاهات الجديدة، ظهور تيارات ونماذج تفسير فى علم الإجتماع تعطى اهتماماً أكبر إلى:

١- الإيمان بالعلمانية وأهمية تطبيق المنهج العلمى على أمور المجتمع.

٢- التأكيد على أن النظرية الاجتماعية هى دالة على عقلانية البشر واستجابة أصيلة من علماء الاجتماع للبيئة الاجتماعية المتغيرة والتى تأثرت بالتصنيع ومظاهر التحضر.

٣- التحول من النماذج الفلسفية ودراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة إلى النماذج التى تهتم بدراسة الوحدات الإجتماعية صغيرة الحجم والإيمان بالعلم التجريبى.

ويلخص لنا شكل رقم (٩) بناء تطور الفكر أو أنساق المعتقدات.

شكل رقم (٩)

تطور نماذج تفسير المجتمع من الميتافيزيقية والغيبية إلى التفسير العلمى

النماذج	الميتافيزيقية ←	اللاهوتية ←	الفلسفية ←	الوضعية ←	العضوية ←	الصراع ←	السلوكية الاجتماعية	
	ما قبل التفسير الاجتماعى العلمى				التفسير الإجتماعى العلمى			
الخصائص	الاسقاط الغيبى ←	اللاعقلانية فى صورة مسيحية ←	الايمان العلمانى بالفرد والمجتمع ←	تطور المنهج العلمى ←	وضعية عصر التنوير ←	اراء عصر التنوير حول الفرد والتغير الاجتماعى ←	الاخلاق البروتستانتية والأراء النفعية عن البشر	

تزايد العلمانية وتطور المنهج العلمى.

التحول من النماذج المجتمعية والفلسفية على المستوى الكبير إلى النماذج العلمية التى تهتم بالفرد ودراسته على مستوى الوحدات الصغيرة.

النظرية الإجتماعية دالة على الإيمان بالعقل والبيئة المجتمعية المتغيرة.

الفصل السادس

النمـــوذج العضـوى

- النمط الطبيعى فى النظرية العضوية
  كونت وسبنسر

- نمط النسق المتكامل فى النظرية العضوية
  دوركيم وتونيز

ملخص للنموذج العضوى

يعد النموذج العضوى فى النظرية الاجتماعية أقدم أشكال النظرية الاجتماعية. وثمة ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية أدت إلى ظهور وإرساء قواعد هذا النمط فى النظرية الاجتماعية. وإذا ما قبلنا الرأى القائل بأن النظرية الاجتماعية تعبر عن رد فعل مجموعة من الأكاديميين وأهل العلم للمشكلات الاجتماعية اليومية فإننا نقول أن المبادئ الأساسية للنموذج العضوى، دعى إليها جماعة من مفكرى الطبقة العليا، درسوا فلسفة عصر التنوير، وأمنوا بها، وتفاعلوا مع البيئة الاجتماعية وعاشوا أحداث الثورة السياسية والانهيار الاجتماعى والتطور الصناعى.

وقد إستفاد هؤلاء المفكرون من الادعاءات التى طرحها أنصار النزعة الطبيعية والنزعة العقلية والتطورية الاجتماعية والاصلاح الاجتماعى، والمنهج الوضعى وقدموا رؤية جديدة للمجتمع تركز على حاجات المجتمع المنظمة، ويؤدى هذا المجتمع وظائفه وفق القوانين الطبيعية. كما يفسر هذا المجتمع باعتباره نسقاً يتكون من أجزاء مترابطة ويؤدى كل جزء من أجزاء المجتمع وظيفته خلال تقسيم العمل أو بناء الادوار، وهذه الرؤية تشبه المجتمع بالكائن العضوى الذى يؤدى كل عضو من أعضائه وظيفة محددة، كما صور المجتمع وكأنه جزء من النظام الطبيعى يتطور تلقائياً وفق حاجاته الأساسية.

وقد أعطى أنصار المدخل العضوى اهتماماً أساسياً إلى البناء الميكانيكى الآلى للكائن الاجتماعى (مثلما فعل كونت وسبنسر) أو إلى النسق المعيارى الذى يعتمد على تقسيم العمل، (حسب رؤية دور كيم وتونيز) وفى كلتا الحالتين نظر علماء الاجتماع الرواد إلى المجتمع باعتباره نظاماً متكاملاً يؤدى كل عضو من أعضائه وظيفته من أجل استمرار الكل. وأن هذا المجتمع جزء لا ينفصل عن النظام الطبيعى، وأن نظام تقسيم العمل هو أساس وجود المجتمع.

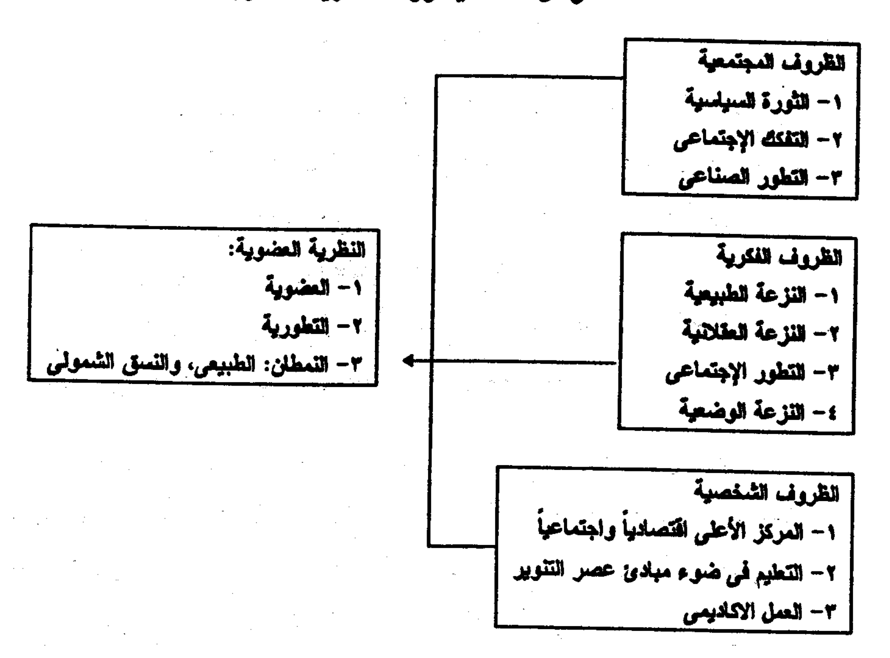
ويعبر النموذج العضوى عن رؤية شمولية تكاملية لتفسير الحاجات الطبيعية للمجتمع باعتبارها حاجات دائمة كما يحمل طابعاً ايديولوجيا محافظاً لتأكيده على أهمية توافق الفرد مع هذه الحاجات بدلاً من السعى إلى تغييرها أو التمرد عليها. وتفهم هذه الرؤية فهما أفضل عند القاء الضوء على جهود شريحة

من مفكرى ذلك العصر، درسوا التفكك الاجتماعى والفوضى السياسية والإنهيار الاقتصادى. وتنزع النماذج الشمولية إلى الظهور فى مثل تلك الفترات، وخاصة بين أعضاء الصفوة. ويرى هؤلاء المفكرون أن الوظيفة الأساسية لعلم الاجتماع فى مثل هذا الموقف هى اكتشاف القوانين الأساسية للنظام الاجتماعى من أجل فهمه فهماً أفضل، ومن أجل السيطرة على احداث هذا المجتمع بكفاءة أجدر.

فالمدخل العضوى باعتباره أقدم المداخل فى النظرية الاجتماعية، تبناه مفكرو الطبقة العليا، وتوحدوا مع تعاليم فلسفة التنوير استجابة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى سادت فى عصرهم. وكانت النتيجة الأساسية لهذه العوامل ظهور نماذج فى النظرية الاجتماعية تسعى إلى التفسير الطبيعى والشمولى التكاملى للمجتمع وقد أنقسم أنصار هذا التفسير إلى اتجاهين أولهما يؤكد على الخصائص الآلية للمجتمع والأتجاه الآخر يؤكد على الخصائص المعيارية للمجتمع. وقد لخصنا تلك العملية فى شكل رقم (١٠).

شكل رقم (١٠)

العوامل الأساسية وراء النظرية العضوية



وفى البداية نحاول أن نعرض للنمط الأول الأساسى للنظرية العضوية - كما وضح فى أعمال كونت وسبنسر وسنعرض للتجارب الثقافية والأوضاع الإجتماعية والاقتصادية والسياسية التى عاشها كل مُنظِر منهما، وأهدافه الأساسية وفروضه وادعاءاته ومساهمته المنهجية ونمط المجتمع الذى يتصوره كما سنعرض للقضايا الأساسية لكل عالم منهما والتى بدورها ساهمت فى إثراء النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع.

نمط النزعة الطبيعية فى النموذج العضوى

يعتبر كونت وسبنسر أفضل مثالين لهذا النمط فى النظرية الاجتماعية. لذا من الضرورى أن نعرض للظروف الاجتماعية والسياسية التى عايشها كل منهما.

أوجست كونت ١٧٩٨ - ١٨٥٧

النشأة:

ولد فى فرنسا فى ١٧٩٨، وهو إبن عائلة كاثوليكية تؤمن بالنظام الملكى، درس الطب وعلم وظائف الأعضاء فى معهد البولوتيكنيك، ثم ألقى دروس الفلسفة الوضعية فى مرحلة متأخرة، كما وضع قواعد المنهج الذى يقوم عليه المجتمع الوضعى، تعلم فى بداية حياته مبادئ وأفكار فلسفة التنوير، وعاش الثورة السياسية فى فرنسا، وتأثر بأحداثها وأنحرافاتها. كما عاش بداية الثورة الصناعية والصراع المتزايد بين الدين والعلم. وكانت أهم أعماله الأساسية دروس فى الفلسفة الوضعية. وترجع شهرة كونت إلى كونه أول من صاغ مصطلح «علم الاجتماع»[1] باللغات الأوربية.

الأهداف

يعتبر كونت مثالا واضحاً للتفسير الآلى فى النظرية العضوية فى علم الاجتماع. وبتأثير المناخ الفكرى فى فرنسا فى بداية القرن التاسع عشر،

(١) مقابل علم العمران عند ابن خلدون - المترجم.

والظروف السياسية والأقتصادية والاجتماعية حينئذ، قدم نموذجا محافظا متأثراً بالنزعة الطبيعية عن الحقيقة الاجتماعية يقوم على افتراضات طبيعية وحتمية عن الظواهر الاجتماعية.

وقد أثرت أوضاع وظروف البيئة الاجتماعية التى عاش فيها كونت فى تحديده لمهمة علم الاجتماع. إذ يرى كونت أن الهدف الأساسى لعلم الاجتماع هو رفض التفسير الثورى للمجتمع الحديث (إذ يرى كونت أن الثورة ليست وسيلة لبناء المجتمع، بل إنها انهيار خلقى) ولذا إهتم كونت بكيفية إعادة تنظيم المجتمع بالاستفادة من الفلسفة الوضعية.

ولما كان كونت يرى أن الأساس الذى يقوم عليه المجتمع هو مجموعة الأفكار الأساسية السائدة فى هذا المجتمع فإن وظيفة علم الاجتماع عنده هى الاهتمام بترسيخ هذه الأفكار التى تدعم النظام الأخلاقى. وترتب على ذلك محاولة كونت أكتشاف شكل «للفيزياء الاجتماعية» يستطيع أن يرسى القوانين الاجتماعية ويعيد التنظيم الاجتماعى للمجتمع وفقاً لنسق القيم الذى أعطاه كونت قيمة أكبر، ورأى أنه النسق الأكثر تمشيا مع الطبيعة ولذا نقول أن كونت حاول تطبيق مبادئ فلسفة عصر التنوير على مشكلات الثورة فى عصره. وقدم لنا نظرية عن التطور الاجتماعى أوضحت الأهمية الأساسية للعقل والقيم الاجتماعية المهيمنة.

ومن ثم نرى أن كونت كان يأمل من علم الاجتماع وهو علم المجتمع الجديد إعادة ارساء نظام أخلاقى جديد يقضى على ما هو سائد حوله من مظاهر الفوضى الاجتماعية.

الأفتراضات الأساسية:

يمكن أن نلخص الافتراضات الأساسية لعلم الاجتماع عند كونت على النحو الآتى:

١- يرى كونت أن ثمة مجموعة من القوانين الطبيعية اللا مرئية الخفية تنظم الكون، وتقف وراء تطور ونمو العقل أو المعرفة أو القيم الاجتماعية السائدة.

٢- أدرك كونت أن عملية التطور تتحقق فى ثلاثة أطوار كبرى. **الطور الاول:** المرحلة الغيبية التى تتميز بتقصى الأسباب الغيبية خلال قوى خارقة للطبيعة. **الطور الثانى:** المرحلة الميتافيزيقية، وتتميز بالفكر المجرد، والبحث عن العلل المجردة. **والطور الثالث:** المرحلة الوضعية العلمية وتتميز بنمو المعرفة النسبية ودراسة القوانين التى تحكم الظواهر. وفى تلك المرحلة يسمح المنهج الوضعى لعالم الاجتماع اكتشاف وفهم القوانين الطبيعية التى تحكم الظواهر الاجتماعية. وهذا بدوره يؤدى به إلى اكتشاف وحدة فكرية ونظام أخلاقى يوحد بين التقدم والنظام مقابل مواقف الفوضى السائدة، ومن ثم يصبح علم الاجتماع علماً متكاملاً موحداً يعتمد على المنهج الوضعى ويساهم مساهمة مباشرة فى تطور النظام الاخلاقى الطبيعى.

٣- وتبعا لذلك، رأى كونت أن جميع جوانب المعرفة هى جوانب اجتماعية بقدر ما تعكس وتمثل هذه المعرفة البيئة الاجتماعية التى تظهر فيها، وكل طور من أطوار المعرفة يرتبط بمرحلة معينة من مراحل التطور الثلاث، ويعبر عن بيئة اجتماعية لها ملامحها المتميزة.

٤- قسم كونت النسق الاجتماعى إلى جزئين أساسيين: أولهما الاستاتيكا الاجتماعية ويتكون من الطبيعة الاجتماعية والإنسانية وقوانين الوجود الاجتماعى للإنسان. والجزء الآخر الديناميكا الاجتماعية أو قوانين التغير الاجتماعى.

٥- يتضمن النسق الاجتماعى ثلاثة أنماط أساسية كبرى من الغرائز.

أ - غرائز المحافظة على النوع (الغرائز الجنسية والحاجات المادية).

ب - غرائز تحسين الأوضاع (العسكرية والتصنيع).

ج - الغرائز الاجتماعية (الترابط والأحترام والحب الشامل). وتقع فى موقع وسط من غرائز المحافظة والتقدم غرائز الغرور والتفاخر.

ويبدو التقدم الاجتماعى واضحا فى سيطرة الغرائز الاجتماعية - على غرائز المحافظة على النوع وغرائز تحسين الموقف - كما أن التفاعل بين العناصر اللاهوتية والعناصر العسكرية ينجم عنه التحول إلى الطريقة الوضعية

فى التفكير. وقد ساعد علـى هذا التطور ظهور مشكلات إنسانية أو الإخفاق المستمر للإنسان والاحباطات الإنسانية أثناء تقدم النسق الحتمى خلال المراحل الثلاث للتطور الفكرى.

وثمة عوامل أخرى ساهمت على التقدم، منها الضيق والضجر أو الملل السائد بين المواطنين، إذ أفضى الملل أو الضيق إلى بذل السـعى نحـو التجديـد. أيضاً يساهم متوسط الأعمار السائد ومعدل نمو السكان ومعدل التطـور الفكرى فى المجتمع ككل فى أحداث التقدم. فكل هذه العوامل تساهم فـى تطـور الغرائـز من الشكل البدائى إلى مرحلة أرقى أثناء تتابع عملية التمدين والتحضر.

٦- أخيراً أفترض كونت نوعاً من اليوتوبيا الاجتماعية عندمـا أفترض فى نهاية التطور الاجتماعى إمكانية سيطرة الوضعيـة علـى النظـام الاجتمـاعى باعتبارها دين الإنسانية، وهذا الإفتراض يصور المجتمع فـى مرحلـة الوضعيـة المتطرفة، التى تتحقق فيها الوحدة الحيوية بين العقل والنظام الاجتماعى، ويأخذ كل جزء من أجزاء البناء الاجتماعى طابعاً وضعياً فى تلك المرحلة. وعند هـذه النقطة بدأ كونت فى مناقشة المساهمة التى تقدمها أنظمة التعليم والتربية والفـن فى تحقيق التطور نحو الحب والخير استناداً على مبادئ الفلسفة الوضعية.

وموجز القول أن كونت رأى: ١- الكون نظاماً تحكمه قوانين طبيعيـة. ٢- وأن هـذه القوانيـن تظهر بصـورة جلية فـى المجتمـع فـى شكل العلاقـات المتبادلة بين الغرائز الإنسـانية والفكر أو القيم الإجتماعيـة السـائدة، وذلـك فـى سياق بناء المجتمع الاستاتيكى والديناميكى. ٣- يتطـور النسـق الاجتمـاعى فـى مجموعة من خلال ثلاثة اطوار من تطور الفكر نحـو المرحلـة الوضعيـة وهـى المرحلة المتكاملة اخلاقياً. ٤- مهمة علم الاجتمـاع بصفتـه علمـاً وضعيـاً هـى دراسـة هذا النسـق ووصفـه وصفـاً تفصيليـاً يسـاهم فـى ايجـاد الحـل العلمـى للمشكلات الاجتماعية.

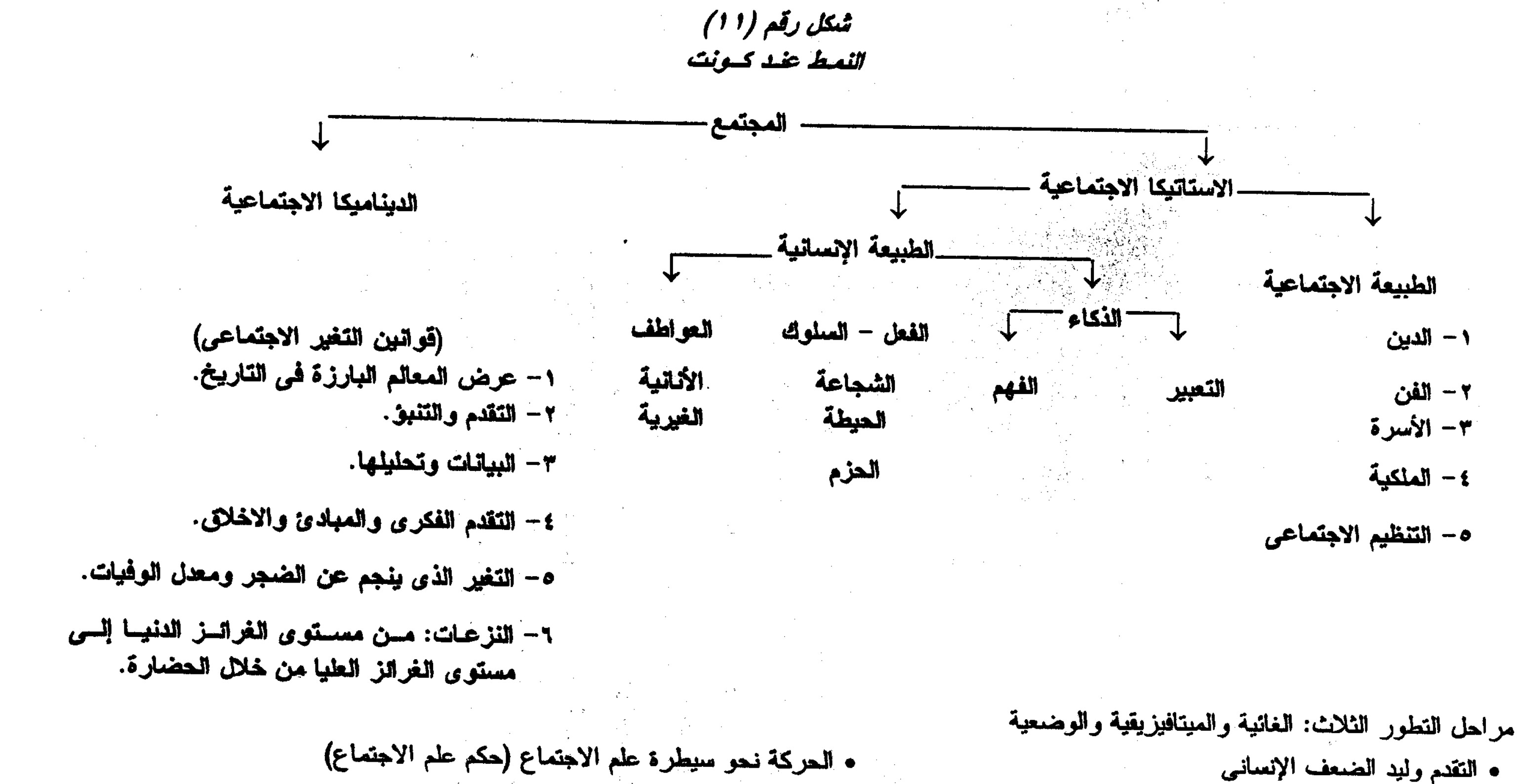
المنهج:

وتبعاً لرؤية كونت فإن المنهج الوضعى يقود إلى ظهور الحقيقة العضوية أو الحقيقة الأساسية، وهذا يعنى ضرورة الاستفادة من إجراءات الملاحظة والتجريب والمقارنة لفهم تفاصيل الأستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية، ويسمح هذا المنهج بتجريد القوانين الاجتماعية نتيجة التجريب المباشر واللا مباشر وتفاصيل التطور العام للمجتمع ووفق هذه الطريقة رأى كونت الوضعية منهجاً يقود إلى ايضاح أبين لنموذجه النظرى الذى يقوم على افتراضات ذات نزعة طبيعية وعضوية.

نمط المجتمع:

قسم كونت نموذجه لدراسة المجتمع إلى جزئين أساسيين: الاستاتيكا الاجتماعية، والديناميكا الاجتماعية اللذين يصوران البناء التنظيمى للمجتمع ومبادئ التغير الاجتماعى لهذا المجتمع. فالأستاتيكا الاجتماعية تشمل الطبيعة الاجتماعية (الدين والفن والأسرة والملكية والتنظيم الاجتماعى) والطبيعة البشرية (الغرائز والعواطف والفعل والذكاء)، بينما تشمل الديناميكا الاجتماعية قوانين التغير الاجتماعى والعوامل المرتبطة به (مستوىٰ الضجر والسأم وطريقة الحياة ونمو السكان ومستوى التطور الاجتماعى والفكرى) ورأى كونت أن هذا البناء كل يتقدم خلال مراحل التطور الثلاث نحو المرحلة الوضعية. ويعبر شكل (١١) عن نمط النسق الأجتماعى ونزعاته التطورية.

شكل رقم (١١)
النمط عند كونت



مراحل التطور الثلاث: الغائية والميتافيزيقية والوضعية

- التقدم وليد الضعف الإنسانى
- الصراع بين السلطات الكنسية والعسكرية.

- الحركة نحو سيطرة علم الاجتماع (حكم علم الاجتماع)

القضايا الأساسية:

١- أثار مدخل كونت قضية مؤداها إلى أى مدى تعد أهداف علم الاجتماع نظرية أو عملية تطبيقية، أو أن أهداف علم الاجتماع تجمع بين التنظير والتطبيق خاصة خلال السياق التجريبى المعاصر.

٢- أثارت أفتراضات كونت الأساسية قضايا هامة عن التفسيرات الطبيعية (أى مدى ملائمة الغرائز) والنماذج الحتمية لتفسير التطور الأجتماعى، وتصورات المجتمع فى إطار نسق القيم السائدة أو رؤية الحقيقة وتقسيم المجتمع إلى استاتيكا اجتماعية وديناميكا اجتماعية، وهما مفهومان مهدا لظهور مفهومى البناء والعملية.

٣- يمثل منهجه الوضعى الأساس الأول والرائد للمنهج العلمى المعاصر.

٤- يحدد نموذجه فى تقسيم المجتمع إلى ديناميكا اجتماعية واستاتيكا اجتماعية العمليات والعناصر الأساسية داخل النسق وبذلك يكون فكر كونت رائداً لأعمال لاحقة لمنظرى البنائية الوظيفية ومدخل الصراع.

ويتبين لنا من عرض أفكار كونت أنه قدم نموذجاً طبيعياً للنظام الاجتماعى هو نسق اجتماعى يعمل بطريقة ديناميكية من أجل التقدم إلى أطوار معينة محددة مسبقاً، وتقدم هذه النظرية الطبيعية التطورية الأساس الذى تقوم عليه النظرية الإجتماعية العلمية كما سنرى، وينبغى أن ينظر إليها بإعتبارها قاعدة أساسية للنموذج الاجتماعى العلمى للحقيقة الاجتماعية. والحقيقة أن أراء كونت ليست بسيطة بل تمثل القاعدة التى قام عليها كل من علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية. ويتضمن هذا النموذج عناصر أساسية بقيت حتى الآن صالحة وملائمة مع موضوعات العلم الاجتماعى فى المجتمع المعاصر. ولقد كان تصور كونت للمجتمع هو الأساس الذى قام عليه علم الاجتماع فيما بعد. ويوضح لنا شكل ١٢ اطار العمل النظرى عند كونت والذى يبين مساهمة كونت فى إرساء قواعد علم الاجتماع.

شكل رقم ١٢
ملخص للإطار النظرى عند كونت

ولد كونت عام ١٧٩٨ وتوفى عام ١٨٥٧

النشأة الاجتماعية:

١- كاثوليكى سليل عائلة تناصر الملكية.
٢- تعلم الطب وعلم وظائف الأعضاء.
٣- درس الفلسفة الوضعية.
٤- تخضع تعاليمه وتربيته لأفكار عصر التنوير.
٥- عاش الثورات السياسية والاقتصادية فى فرنسا.

أهدافه:

رفض الحل الثورى لبناء المجتمع المعاصر ورأى اعادة تنظيم المجتمع وفق النزعة الوضعية.

الافتراضات:

١- تنظم قوانين الطبيعة اللا مرئية الكون.
٢- مراحل التطور ثلاث: الغيبية والميتافيزيقية والوضعية.
٣- كل المعرفة معرفة اجتماعية.
٤- يمكن أن يقسم المجتمع إلى استاتيكا وديناميكا.
٥- أساس المجتمع هو الغريزة الاساسية الإنسانية (المحافظة على النوع والتقدم والغريزة الإجتماعية).
٦- التقدم الاجتماعية وليد إخفاقات البشر.

المنهـج:

١- الوضعية تقتضى تطور الحقيقة العضوية.
- الملاحظة والمقارنة والتجارب والتحليل والتحديد وإكتشاف الحقائق ثم صياغة القوانين.
- المراحل الغيبية والميتافيزيقية والوضعية.
٢- الملاحظة والمقارنة = الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الإجتماعية.

النمط:

الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية.

القضايا:

١- علم الاجتماع النظرى أم علم الاجتماع التطبيقى.
٢- اعتماد التفسير على النموذج الطبيعى.
٣- المنهج الوضعى.
٤- البناء والعملية.

هربرت سبنسر ١٨٢٠ - ١٩٠٣

الجذور الاجتماعية والسياسية لفكر سبنسر:

يعتبر سبنسر إبناً متمرداً ومنشقاً عن الكنيسة، تلقى سبنسر تعليماً كلاسيكياً فى محيط أسرته. بدأ نشاطه العملى فى مجال تصميم آلات السكك الحديدية. ثم عمل فى الصحافة وشغل منصب رئيس تحرير مجّلة الايكونوميست، وعايش تأثر المجتمع الانجليزى بالثورة الصناعية والتضخم الاقتصادى وفسر هذه التغيرات من خلال منظور الداروينية الاجتماعية. ونظرية سبنسر إلى حد كبير تقترب من النمط العضوى، ومماثلة لنظرية كونت عن تقسيم المجتمع إلى الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية.

أهداف سبنسر:

كان الاهتمام الأكبر لسبنسر تتبع عملية التطور الأجتماعى التى تحدث فى المجتمع سواء أكان التطور تاريخياً أو اجتماعياً من أجل تفسير التجانس الاجتماعى. ولا غرابة فى تطبيق سبنسر لمبدأ التطور الاحيائى على دراسة المجتمع نظراً لتوحده الشديد بفكر داروين. وبتأثير النظرية التطورية طبقت فكرة المماثلة العضوية على المجتمع تطبيقاً مباشراً، وأصبح فهم التطور العضوى ضرورياً للسيطرة على المجتمع، وبكيفية تؤدى إلى ارتباط وثيق بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع. وكما حدث عند كونت نجد سبنسر يقدم نموذجاً عضوياً تطورياً عملياً عن المجتمع يقوم على الحاجات الاجتماعية الأساسية.

الافتراضات الاساسية:

١- اقتداء بتقاليد العصر الفيكتورى، رأى سبنسر الكون فى حالة دائمة من التطور والتفكك، وأكد أن مهمة علم الاجتماع تتبع تطور هاتين العمليتين فى المجتمع.

٢- افترض سبنسر أن التطور عملية كونية عامة شاملة أى أنه يمكن تطبيق قوانين الطبيعة تطبيقاً عاماً على كل ما يوجد فى الكون من ظواهر طبيعية واجتماعية. وهكذا فإطار عمله الأساسى هو مبدأ التطور الطبيعى الشامل.

٣- أما فى مجال علم الاجتماع؛ فقد رأى سبنسر المجتمع باعتباره كلاً عضوياً متطوراً، وأن هذا الكل يغاير مجموع أجزائه المكونة له. ولا يخضع هذا الكل لتشريح شامل، إذ أن العلاقات بين أجزاء الكل تماثل تلك العلاقات الوظيفية والكفيلة باستمرار الحياة فى الكائنات الحية. واستناداً على هذه الطريقة فى تفسير المجتمع يمكن أن نقول أن سبنسر كان رائداً للنزعة البنائية الوظيفية المعاصرة.

٤- وكما فعل كونت قسم سبنسر المجتمع إلى جزئين أساسيين: الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية وفهم الإستاتيكا الاجتماعية باعتبارها البناء التنظيمى للمجتمع والأنساق الاجتماعية، بينما تعنى الديناميكا الاجتماعية عنده التطور المستمر لبناء المجتمع.

٥- رأى سبنسر أن نظم المجتمع الكبرى تتكون من نظام الأسرة والنظام الشعائرى والنظام السياسى والنظام الكنسى والنظام المهنى (تقسيم العمل) والنظام الصناعى. ورأى سبنسر أن بناء المجتمع يتطور من النسق البدائى وتعدد الزوجات والنظام العسكرى والقبلى والعبودية إلى مجتمع يقوم على نظام الزواج الأحادى والدولة والأعمال المهنية ونظام العمل المأجور.

٦- قسم سبنسر المجتمع إلى نسقين كبيرين: النسق الداخلى ويرتبط بتوزيع الوظائف والنسق الخارجي ويؤكد على الضبط الاجتماعى أو التنظيم الاجتماعى. وتعمل هذه الأنساق الفرعية للمحافظة على المجتمع كوحدة عضوية فى تطورها المستمر.

٧- حدد سبنسر عدداً من العمليات المتميزة فى إطار الديناميكا الاجتماعية. وهذه العمليات هى (١) استمرارية الحركة. (٢) التحول من التجانس إلى اللا متجانس أى التحول من الشكل البدائى إلى المجتمع الصناعى الحديث. (٣) تراكم العناصر فوق العضوية (العناصر الاجتماعية والثقافية) كلما تطور المجتمع. (٤) حركة المجتمع المستمرة نحو تحقيق التوازن وهى حالة تؤدى إلى تحطيم النظم السائدة، وتقضى إلى التغير بمجرد أن يتجاوز التوازن الحد المقبول من الجمود والتزمت.

وموجز القول أن سبنسر يرى المجتمع كلا عضوياً، يتكون من نسقين احدهما داخلى والآخر خارجى، ويتطور باستمرار نحو مستويات جديدة من التوازن أثناء ارتقائه من المجتمع البدائى إلى المجتمع الحديث الصناعى، وأن مهمة علم الاجتماع الأساسية هى فهم تلك العمليات فهماً متعمقاً من أجل تحقيق أقصى درجة من التجانس الاجتماعى.

المنهج:

يماثل المنهج الذى تبناه سبنسر منهج كونت الوضعى. إذ استخدم سبنسر الملاحظة التجريبية والمنهج المقارن والاستدلال التاريخى والقياس واستفاد من تحليل البيانات التاريخية والاثنولوجية. وقد إستخدم سبنسر هذه الادوات لتتبع عملية التطور الاجتماعى.

نمط المجتمع:

يأخذ النمط الأساسى للمجتمع عند سبنسر صورتين. الصورة الأولى الاستاتيكا الاجتماعية والصورة الأخرى الديناميكا الاجتماعية. بيد أنه قدم نموذجاً تفصيلياً لخصائص النمط المثالية لنمطين من المجتمعات: أولهما المجتمع العسكرى والآخر المجتمع الصناعى: فالنمط الأول يصور مجتمعاً يقوم على استعباد الأفراد والتزمت والصرامة العسكرية والقانون وعدم العدالة فى توزيع الأجور والمكافآت وخضوع هذه الأجور لأهواء المالك أو رئيس العمل. وتتخذ الحكومة صورة مركزية شديدة. أما النمط الآخر فهو المجتمع الصناعى الذى يتيح للفرد مكانة أرقى لأنه أقل تزمتاً وتشدداً فى تطبيق العسكرية. ويقوم العمل فيه على نظام التعاقد أى تحول العمل من العبودية إلى التعاقد. ويصور هذان النمطان مراحل التطور من المجتمع البدائى إلى المجتمع الحديث الذى يؤمن بالفردية والإرادة واللا مركزية. ويلخص شكل ١٣ هذا النمط.

شكل رقم (١٣)
النمط عند سبنسر

المجتمع

الاستاتيكا الاجتماعية

أولاً – النظم (البناء الاجتماعى)

١ – الاسرة (التى تقوم على الزواج الاحادى).

٢ – الشعائرية نتيجة الخوف من الموت.

٣ – من الرئاسة العسكرية السياسية إلى نظام الدولة.

٤ – النزعة اللاهوتية مصدرها عبادة أهل السلف.

٥ – التطور المهنى لتقسيم العمل والمهن

٦ – من العبودية إلى العمل المأجور وفق عقد العمل.

ثانياً – الأنساق:

١ – النسق الداخلى:

أ – نسق التوزيع

ب – نسق الاعالة

٢ – النسق الخارجى

أ – التنظيم

ثالثاً – الأنماط:

أ – النمط العسكرى – الخضوع للدوله والاستبدادية والمركزية القوية.

ب – الصناعى – الفردية والارادة واللا مركزية.

الديناميكا الاجتماعية

١ – استمرارية الحركة.

٢ – من تجانس إلى لا تجانس المجتمع.

٣ – تراكم العناصر فوق العضوية (الثقافية والإجتماعية).

٤ – الحركة نحو التوازن الذى قد ينهار إذا ما كان شديد التزمت.

القضايا الأساسية عند سبنسر:

وقد أثار المدخل العضوى الإرادى عند سبنسر عدداً من القضايا شغلت اهتمام المعاصرين من علماء الاجتماع.

١- تطبيق النظرية التطورية فى علم الاجتماع، وثمة محاولة حديثة لإحياء هذه النظرية التطورية نجدها عند بارسونز.

٢- إن رؤية سبنسر للمجتمع ككل عضوى يتكون من عدد من الأنساق الفرعية المحددة ترتبط مع القضية المعاصرة للنزعة البنائية الوظيفية باعتبارها شكل من أشكال التفسير فى علم الاجتماع.

٣- تعتبر فكرة التوازن الاجتماعى فكرة أساسية فى كل دراسات علم الاجتماع الغربى عامة والمدخل البنائى الوظيفى خاصة. وتثير هذه الفكرة قضية هامة مؤداها كيفية تصور حالة التوازن هذه وفائدتها العامة فى التفسير الاجتماعى العلمى.

٤- تماثل تعريفات سبنسر لكل من نمط المجتمع العسكرى ونمط المجتمع الصناعى قانون المراحل الثلاث عند كونت، وفكرة المجتمع المتماسك آلياً والمجتمع المتماسك عضوياً. وفكرة الجماعة المحلية والمجتمع عند توينز. ويلخص شكل ١٤ اطار العمل النظرى عند سبنسر.

وقبل التحول إلى عرض النمط الإجتماعى المعيارى للنظرية العضوية عند دور كيم من الأهمية أن نشير إلى ملخص لأفكار كونت وسبنسر.

شكل رقم ١٤

ملخص إطار العملى النظرى عند سبنسر

هربرت سبنسر ١٨٢٥ - ١٩٠٣

النشأة الاجتماعية:

١- أبن عائلة انجليزية متمردة.
٢- تلقى تعليماً كلاسيكياً فى محيط الأسرة.
٣- تأثر بالأفكار السائدة فى العصر الفيكتورى.
٤- عايش التغيرات الاجتماعية والاقتصادية فى بريطانيا.

الأغراض:

تتبع عملية التطور الاجتماعى لبلوغ أقصى درجة من التجانس الاجتماعى.

الافتراضات:

١- التطور عملية شاملة عامة وأنه يمكن تطبيق قوانين الطبيعة على ما يحدث فى المجتمع.
٢- المثال العضوى للمجتمع.
٣- تقسيم المجتمع إلى نوعين: المجتمع الاستاتيكى والمجتمع الديناميكى.
٤- المجتمع فى حالة ثابتة من التطور والتفكك.
٥- لا يخضع الكل العضوى للمجتمع للتشريح.
٦- تماثل العلاقات داخل المجتمع العلاقات العضوية.

المنهــج:

١- الوضعية.
٢- الاستدلال والاستقراء والمنهج المقارن.
٣- استخدام البيانات الاثنولوجية والتاريخية.

نمط المجتمع:

الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية.

القضايا:

١- نظرية التطور الإجتماعى.
٢- النزعة الوظيفية العضوية.
٣- فكرة التوازن الإجتماعى.
٤- انماط المجتمع.

ملخص للنمط الطبيعي للنظرية العضوية:

بعض مظاهر الإتفاق بين كونت وسبنسر:

١- تفاعل وتأثر كل منهما بالمشكلات الأساسية والاقتصادية والاجتماعية التى ظهرت فى عصرهما، وتأثرهما بفلسفة عصر التنوير وإنفراد سبنسر بتأثره بفكر العصر الفكتورى. ويدور محور الإرتكاز فى أعمالهما حول فهم كيفية عمل القوانين الطبيعية فى المجتمع أثناء تطوره تلقائياً. وذلك ومن أجل تقديم أساس علمى للضبط الاجتماعى والسياسة الاجتماعية وسعادة الإنسان.

٢- فهم كل منهما أن ثمة عدداً من القوانين الطبيعية تنظم المجتمع.

٣- إدراك كل منهما أن المجتمع كل عضوى متطور يرتقى فى أطوار معينة محددة نحو المرحلة الوضعية أو الصناعية.

٤- وصف كل منهما بناء المجتمع باعتباره يتكون من جانبين الاستاتيكا الاجتماعية، والديناميكا الاجتماعية.

٥- أكد كل منهما على أهمية الملاحظة التجريبية والمنهج المقارن باعتبارهما أداتين ملائمتين فى البحث الاجتماعى.

٦- حدد كلاهما أنماط المجتمعات عند المراحل الخاصة للتطور. ورغم أن كونت أكد القيم الاجتماعية أو العقل، وبينما عرض سبنسر فكرة الكائن العضوى كنموذج للمجتمع عنده، فإننا نستطيع أن نقول أن اراء كل منهما تعبر عن النموذج الطبيعى التطورى العضوى كنموذج إساسى لتفسير المجتمع. وهذا النموذج هو الأساس الذى قام عليه علم الاجتماع عندما حاول الأكاديميون فهم المجتمع فهماً علمياً أى فهم المجتمع ودراسته وفق قواعد المنهج العلمى ليوجهوا تطوره ويحلوا مشكلاته. ويلخص لنا شكل ١٥ هذا النموذج.

شكل (١٥)

بناء النظرية ذات النزعة العضوية فى التفسير

رد فعل:
إلى المشكلات الاقتصادية والسياسية
بتأثير فلسفة عصر التنوير.

أساس التفسير
القوانين الطبيعية والغرائز
باعتبارها أساس المجتمع.

النموذج:
المجتمع وحدة عضوية متطورة ديناميكيا
واستاتيكيا.

التنبؤ
التطور الإجتماعى:
٣ مراحل عند كونت.
ومرحلتان (العسكرية والصناعية عند
سبنسر.

النمط الشمولى المعيارى المتكامل فى النظرية العضوية:

ولكن على نقيض النزعات العضوية المتطرفة فى التفسير الطبيعى الميكانيكى للمجتمع أكد دوركيم وتونيز على أهمية البعد المعيارى أو البعد الاجتماعى فى تفسير المجتمع كنسق اجتماعى. ورغم أنهما لا يختلفان جذرياً عن كونت وسبنسر فإن تفسيراتهما تبتعد عن التفسير الآلى الصارم للمجتمع، وتقترب بقوة من التفسير الاجتماعى العلمى.

أميل دوركيم ١٨٥٨ – ١٩١٧:

ولد أميل دوركيم فى فرنسا، وهو إبن عائلة يهودية وتعلم القانون والفلسفة الوضعية، ودرس الفلسفة الوضعية فى الجامعة، وألقى أول درس فى علم الإجتماع فى فرنسا ١٨٩٦ تربى فى أحضان فكر عصر التنوير وعاش أيام الثورة السياسية فى فرنسا والتفكك الاجتماعى. إهتم دوركيم بفكرة الإرادة العامة والتماسك الاجتماعى. وترتب على ذلك تصوره للمجتمع فى إطار المعايير أو اشكال التكامل الاجتماعى (أى أنه تصور المجتمع حسب الطريقة التى يرتبط بها الفرد إرتباطاً اجتماعياً مع البناء الاجتماعى من خلال الحقائق الاجتماعية) وكانت فكرة التماسك الاجتماعى لعناصر المجتمع احدى اهتماماته الأساسية.

الأهداف:

إهتم دوركيم اهتماماً أساسياً بفهم الظواهر الاجتماعية (المعايير الاجتماعية)، وتأثيرها على ظهور المشكلات الاجتماعية. وكان ذلك الإهتمام مناقضاً ومعارضاً للتفسيرات النفسية الفردية التى طرحت فى ذلك الوقت. وقد رأى دوركيم أن علم الاجتماع يهتم بالظواهر الاجتماعية والإلتزامات الإخلاقية الجمعية، وخاصة تلك الظواهر التى تقهر الفرد على أن يسلك سلوكاً معيناً داخل الجماعة. وهكذا فعلى نقيض التفسيرات النفسية، التى تهتم بالحالات الداخلية والتى سيطرت على المناخ الفكرى فى تلك الفترة، قدم دوركيم أطار عمل علم اجتماعى يهتم بالظواهر الموجودة فى الخارج مثلما عرض منهجاً لدراسة هذه المعطيات الاجتماعية. وكان هذا المنهج الاجتماعى وهذا التفسير للظواهر

الاجتماعية هو المساهمة الكبرى من دوركيم فى تأسيس وتطوير علم الاجتماع بإعتباره علماً جديداً متميزاً يركز على المجتمع كظاهرة حقيقية لها وجود مستقل، وقد أعطى دوركيم اهتماماً لكل الظواهر المتواجدة فى المجتمع، وهى القانون والأخلاق وأساليب الضبط والبناء السياسى والاقتصادى والدين والجريمة.

الافتراضات:

١- بدأ دوركيم من افتراض هام مؤداه أن المجتمع بوصفه ضميراً جمعياً - الشعور الجمعى - تمثلات جمعية - له وجود مستقل وقد قصد دوركيم كما فعل سبنسر توضيح أن المجتمع ككل يختلف عن مجموع اجزائه. فالمجتمع كل عضوى جمعى يختلف عن مجموع الأجزاء، ويعمل أساساً من خلال ممارسة أساليب القهر التى يفرضها البناء المعيارى للمجتمع.

٢- ويترتب على ذلك أن الوقائع الاجتماعية (المعايير الجمعية) هى وقائع حقيقية، كما يتجلى ذلك فى قوة القهر التى تمارسها المعايير والأبنية التنظيمية، وتبعاً لذلك إهتم دوركيم اهتماماً أساسياً بواقعية المعايير وما تمارسه من قوة قهر.

٣- تعتمد القوة الاجتماعية على العقل الجمعى، أى تعتمد الأشكال المختلفة للسيطرة والقهر والإلزام على بناء المعايير السائد خلال جماعة ما، عندما يمارس الضبط الاجتماعى على أعضاء الجماعة من خلال هذه المعايير، وعلى العموم فإن كل مظاهر البناء الاجتماعى، بما فى ذلك من أنظمة تقوم على نسق معايير المجتمع.

٤- بين دوركيم أن تطور وقائع المجتمع أو المعايير السائدة فى ذلك المجتمع يعتمد على الحاجات الأساسية لذلك المجتمع، وبهذه الكيفية، تمثل الظواهر الاجتماعية الحاجات الاجتماعية، وقد شعر دوركيم أن هذا الارتباط بين الظواهر الاجتماعية والحاجات الاجتماعية موضوع يجب أن يدرسه علماء الاجتماع بعمق، وقد سبق دوركيم المدخل البنائى الوظيفى المعاصر فى توضيح هذا الارتباط.

٥- وقد طرح دوركيم فرضاً أساسياً ثانياً مؤداه أن التماسك الاجتماعى أو التكامل الاجتماعى يقوم على نظام تقسيم العمل فى المجتمع، أى كلما تزايد التماثل فى مظاهر تقسيم العمل أى كلما كان بناء الأدوار أقل تعقيداً، إرتفع مستوى التماسك الاجتماعى.

٦- استناداً على هذا الفرض، بين دوركيم أن ثمة رابطة منطقية بين حجم المجتمع والكثافة الاجتماعية من جانب ومستوى تقسيم العمل والتماسك الاجتماعى من جانب آخر، أى كلما زاد عدد السكان وارتفعت الكثافة الاجتماعية، ترتب على ذلك زيادة تقسيم العمل، وضمور التماسك الاجتماعى.

٧- وعلاوة على ذلك أدرك دوركيم أن هناك شكلين أساسيين كبيرين للتماسك: أولهما: التماسك الآلى، والآخر التماسك العضوى. والتماسك الآلى خاصية من خصائص المجتمعات التقليدية التى يتضاءل فيها تقسيم العمل، وتمارس فيها المعايير قوة ضاغطة كما يظهر فيها مستوى عال من التماسك الاجتماعى، وتتماثل فيها المعايير والتقاليد والمعتقدات وتتقارب فيها الأراء. أما التماسك العضوى فخاصية المجتمعات الصناعية الأكثر تقدماً، التى تتميز بتعقد نظام تقسيم العمل، وشيوع علاقات تقوم على التعاقد وانخفاض مستويات التكامل وندرة مظاهر التماسك والتضامن. وفى مثل هذا البناء، تضعف قوة أساليب الضبط التى تمارس على الأفراد مما يؤدى إلى إرتفاع الأنحراف والتمرد على المعايير أو رفضها، وفى مثل هذه المجتمعات تتزايد معدلات الإنحراف والجريمة نتيجة ضعف الرابطة بين الأفراد والبناء الاجتماعى، ويصبح البناء الاجتماعى عاجزاً وغير قادر عن تنظيم العلاقات تنظيماً ملائماً.

٨- وأخيراً افترض أن الجريمة وأشكال الأنحراف الأخرى تؤدى وظيفة فى المجتمع بقدر ما هى تدعم معايير الجماعة، وبقدر ما تساهم فى التغيير المستمر بتعديل معايير الجماعة.

ومجمل القول يرى دوركيم أن المجتمع وحدة عضوية معيارية تمثل الحاجات الأساسية للمجتمع وإذ كبر هذا النسق أى تكاثر السكان وازدادت الكثافة الاجتماعية وتعقد تقسيم العمل يتحرك المجتمع من التماسك الآلى الذى يقوم عليه إلى التماسك العضوى. والمشكلة العملية الناجمة عن ذلك هى إعادة تكامل الأفراد وبيئتهم الاجتماعية، أى تطوير الوحدة الأخلاقية بعد حالات التفكك. ويقترح دوركيم إن اعادة هذا التكامل تتطلب الإستفادة من التعليم والتربية والدعوة إلى تربية اخلاقية جديدة تتجاوز اهتمامات الفرد وتتيح رابطة اخلاقية متجانسة مع المجتمع. وكما فعل كونت وسبنسر إهتم دوركيم بالمظاهر العملية للتجانس الاجتماعى.

المنهج:

يعد كتاب «قواعد المنهج فى علم الاجتماع»[1] أشهر مؤلفات دوركيم على الإطلاق. ويوضح دوركيم فى هذا العمل أن الحقائق الاجتماعية أشياء تقتضى دراسة موضوعية، أى أنه يمكن قياس الحقائق الاجتماعية. وإهتم دوركيم فى هذا الكتاب بدراسة المؤشرات التى تبرز العقل الجمعى، ويحاول علم الاجتماع أن يحدد الحاجات الاجتماعية الأساسية التى تمثلها هذه المؤشرات. كما ينبغى أن يستفيد علم الاجتماع من طريقة التغير المتلازم التى قام بهاجون ستيوارث ميل بمعنى إرتباط التفسير الذى يحدث فى ظاهرة ما بتغير آخر يطرأ على ظاهرة أخرى. وكما أكد دوركيم أهمية دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية، أوضح أهمية التجريب والمنهج المقارن، كما أعطى اهتماماً خاصاً لتغير الحقائق الاجتماعية خلال الزمان، ويساعدنا هذا المنهج على تجريد قوانين علمية تهتم بكيفية أداء الظواهر الاجتماعية لوظائفها ونشأتها وتطورها.

نمط المجتمع:

نمط المجتمع عند دوركيم يقوم على صورة التماسك الاجتماعى السائدة فى مجتمع ما، وثمة مجتمع يسوده التماسك الآلى وانخفاض معدل تقسيم العمل،

---

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية من اللغة الفرنسية أ.د. محمود قاسم وأ.د السيد محمد بدوى.

وينتشر فيه نمط ثقافة تقليدية متجانسة، ومعايير تمارس قوة القهر، والملكية المشاعة والديانات الطوطمية، والإنتحار الغيرى (أى الموت من أجل الجماعة). أما التماسك العضوى فيسود مجتمع يتميز بتعقد نظام تقسيم العمل المصاحب لعصر التصنيع، وتزايد الفردية، ومعايير الصواب والعقاب، والعلاقات التى تقوم على التعاقد والملكية الفردية، ونمو الاتجاهات العلمانية وازدياد الانتحار الأنانى والانتحار بسبب الانحراف عن المعايير. والشكل الأول وهو الانتحار الأنانى مرتبط بمصالح الذات ولا تبرره المعايير السائدة ومحصلة الصراع بين رغبات الفرد وسلطة المجتمع ويحسم الصراع بتدمير الذات، أما الشكل الآخر من الانتحار فينشأ نتيجة شيوع مظاهر التفكك الاجتماعى وخاصة فى أوقات الأزمات الاقتصادية عندما تتسع الهوة بين التطلعات والواقع اتساعاً كبيراً. وإتساقاً مع التطور من المجتمع العسكرى إلى المجتمع الصناعى عند سبنسر يصف نمط المجتمع العضوى عند دوركيم البناء الاجتماعى فى أطوار معينة من تطوره. ويلخص هذا التطور الشكل رقم (١٦).

القضايا الأساسية:

على خلاف اوجست كونت وسبنسر فإن مفهوم دوركيم للمجتمع يعطى قيمة أكبر لمعايير المجتمع التى اطلق عليها الشعور الجمعى والضمير. ولكنه يتفق معهما فى الإيمان بالصيغة العضوية والتطورية. فالمجتمع يمثل صورة من الإرادة الجمعية التى تتطور طبقاً لتطور حاجات المجتمع الأساسية فتحدد وتقيد سلوك الأفراد داخل المجتمع، وكلما تغيرت هذه الحاجات من تكاثر السكان يزداد تعقد تقسيم العمل، وتظهر المعايير المرتبطة به. فيتحرك المجتمع من التماسك الآلى إلى التماسك العضوى. وهذا المدخل المعيارى والعضوى والتطورى يمثل جوهر علم الاجتماع وهو المساهمة الهامة الكبرى والباقية لدوركيم فى علم الاجتماع.

شكل رقم ١٦

النمط عند دوركيم

انماط التماسك الأجتماعى

العوامل	التماسك الآلى	التماسك العضوى
١- السلوك	تسيطر عليه التقاليد ومعتقدات واراء متماثلة	تزايد الفردية وينمى التخصص فى العمل الفردية
٢- القوانين والاخلاق والضوابط الاجتماعية	يتحكم فيه العقاب القهرى	التأكيد على الصواب والعقاب
٣- البناء السياسى	الإجتماعات العامة	قيام علاقات التعاقد بين الحكومة والمواطنين
٤- الاقتصاد	المشاركة والملكية المشاعة	الملكية التعاقدية والخاصة
٥- الدين	الطوطمية - النزعة القبلية والتعصب لموطن الإقامة	وحدانية الله
٦- الانتحار	الغيرى فى سبيل الجماعة	الاثانى - الانتحار بلا مبرر نتيجة الانحراف عن المعايير

يتزايد تقسيم العمل طردياً بمرور الزمن نتيجة تحسن الاخلاق وزيادة كثافة السكان.

اهمية الوحدة الاخلاقية - تنمو من خلال التربية - تبدو فى العادات والنظام واحترام السلطة.

ويمكن أن نلخص بعض القضايا الأساسية عند دوركيم على النحو التالى:

١- إلى أى مدى يمتلك الضمير الجمعى وجوداً مستقلاً فى الواقع؟ أى هل دوركيم وحد بين الضمير الجمعى والمجتمع، ومن ثم فرض وجوداً مستقلاً للوجود الجمعى؟

٢- مدى ارتباط العلاقة بين حجم السكان وتقسيم العمل وبساطة التكامل الاجتماعى والربط بين هذه العوامل يتضمن خطر التبسيط المفرط.

٣- يبدو أن مشاكل قياس الوقائع الاجتماعية على مستوى الفرد والمجتمع كثيرة.

٤- إلى أى مدى تمثل الوقائع الاجتماعية حاجات الصفوة بدلاً من حاجات المجتمع العامة؟ لقد درس دوركيم مشكلة عدم المساواة لكنه آمن بالتفسير البنائى للمجتمع.

ورغم تلك المشكلات، فلا زالت أعمال دوركيم واحدة من أهم المساهمات التى قدمت لعلم الاجتماع والفكر الاجتماعى العلمى وخاصة تصوره المعيارى للمجتمع ويلخص لنا شكل (١٧) اطار العمل النظرى عند دوركيم.

شكل رقم ١٧

ملخص اطار العمل النظرى عند دوركيم

دوركيم ١٨٥٨ - ١٩١٧

النشأة :

١- ابن أسرة يهودية.
٢- درس القانون والفلسفة الوضعية.
٣- عاش وتربى مع تقاليد عصر التنوير.
٤- عايش الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى فرنسا.

أهدافه:

فهم الظواهر الاجتماعية وتأثيرها على المشكلات الاجتماعية فى مقابل التفسيرات النفسية.

الافتراضات:

١- وجود الضمير الجمعى وان المجتمع الكلى مختلف عن مجموع اجزائه.
٢- الحقائق الاجتماعية وقائع موجودة.
٣- يأتى التماسك من التماثل.
٤- ينجم التماسك عن تقسيم العمل.
٥- تقوم السلطة على الفكر الجماعى.
٦- تمثل الحقائق الاجتماعية حاجات المجتمع.
٧- التغير فى حجم السكان وتغير الكثافة الاجتماعية وتغير تقسيم العمل.
٨- يؤدى الانحراف وظيفة فى المجتمع.

المنهج:

١- الوقائع الاجتماعية أشياء يمكن أن تقاس.
٢- تقوم القضايا على فروض علمية أى وقائع مادية (بيانات وأمثلة مستمدة من التاريخ).
٣- المقارنة.
٤- الإثبات من خلال التباين المتلازم.

نمط المجتمع:

التماسك الآلى والعضوى.

القضايا:

١- وجود الضمير الجمعى.
٢- التأثير الحاسم لحجم السكان.
٣- قياس الوقائع الاجتماعية.
٤- ما الذى تمثله الوقائع الاجتماعية.

فرديناند تونيز ١٨٥٥ – ١٩٣٦

النشأة:

ولد تونيز فى ريف مقاطعة ايزنتستاد وهى اقليم ريفى يعتمد على الزراعة. وتعلم وتلقى دروسه عن هوبز وهيجل وكونت وسبنسر فى جامعة Tubinger. وقد عاش مظاهر الاضطراب الاقتصادى والسياسى والتطورات الصناعية فى عصره. وإهتم اهتماماً أساسياً بدراسة المجتمع باعتباره محصلة الإرادة الإنسانية، ومن ثم يمكن أن يقال أنه أضاف بعداً اجتماعياً ونفسياً إلى النظرية العضوية وأهم أعماله «الجماعة المحلية والمجتمع» صدر فى عام ١٨٨٧ ثم نشر «مقدمة فى علم الإجتماع» عام ١٩٣١.

الأهداف:

يرى تونيز أن علم الاجتماع هو دراسة للإرادة الاجتماعية باعتبارها أساس الحقيقة الاجتماعية. فنظرية الإرادة الإنسانية تقوم على محاولة فهم الطبيعة البشرية. ومن ثم فقد حاول فهم المجتمع كدالة على الإرادة الإنسانية.

الافتراضات:

١- افترض تونيز فرضاً أساسياً مؤداه أن المجتمع بما يتضمن من علاقات وروابط هو محصلة الإرادة الإنسانية.

٢- تتكون هذه العلاقة من أفعال الإرادة الفردية التى تترابط سوياً لتشكل الأفعال الجمعية للإرادة وعلى هذا النحو يتكون البناء الاجتماعى.

٣- يمثل التفاعل الاجتماعى بين أفراد المجتمع تعبيراً عن أفعال الإرادة اثناء تبادل الفعل.

٤- تأخذ هذه الإرادة نمطاً واحداً من النمطين الآتيين:

أ -الإرادة الطبيعية وهى الأساس الذى تقوم عليه الجماعة المحلية.

ب- الإرادة العقلانية وهى القاعدة التى يستند عليها المجتمع، أى أن الإرادة الطبيعية تعبر عن القاعدة التى يقوم عليها المجتمع التقليدى. أما الإرادة

العقلية فتعبر عن الأساس الذى يبنى عليه المجتمع الصناعى وهكذا تتباين المجتمعات حسب المعايير السائدة والحركة من النمط الفطرى الطبيعى إلى النمط العقلانى.

٥- المجتمع كل عضوى يقوم على نوع خاص من الإرادة.

المنهج:

قسم تونيز علم الاجتماع إلى ثلاثة ميادين:

أ - علم الاجتماع النظرى البحت ويهتم بدراسة النماذج التصورية.

ب - علم الاجتماع التطبيقى ويتضمن مفهومات العلم عن الظواهر الاجتماعية.

ج - علم الاجتماع التجريبى ويستفيد من ادوات التجريب والمعطيات التجريبية، ويقتدى بالطريقة الاستقرائية: وقد إستفاد تونيز من كل هذه الميادين، وإستخدام المنهج العام فى الاستدلال التاريخى بصفة أساسية لتحديد نموذج الجماعة المحلية والمجتمع باعتبارهما نمطين مثاليين للإرادة الاجتماعية.

نمط المجتمع:

ترجع شهرة تونيز إلى اكتشافه نمطين أساسيين للإرادة الإجتماعية وهما الجماعة المحلية والمجتمع. وتعبر الجماعة المحلية عن المجتمع التقليدى الذى يعيش أفراده حياة محلية تقوم على العلاقات العائلية الوثيقة الدافئة، ومعايير المحبة والفهم والحماية والروابط الاجتماعية التى ترسخها القرابه والجماعة المحلية واللغة المشتركة (أى أن الجماعة المحلية هى المجتمع الطبيعى). أما النمط الآخر فيعبر عن المجتمع الصناعى الحديث الذى يقوم على علاقات اقتصادية لا شخصية ومتكلفة مصطنعة وتسود فيه معايير وقيم الاقتصاد الحديث والعمل والاستهلاك وروابط الطبقة الاجتماعية والتبادل الاقتصادى القائم على التعاقد. ويقابل هذا النمط الاجتماعى الأنماط الثلاثة للمجتمعات عند كونت وثنائية سبنسر عن المجتمع العسكرى والصناعى، وأشكال التماسك عند دوركيم. بيد أنه ينبغى أن نؤكد هنا أن المجتمع شكل خاص لحالة عقلية داخلية تناقض الصيغ الخارجية والآلية عند الرواد مثل كونت وسبنسر ودوركيم. ويلخص لنا شكل رقم (١٨) تفاصيل نمط المجتمع عند تونيز.

شكل رقم ١٨

نمط المجتمع عند تونيز

العوامل	المجتمع المحلى	المجتمع
الحيـــــــاة	الحياة مشاعة	جمهورية
المجتمـــــــع	تقليدى	صناعى
العلاقـــــــات	أسرية - وثيقة - بالسليقه	اقتصادية - لا شخصية، متكلفة
الدوافـــــــع	التعاضد والحماية	المنافسة الاقتصادية
المعـــــــايير	الحب والفهم والتنظيم	القيم الاقتصادية والعمل والمنافسة
الجماعـــــــات	تقوم على البناء العائلى الكبير	تقوم على الطبقات الاقتصادية
الممتلكـــــــات	مشاعة	فردية
السـلـــــــطة	أبوية	قوة الدولة
الروابـــــــط	روابط عامة - المكان والنية والرغبة	التبادل الاقتصادى بناء على العقود

القضايا الأساسية:

ولقد فهم تونيز المجتمع باعتباره تعبيراً عن نوع خاص من الإرادة الجمعية، سواء أكانت الإرادة طبيعيه فطرية أم عقلانية. وتعمل هاتان الإرادتان على المستوى الفردى والجمعى. ويمثلان نسقاً اجتماعياً عضوياً. ويثير مدخل تونيز عدداً من القضايا أهمها.

١- الحقيقة المستقلة للإرادة الاجتماعية على مستوى المجتمع.

٢- وجود نمطين للإرادة الاجتماعية.

٣- المشكلات المتأصلة فى هذا التقسيم الثنائى المبسط.

٤- ثمة عدد من العوامل الاجتماعية الأخرى تساهم فى النسق الاجتماعى.

وبالرغم من هذه القضايا - فإن عمل تونيز يكمل ويساهم فى النمط الاجتماعى للنظرية العضوية، وصار نمطه الأساس الذى قامت عليه أعمال تالية فى كل من علم الإجتماع والانثربولوجيا. ويلخص شكل رقم ١٩ تفاصيل اطار العمل النظرى عند تونيز.

شكل رقم ١٩

ملخص اطار العمل النظرى عند تونيز

فرديناند تونيز ١٨٥٥ - ١٩٣٦

النشأة :

١- ابن عائلة ريفيه من ملاك الريف.

٢- عاش وتربى وتأثر بفكر عصر التنوير.

٣- عايش الاضطرابات الاقتصادية والتطور الصناعى.

الأغراض:

فهم المجتمع باعتباره دالة للإرادة الإنسانية.

الافتراضات:

١- المجتمع محصلة الإرادة الإنسانية.

٢- تتجمع افعال إرادات الأفراد لتكون الأفعال الجمعية.

٣- يمثل التفاعل افعال الإرادة خلال التبادل.

٤- ثمة نمطان للإرادة: الطبيعية والعقلانية.

٥- المجتمع كل عضوى.

المنهـج:

١- ينقسم علم الإجتماع إلى ٣ ميادين:

علم الاجتماع النظرى البحت وعلم الإجتماع التطبيقى وعلم الاجتماع التجريبى.

٢- استخدم الاستدلال التاريخى.

نمط المجتمع:

المجتمع المحلى المجتمع الكبير

القضايا:

١- استقلال وجود الإرادة الجمعية.

٢- اسس الإرادة الإجتماعية.

٣- النمط المبسط للإرادات.

٤- ملائمة العوامل المجتمعية الأخرى.

ملخص نمط النسق الشمولى المتكامل فى النظرية العضوية

تكشف لنا المقارنة بين دوركيم وتونيز عن عدد من مظاهر الإتفاق أهمها:

١- إهتم كل منهما بفهم الظواهر المعيارية أو الاجتماعية (كل ما هو اجتماعى هو اخلاقى).

٢- افترض كل منهما الوجود المستقل لهذه الظواهر.

٣- عرف كل منهما أساس الظواهر الاجتماعية باعتباره نمط النسق الاقتصادى للمجتمع.

٤- حدد كل منهما نمطين أساسيين للظواهر الإجتماعية فهناك التماسك الآلى والتماسك العضوى عند دوركيم. والجماعة المحلية والمجتمع عند تونيز.

٥- عرف واستخدم كل منهما المنهج التاريخى المقارن.

٦- يتطابق نمط المجتمع عند كليهما.

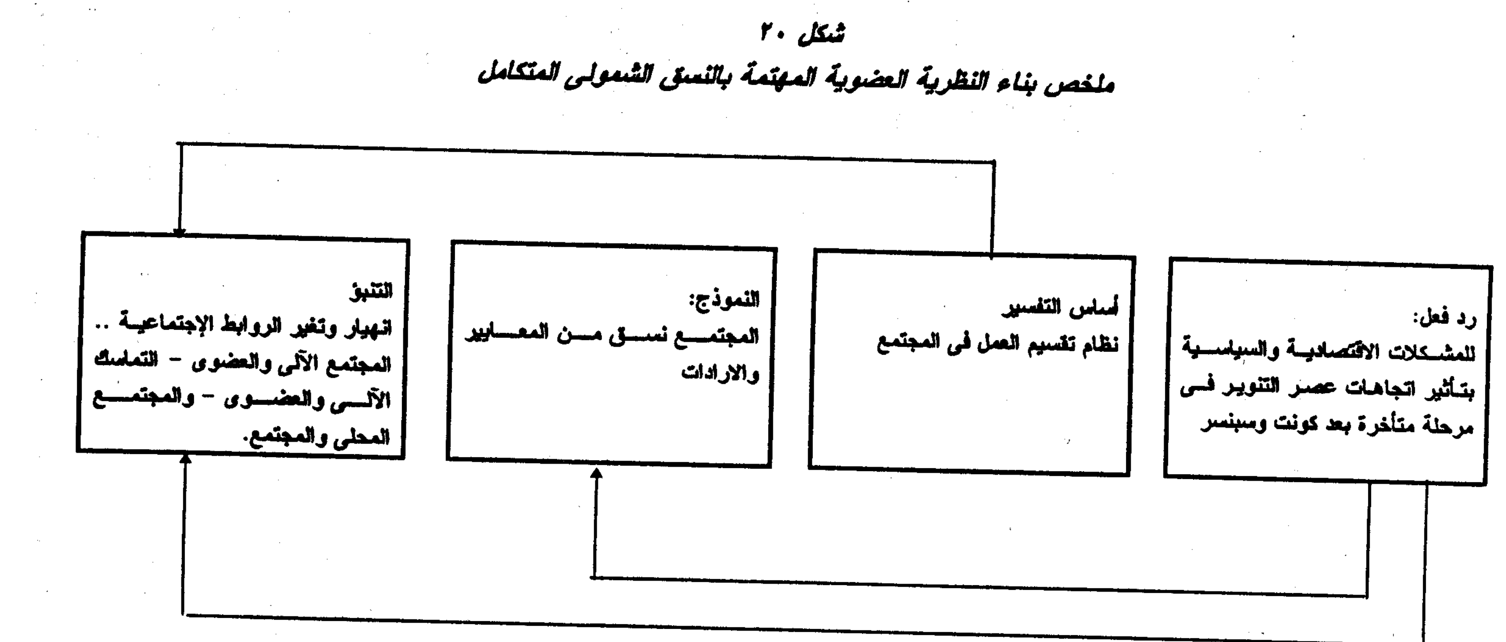
وتبين لنا اراء دوركيم وتونيز أننا أمام نظرية عضوية فى مرحلة أكثر تطوراً وتقدماً، وتعتبر رد فعل فكر عصر التنوير للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت فى تلك الأيام. وتبين لنا ارؤهما أن النظرية متغيرة وتثرى دائماً بفكر متجدد وليست جامدة. ويلخص لنا شكل رقم (٢٠) العناصر الأساسية لهذا الفرع من النظرية العضوية.

ملخص المدخل العضوى:

يمثل المدخل العضوى رد فعل مفكرى الطبقة العليا. الذين تعلموا فكر عصر التنوير (أى تعرفوا على فكر الإتجاهات الطبيعية والعقلانية والتطورية الاجتماعية والإصلاح الاجتماعى والمنهج الوضعى) وعرفوا موقف فكر عصر التنوير فى البيئة الاجتماعية التى يعيشون فيها وما يضطرم فيها من ثورة سياسية وانفجارات واضطرابات اجتماعية وتطور صناعى، ويتضمن رد الفعل تصور المجتمع كنسق عضوى تحكمه قوانين طبيعية. وأساس هذا النسق تقسيم العمل أو بناء الادوار الذى يقوم عليه النسق المعيارى. ورأى منظرو النظرية العضوية إن النسق يتطور تلقائياً من المرحلة التقليدية إلى المرحلة الحديثة والصناعية وما يترتب على هذا التغير من تحولات فى البناء المعيارى. ومن اجل التوضيح يلخص شكل رقم ٢١ العناصر الأساسية للنموذج العضوى فى التفسير الاجتماعى العلمى.

شكل ٢٠

ملخص بناء النظرية العضوية المهتمة بالنسق الشمولي المتكامل



الأغراض:

وكان ظهور هذا الإتجاه العضوى فى المدرسة الاجتماعية محاولة لتطبيق قوانين العلوم الطبيعية فى مجال علم الاجتماع لتفسير التطور الاجتماعى من أجل تحقيق تجانس اجتماعى أكبر وتكامل اجتماعى أفضل.

الافتراضات:

١- المجتمع نسق عضوى مترابط.
٢- يتطور المجتمع تلقائياً تبعاً لحاجاته الأساسية.
٣- يتطور المجتمع تلقائياً من المرحلة التقليدية ومرحلة ما قبل الصناعة إلى المجتمع الحديث والصناعى.
٤- يتكون البناء الاجتماعى من البناء المعيارى للمجتمع ويقوم على نظام تقسيم العمل.
٥- يمكن أن يقسم المجتمع إلى البناء الاجتماعى (الاستاتيكا الاجتماعية) والعملية الاجتماعية (الديناميكا الاجتماعية).

المنهج:

١- تطبيق الملاحظة التجريبية (الوضعيه).
٢- المنهج المقارن التجريبى.
٣- الاستفادة من استقراء التاريخ.

نمط المجتمع:

عرض أنصار هذا الإتجاه أكثر من نمط للمجتمع وقسمو المجتمع إلى أطوار نمطية من التطور الاجتماعى. (المراحل الثلاثة عند كونت والمجتمع العسكرى ثم المجتمع الصناعى عند سبنسر. والمجتمع المتماسك آلياً، ثم المجتمع المتماسك عضوياً عند دوركيم. والجماعة المحلية والمجتمع الكبير النابعان من الإرادة الاجتماعية عند تونيز).

ومن ثم نقول أن المدخل العضوى يعبر عن نزعة طبيعية تطورية لرؤية المجتمع. ويعكس هذا المدخل فكر عصر التنوير، ويوجه إطار العمل هذا أساس النظرية الاجتماعية بل ويعد جزءاً أساسياً من علم الاجتماع العام.

شكل ٢١

بناء النظرية الاجتماعية العضوية

الفصـــل السابع

نمـــوذج الصـــــراع

- نمط النسق الاجتماعى الشمولى فى نظرية الصراع
  ماركس وبارك

- النمط الطبيعى فى تفسير نظرية الصراع
  باريتو وفبلن

- ملخص لنموذج الصراع

نموذج الصراع

وعلى نقيض المدخل العضوى فى تفسير المجتمع، ينظر مدخل الصراع إلى المجتمع بإعتباره نسقاً يتكون من جماعات متصارعة ومتنافسة، تناضل للحصول على موارد الحاجات المادية الأساسية. وثمة عدد من العوامل الأولية وراء الصراع أهمها مشكلة التنظيم الاجتماعى (التغيرات السكانية ونظام العمل) والطبيعة الإنسانية (الغرائز أو السمات).

وهذا النموذج كما سنرى، يعبر عن نظرية ذات نزعة طبيعية وتطورية تنظر للمجتمع كنسق كلى مثلها فى ذلك مثل النموذج العضوى. وقد نشأ نموذج الصراع متأثراً إلى حد كبير بفلسفة عصر التنوير أيضاً. بيد أن منظرى مدخل الصراع لهم تجارب اجتماعية وسياسية واقتصادية تتباين تبايناً كبيراً عن تجارب منظرى المدخل العضوى. كما أن منظرى مدخل الصراع يهتمون بالحاجات الإنسانية وتغير المجتمع أكثر من إهتمامهم بمشكلات توازن الأنساق القائمة ومحاولة إعادة تأكيد النظام الاجتماعى السائد. وإذا كان بناء نموذج الصراع يماثل بناء النموذج العضوى إلا أن الأساس الأيديولوجى لكل نموذج يختلف عن الآخر، ويؤكد هذا الخلاف أن النظرية الاجتماعية هى تفسير للواقع، وأنها محصلة رد فعل وتفاعل مجموعة من المفكرين مع المشكلات المدركة السائدة فى عصرهم.

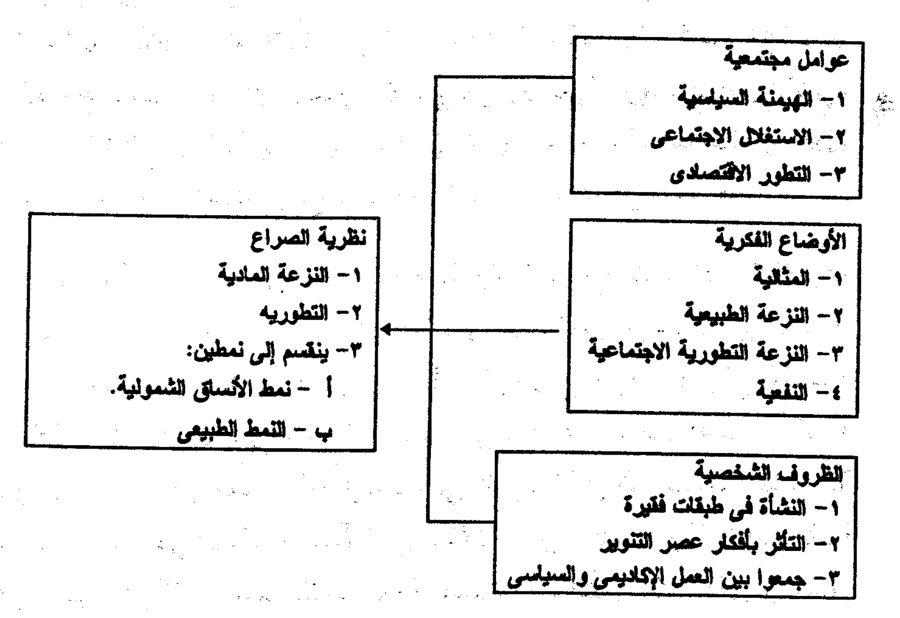
وثمة أراء متباينة فى تحديد تاريخ نظرية الصراع الاجتماعى التقليدية، وهل تبدأ وتنتهى بأفكار ماركس أم تبدأ بماركس ثم يتلاحق نموها وتغيرها عند غيره من علماء الاجتماع فى العالم الرأسمالى. إن تاريخ نظرية الصراع التقليدية يمتد لفترة طويلة تبدأ من ١٨١٨ وتنتهى فى عام ١٩٤٤ فقد إهتم بدراسة الصراع مجموعة من العلماء المتعارضين فى الفكر، إلا أن ثمة عناصر مشتركة تجمع بينهم، فهم فى الأغلب قد نشأوا فى طبقات فقيرة كادحة، وثانياً فهم تلقوا وعرفوا مبادئ وأفكار عصر التنوير خلال محاضرات الأدب الكلاسيكى والفلسفة والتاريخ والقانون والاقتصاد، وإندمجوا فى النشاط السياسى، وساهموا فى حركات المعارضة الإيجابية، وعانوا من القهر السياسى والصراع، وعايشوا

استقطاب المجتمع إلى طبقتين متصارعتين. كما أنهم نشأوا حسب مُثل وقيم عصر التنوير التى تؤمن بالقوانين الطبيعية والمثالية والتطور والإيمان بالعقل والنفعية والاشتراكية الخيالية[1]. ويلخص شكل رقم ٢٢ عملية التنظير.

ومن جهة أخرى لا يجب أن ننظر إلى كل الأفكار التى يتضمنها نموذج الصراع باعتبارها أفكاراً راديكالية ثورية متجانسة أى أن نموذج الصراع كما يشمل على مبادئ ثورية يضم أفكاراً محافظة بالمثل، وهكذا تتباين الإتجاهات الايديولوجية داخل مدخل الصراع، وذلك حسب نمط التفسير الذى يقتدى به. فالنموذج الاشتراكى عند ماركس وبارك أكثر ثورية فى مضمونه من غيرهما، بينما الرؤية الطبيعية للصراع عند باريتو فأكثر محافظة فى صياغتها وأغراضها وأهدافها وإتجاهها العام، رغم أن كلا منهما يؤكد على الصراع والتغير.

شكل رقم ٢٢

العوامل الأساسية وراء نظرية الصراع



---

(١) الاشتراكية الخيالية – هى الاشتراكية الطوباويه. وقد ولدت عن صرخة طوبابوية ضد البؤس والفقر والظلم فى نهاية القرن ١٨ وماركس هو الذى وصم نظريات سان سيمون وفوربيه ولوى بلان بالاشتراكيه الخيالية مقابل الاشتراكية العلمية راجع موسوعة الهلال الاشتراكية ص ٣٩ – ٤٠ المترجم.

ويمكن أن نوضح الفروق السابقة على النحو الآتـى: أولاً يـرى مدخـل مشكلات المجتمع أن النضال فـى سبيل إشباع الحاجات يفضـى إلـى الصـراع والتغير. أما المدخل الطبيعي من جهة أخرى فيرى أن ثمـة خصـائص متأصلـة فى الطبيعة الإنسانية (السمات أو الرواسب) تفسر عمليات الصراع. ثانياً: يـرى كل من ماركس وبارك أن الظروف البيئيـة والاقتصاديـة هـى الأسباب الكامنـة وراء الصراع. بينما يرى باريتو وفبلن أسباب الصـراع وراء القيم والافكـار، أى أن ثمة مدخلاً معيارياً يفسر عمليات الصراع ورغم ذلك فإن نمطـى نظريـة الصراع يقومان على رؤية للمجتمع ترى أنه يقوم على نمط من التـوازن حتـى ولـو كـان هذا التـوازن وقتيـاً أو غيـر مسـتقر، وهمـا نمطـان شموليان يؤمنـان بالتطور والنزعة الطبيعية.

ومـن ثـم فنظريـة الصـراع تمثـل نموذجـاً شـمولياً للمجتمـع وتتفـق مــع المدخل العضوى فى بناء تفسيرها ولكنها تختلف عنه لكونها ترى المجتمع قائماً علـى التنـافس والهيمنـة والصــراع بـدلاً مـن الإتفـاق والإسـتقرار والإجمـاع والتوازن. كذلك ينقسم نموذج الصراع إلى إتجاهين، أحدهما يؤكـد أن الصـراع نتاج عوامل مجتمعية على مستوى المجتمع كله، بينمـا يـرى الإتجـاه الأخـر أن العوامل الطبيعيـة علـى مستوى الوحدة المكونـة مـن عـدد صـغير مـن الأفـراد عوامل أساسية وراء الصراع وأخيراً يختلف مدخل الصـراع فـى إتجاهيـه عـن المدخل العضوى فى تأكيد كل أطرافه على الحاجات الإنسانية بدلاً من أولويـات المجتمـع أو اولويـات النسق، ورغـم أن بنـاء هـذه النظريـات متمـاثل، فـإن المضمون الايديولوجي لكل منها يختلف اختلافاً واضحاً.

بعد هذا العرض الموجز علينا أن نتقدم خطوة لنعـرض لأهـم المفكريـن الذين إهتموا بالصراع.

كارل ماركس ١٨١٨ - ١٨٨٤

ولد كارل ماركس فى المانيا، وهو أبن محام يهودى درس التاريخ والفلسفة والقانون. ومارس العمل فى الصحافة وشارك فى الأعمال الثورية السياسية بما فى ذلك تكوين الرابطة الدولية للعمال، ومؤتمر عصبة الشيوعيين. وقاوم الضغوط السياسية والاقتصادية التى شهدتها المانيا فى عصره، ويعد كتابه «نقد الاقتصاد السياسى» من أشهر أعماله(*) وأيضاً من مؤلفاته الهامة المشهورة «البيان الشيوعى». وبتأثير الفلسفة المثالية الألمانية والاشتراكية الفرنسية والنظرية الاقتصادية البريطانية قدم نظرية فى الصراع نتيجة تفاعله ومعايشته المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى عصره، والأمر الذى لا يقبل الجدل أن فكر ماركس أثار حواراً خصباً وتأثيراً عمقياً فى الفكر الاجتماعى المعاصر، إذ إنقسم علماء الاجتماع بين الرافض تماماً أو المؤيد إلى درجة التعصب لفكر ماركس وبين هذين النقيضين نجد المشوه لفكره أو المعدل أو المقتبس.

الأهداف:

كان الهدف الأكبر عند ماركس تحليل العلاقة بين ظروف وأوضاع الحياة المادية (البناء الاقتصادى للمجتمع) وأنماط الفكر (البناء الفوقى المعيارى للمجتمع). تلك العلاقة التى تقوم على مبدأ متطور ومتغير أثناء تطور المجتمع عبر التاريخ. وكانت هذه العلاقة أساسية فى فكر ماركس. عندما بدأ تحليل مظاهر الفساد الخلقى فى عصر التصنيع والإستغلال الرأسمالى التى طرأت على الإنسان الطبيعى. والتى جعلت منه إنساناً مغترباً يعانى من الملل والسأم. وكان الهدف الايديولوجى الذى يكمن وراء فكر كارل ماركس هو إعادة بناء المجتمع فى صورة طبيعية، يعاد فيه تكوين الإنسان الطبيعى (الذى يحمل خصائص البيئة الطبيعية والاجتماعية) بدلاً من الإنسان المغترب. ولذا كتب لنا كارل ماركس وفق منهج محدد هو منهج المادية التاريخية - كتب لنا - دراسة

(*) تجاهل المؤلف تماماً كتاب «رأس المال». صدر الجزء الأول سنه ١٨٦٧ عرض فيه لأول مرة بالتحليل العلمى الدقيق قوانين الاستغلال الرأسمالى المترجم.

تاريخية تفصيلية عن الاقتصاد السياسى فى نطاق المادية التاريخية، والحقيقة إن ماركس يعد منظراً وعالماً تطبيقياً إستخدم فكر هيجل وصاغه فى نظرية جدلية عن المجتمع تهدف إلى تغييره وتؤكد تأكيداً واضحاً خاصاً على تطور البناء الاقتصادى.

الافتراضات:

١- كان الفرض الأساسى الأكبر عند ماركس هو أن الوجود يحدد الوعى، أى أن الأوضاع المادية فى الحياة تحدد الوعى الاجتماعى أو الضمير المعيارى عند الشخص.

٢- وإستناداً على هذا الفرض، فإن العنصر المادى يحدد الايديولوجيا وبتغير الأوضاع المادية (التناقضات المادية والاقتصادية) يحدث التغير الاجتماعى (التغير فى المعايير أو الوعى الاجتماعى).

٣- وتبعاً لذلك، فالمجتمع له جذور تمتد إلى الظروف المادية للحياة. إن شكل ومضمون البناء الفوقى السياسى والتشريعى للمجتمع يحددهما البناء الاقتصادى التحتى الذى يتطور أثناء سعى الناس لإشباع حاجاتهم الأساسية (أى النضال الإنسانى ضد الطبيعة) وهكذا يمثل المجتمع توازناً متطوراً يحدد فيه أسلوب الإنتاج المادى الاساسى أى (النسق الاقتصادى) طبيعة العلاقات والوعى الاجتماعى.

٤- يؤدى التفاعل الجدلى (التفاعل والتركيب النهائى بين العناصر المتعارضة) بين البناء الاقتصادى والبناء الفوقى المعيارى للمجتمع إلى تعدد مراحل التطور. إذ أن تزايد السكان وتزايد الحاجات الاقتصادية يؤديان إلى تزايد فى نسق تقسم العمل أو بناء الادوار، وهذا التطور بدوره يؤدى إلى تراكم الملكية الخاصة. ونتيجة تزايد الملكية الخاصة ونمو الصناعة وتطورها ينشأ النظام الرأسمالى ويتبع ذلك مرحلة الهيمنة الاقتصادية واغتراب الطبقة العاملة عن الطبيعة وأدوات الإنتاج. وأخيراً يؤدى ظهور التناقضات، وتزايد المشكلات داخل النظام الرأسمالى الاقتصادى إلى تغيرات فى الوعى ومن ثم الثورة، مما

يدفع بالمجتمع نحو الاشتراكية حيث يولد الإنسان الطبيعي من جديد. ويبين هذا النموذج الذى طبق فيه ماركس الفكرة الجدلية عن التطور التاريخى للمجتمع وضوح علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين البناء الفوقى والبناء التحتى. وهكذا فالصراع بين الطبقات وبالتالى الصراع بين الدول هو محصلة التطور الاقتصادى والذى بدوره يؤدى إلى تغير ملحوظ فى البناء الاقتصادى، يصاحبه تغير ثورى فى الوعى الإنسانى الاجتماعى. ويبدو لنا واضحاً من هذه الأفكار أن مدخل الصراع عند ماركس هو مدخل متطور وديناميكى.

وبإيجاز فقد طبق ماركس جدلية هيجل[1] على التفسير المادى للتاريخ الاجتماعى. ورأى أن العناصر المادية تحدد العناصر الاجتماعية وتوجه المجتمع إلى الرأسمالية نتيجة لتزايد مظاهر تقسيم العمل فى المجتمع وتمتع الملكية الفردية بفائض العمل البشرى. وبتطبيق الجدلية على النظام الرأسمالى يعتبر هذا النظام بداية الحركة إلى الاشتراكية. تلك المرحلة من التطور التى يعود فيها الإنسان مرة ثانية إلى حالته الطبيعية حيث يتوحد الإنسان من جديد ببيئته الطبيعية والاجتماعية.

ومن ثم فالصراع الاجتماعى وظيفة للجدل المستمر بين البناء الفوقى والبناء التحتى فى سعى الإنسان إلى إشباع حاجاته الأولية فى مجتمع متطور متغير. وتبعاً لهذه الرؤية فإن علم الاجتماع يميل إلى الدراسة التاريخية للبناء الاقتصادى المتغير للمجتمع، بإعتبار هذا البناء الاقتصادى هو القاعدة التى تفجر الصراع. وأخيراً فالمجتمع فى جميع مراحل تطوره الاقتصادى يعيش حالة من التوازن المؤقت.

المنهج:

إشتهر ماركس بتطبيق مدخل المادية الجدلية على التاريخ الاجتماعى، وترجع جذور المنهج الجدلى إلى جدلية هيجل. ويرى أنصار المادية الجدلية أن ثمة مجموعة من القوى كامنة داخل الظواهر تدفع بها إلى التغير تتمثل فى وجود القضية

---

(١) تعنى جدلية هيجل ان هناك صراعاً داخل الذات ويدفعها هذا الصراع إلى الحركة والتغير والتغرب عن الذات والانتقال الدائم إلى نقيض هذه الذات. فهناك القضية – ثم نقيض هذه القضية ثم نفى هذا النقيض اى مرحلة المركب الجديد المترجم.

(أى حالتها الأصلية) والنقيض (الحالة العكسية) ثم ظهور مركب جديد (حالة ثالثة تجمع بين الحالتين المتعارضتين) الذى يتحول إلى قضية جديدة، يوجد نقيضها، (أى حالة جديدة) وتستمر الدورة. وهكذا فالظواهر الاجتماعية فى صيرورة مستمرة. ومن ثم يركز التطور الجدلى على ديناميكية تطور وتغير الظواهر.

ولقد إستفاد ماركس من هذه الإداة الفلسفية وطبقها على الرؤية المادية للمجتمع. وبناء على ذلك إعتقد ماركس أن البناء المادى فى المجتمع يفسر ما يطرأ على المجتمعات من تطور مستمر وتقدم، وعندما طبق ماركس المبدأ الجدلى على التاريخ حدد لنا جدلية اجتماعية خاصة على النحو الأتى: مرحلة الشيوعية البدائية – مرحلة العبودية – المرحلة الاقطاعية – المرحلة الرأسمالية – مرحلة الاشتراكية. وعلى هذا النحو أصبحت المادية الجدلية أداة اجتماعية علمية فى التحليل التاريخى للتطور الاجتماعى. كما أدت هذه الأداة إلى اكتشاف القوى المادية والقوى المتناقضة التى تؤدى بدورها إلى تغيرات فى البناء الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع.

وبناء على ذلك فسر شراح النظرية الإجتماعية جهد ماركس بأنه مساهمة فى علم الاجتماع التاريخى الذى يركز على العلاقات المتغيرة بين طرق الانتاج فى المجتمع والبناء الاجتماعى. ولقد وضح لنا ماركس تفصيلياً تاريخ النظم الاجتماعية، وحاول أن يجرد الأحداث والنتائج النظرية المجردة من العمليات الاجتماعية هادفاً من ذلك هدفاً ايديولوجيا مؤداه عرض الأساس العلمى للاشتراكية. وهكذا تحول غرض التحليل الاجتماعى إلى تحليل التغير الاجتماعى.

نمط المجتمع:

وبتأثير منهجه فى المادية التاريخية، حدد لنا عدداً من مراحل التطور الاجتماعى تصور طرق الإنتاج السائدة فى كل مرحلة من مراحل التطور. وقد بدأ هذا التطور بالمرحلة القبلية التى يسود فيها صيد الحيوانات وصيد الأسماك والزراعة وتسود فى هذا المجتمع السيطرة الأبوية، ويعبر نظام تقسيم العمل عن امتداد نظام العائلة، ويمكن أن نقول أن نظام تقسيم العمل، ومن ثم نظام الملكية الفردية؛ كانا فى أبسط أشكالهما وإن لم يتبلورا بعد.

وباندماج القبائل سوياً تحول الناس إلى مرحلة التكتلات الاجتماعية البدائية التى سادت فيها العبودية وبدأت تتبلور فيها الملكية الخاصة، ونظام تقسيم العمل. وبانكماش الزراعة بدأ التحول إلى المرحلة الإقطاعية، وهو نظام يقوم على امتلاك الأرض فى صورة السلطة الأبوية، وحيث يسيطر النبلاء المزارعين على الفلاحين العبيد الذين يرتبطون بالأرض ارتباطاً وثيقاً. بيد أن هذا البناء الاقتصادى كان بلا فاعلية وعجز عن تحقيق المطلوب منه، ومن ثم تحطم وإنهار أمام مظاهر النمو الحضارى، ونمو المدينة البرجوازية، وتزايد الحاجة إلى اقتصاد المصنع والنتائج التى ترتبت على الفتوحات الجغرافية لبلدان العالم، وما ترتب على ذلك من الإستعمار الاستيطانى للبلدان المكتشفة حديثاً.

وكانت النتيجة الحتمية لهذه التطورات نمو الرأسمالية، كنظام يؤمن باحتكار أصحاب رؤوس الأموال لوسائل الانتاج وموارد الثروة فى صورة رأس المال، وأصبح العمل هو السلعة الأساسية التى يقدمها العامل. وفى ظل هذا النظام الاقتصادى ظهر وإنتشر مبدأ المنفعة، وإستثمار النقود، وتحول المجتمع إلى مجتمع طبقى تتدرج فيه الطبقات، إبتداء من طبقة الملاك فى القمة وتليها فى المكانة طبقة المديرين ثم العمال فى أسفل البناء الاجتماعى. بيد أن ماركس أوضح أن الرأسمالية مثلها مثل غيرها من الأنظمة لن تدوم، إذ يترتب على تفاقم مشكلات الانتاج، تزايد اغتراب العمال، ثم تنظيم الطبقة العاملة لنفسها، ثم تثور ثورتها ضد البراجوازية الرأسمالية، وبعد ذلك تبدأ عملية إنحلال الرأسمالية، وتحرك المجتمع نحو غايته القصوى، إلى حالة الاشتراكية كما يزعم ماركس، وفى ظل هذا النظام تظهر ديكتاتورية الطبقة العاملة وتلغى الملكية الفردية، ويختفى النظام الطبقى، ويتحول المواطن إلى إنسان اجتماعى، ويتجدد التآلف بين المجتمع والطبيعة عندما يختفى نظام الملكية الخاصة ونظام تقسيم العمل من الوجود، وبمعنى آخر فإن الاشتراكية تتضمن العودة إلى حالة المجتمع القبلى البدائى، حيث يرتبط الأفراد ارتباطاً وثيقاً مع البيئة الطبيعية والاجتماعية ويلخص شكل رقم (٢٣) نمط مراحل تطور المجتمع عند ماركس.

شكل رقم ٢٣

نمط المجتمع عند ماركس

القبيلة ← الشيوعية البدائية ← الاقطاع ← تدهور الاقطاع ← الرأسمالية ←

القبيلة
١- صيد الحيوانات
صيد الاسماك
الزراعة
٢- تقسيم العمل
سلطة العائلة الممتدة
٣- البناء الأبوى

الشيوعية البدائية
١- بداية الملكية الخاصة
٢- بداية تقسيم العمل
٣- ظهور العبودية

الاقطاع
١- مجتمع ريفى
٢- أرض زراعية
٣- سلطة النبلاء

تدهور الاقطاع
١- عدم جدواه
٢- ظهور البرجوازية
٣- التحضر
٤- نمو الرأسمالية
٥- الحاجات الصناعية

الرأسمالية
١- العمل سلعة أساسية
٢- البناء: الملاك والعمال
٣- ايديولوجية المنفعة
٤- النزعة المادية غير الطبيعية
٥- الاغتراب والعبودية
٦- ظهور فائض الانتاج

← الثورة ← الاشتراكية

الثورة
١- تنجم عن الاغتراب والفساد
٢- تنظيم طبقة العمال

الاشتراكية
١- مجتمع لا طبقى
٢- اختفاء الملكية الخاصة
٣- تحول الفرد إلى شخصية اجتماعية
٤- عودة التوجه مع الطبيعة

القضايا الاساسية:

وفى النهاية نقول إن ماركس افترض الرؤية المادية والجدلية لتفسير المجتمع، وحاول تحليل ديناميكية العلاقة بين الأساس الاقتصادى للمجتمع والبناء الفوقى المعيارى من أجل إعادة الإنسجام بين الفرد والطبيعة. وافترض ماركس أن العناصر المادية تحدد شكل العناصر اللامادية ويترتب على ذلك تزايد فى تقسيم العمل وتراكم الملكية الخاصة، وتطور النسق الاجتماعى فى أطوار متتابعة محددة هى القبيلة والشيوعية البدائية ثم الاقطاع فتدهوره ثم الرأسمالية وأخيراً الاشتراكية.

ويثير نموذج ماركس عدداً من التساؤلات والقضايا أهمها:

١- رغم تماثل نموذج ماركس فى الشكل مع نموذج الرواد مثل كونت وسبنسر، فكل منهم قدم نموذجاً طبيعياً يؤمن بالنسق الشمولى ويؤكد على التطور، إلا أن المضمون الايديولوجى عند ماركس يختلف اختلافاً جذرياً عن مضمون كونت وسبنسر.

٢- تشبه رؤيته للمجتمع فى الشكل رؤية كونت وسبنسر، ومن ثم يكون رابطة بين النظرية العضوية ونظرية الصراع.

٣- النزعة الحتمية المادية عند ماركس لها نظيرها عند كونت وسبنسر.

٤- يناظر تحديد ماركس للمصدر الاساسى للتغير الإجتماعى بأنه شمولى ومجتمعى أعمال رواد علم الاجتماع بينما يماثل تأكيده على المعرفة باعتبارها ظاهرة يحددها المجتمع أعمال كونت.

٥- يرى ماركس أن تقسيم العمل فى المجتمع هو الذى يحدد وعى المجتمع ويشاركه فى ذلك دور كيم.

٦- تعبر اشتراكية ماركس عن فلسفة رومانسية تحجب التحليل الاجتماعى العلمى. ومن ثم يبدو عاجزاً عن تفسير الأثار البسيطة والمعقدة للتصنيع على النسق الاجتماعى الرأسمالى.

يمثل فكر ماركس نقطة البداية فى نظرية الصراع. كما أن تأثيره النقدى يمتد حتى اليوم إلى نظرية الصراع المعاصرة وعلم الاجتماع الراديكالى، رغم نقاط الخلاف والاتفاق بينه وبين رواد علم الاجتماع.

ويلخص لنا شكل ٢٤ اطار العمل النظرى عند كارل ماركس.

شكل رقم ٢٤

ملخص اطار العمل النظرى عند ماركس

كارل ماركس ١٨١٨ - ١٨٨٢

النشأة :

١- ابن عائلة يهودية.
٢- درس الفلسفة والقانون والتاريخ.
٣- شارك فى العمل الصحفى والحركات السياسية.
٤- تأثر بأفكار عصر التنوير.
٥- عايش الاضطهاد السياسى فى المانيا.

الأغراض:

تحليل العلاقة بين الفكر وظروف الحياة.

الافتراضات:

١- الوجود يحدد الوعى.
٢- الماديات تحدد اللا ماديات.
٣- المجتمع له جذور تمتد إلى الاوضاع المادية للحياة.
٤- الجدلية: البناء الفوقى والبناء التحتى = التطور الثورى.

المنهـج:

علم الاجتماع التاريخى
تطبيق منهج المادية الجدلية.

نمط المجتمع:

مراحل تطور المجتمع.

القضايا:

١- التماثل مع النظرية العضوية.
٢- فكرة التوازن المتطور.
٣- الحتمية المادية.
٤- علم اجتماع المعرفة.
٥- تحدد المادية القضايا اللا مادية.

روبرت بارك ١٨٦٤ – ١٩٤٤

ولد بارك فى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة. إبن رجل اعمال، تلقى تعليمه الجامعى فى جامعات هارفارد، ومانيسوتا وبرلين. درس الفلسفة وعلم النفس، وتأثر بفكر وتعاليم زيمل فى جامعة برلين. بدأ حياته العملية فى الصحافة، وشارك مشاركة فعالة فى رابطة اصلاح السود. ولقد إحتل بارك دوراً قيادياً فى قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو وتشرب تعاليم النزعة التقدمية الامريكية والفلسفة المثالية. وتوحد مع افكار جون ديوى ووليم جيمس وزيمل وتونيز ولذا تبنى مدخلاً موجهاً يهتم بتفسير البيئة والعمليات الاجتماعية. ويركز بارك على التنافس والصراع بإعتبارهما عمليتين أساسيتين لاحداث التغير الاجتماعى. وأشهر أعمال بارك «ضغوط المهاجرين واساليب السيطرة عليها» صدر ١٩٢٢ ومقدمة فى علم الاجتماع ونشر عام ١٩٢١ ثم «العرقية والثقافة» وصدر بعد وفاته عام ١٩٥٠.

الأهداف:

رأى بارك علم الاجتماع باعتباره علماً ينشد الوصول إلى قوانين طبيعية وتعميمات تتعلق بالطبيعة الانسانية والمجتمع بصرف النظر عن الزمان أو المكان. إن القانون الطبيعى فى رأيه حكم يصف سلوك شريحة من الموضوعات، ولما كان بارك قد نظر إلى المجتمع باعتباره نسقاً مماثلاً للأنساق الأخرى فى الطبيعة، فقد ركز على الأساس البيئى للمجتمع، وخاصة توزيع الأفراد والجماعات فى المكان. وترجع الصلة الوثيقة بين تفسيره للمجتمع ونظرية الصراع إلى تركيزه على نضال الإنسان ضد البيئة من أجل البقاء، وما يترتب على ذلك من عمليات ديناميكية مثل الصراع والتوافق اللذين يعتبران حالتين وقتيتين تدفعان إلى تطور المجتمع إلى الأمام.

وهكذا قدم بارك نظرية الصراع فى البيئة، وهى مماثلة لنظرية الصراع عند ماركس من حيث تأكيدها على الدور المركزى لمشكلات المجتمع.

الافتراضات:

يتضمن الإتجاه البيئى فى تفسير المجتمع عند بارك عدداً من الافتراضات الأساسية الآتية:

١- يكمن أساس الاستقرار الاجتماعى فى عملية التطور، كما يعتمد التوازن الاجتماعى على تطور المجتمع.

٢- إفترض بارك أن الكائنات الإنسانية تناضل نضالاً مستمراً فى سبيل البقاء. وأساس النضال عملية التنافس.

٣- وينبثق من نضال الناس مع الطبيعة نظام طبيعى، يظهر فى توزيع الافراد والجماعات فى المكان مثلما يظهر من خلال التفاعل والتساند بينهم.

٤- وفى هذا النظام الحيوى، يفضى التنافس إلى عمليات الهيمنة والسيطرة على البيئة وتوارثها.

٥- والعمليات الاجتماعية الأساسية داخل النظام هى التنافس والصراع والتوافق والتمثيل اى الاستيعاب الثقافى، وأساس التنافس عملية التطور الذى يفضى إلى تتابع لاحق للعمليات الاجتماعية والتى تقود فى آخر الأمر إلى الإستيعاب الثقافى. ومن ثم تعتمد العمليات الاجتماعية على قوانين طبيعية أساسية وخاصة على التنافس من أجل الحصول على الموارد كلها والتى تؤدى بدورها إلى تتابع هذه العمليات. ومن ثم فالصراع عملية حيوية ومتطورة وشاملة تؤدى إلى نتائج حاسمة فى تتابع المجتمع. وقد يختلف هذا المدخل اختلافاً ملحوظاً عن تحديد ماركس من أن الصراع فى سبيل الموارد يؤدى إلى أشكال خاصة من السيطرة ويفضى فى النهاية إلى الاشتراكية، وهى صورة من صور الاستيعاب الثقافى.

٦- يرى بارك أن النسق الاجتماعى يتكون من الأساس البيئى الذى تقوم عليه الانظمة الاقتصادية والسياسية والاخلاقية. كما تتأثر هذه الأنظمة بالقوى الأساسية وهى الصراع والتنافس والتوافق والاستيعاب الثقافى. وأساس هذا النسق أداء وظيفة الضبط الاجتماعى وهى الظاهرة الأساسية فى المجتمع ومشكلة المجتمع فى الوقت نفسه. هنا يتجلى بوضوح التشابه بين ماركس وبارك.

٧- وفى هذا المدخل الديناميكى لتفسير المجتمع يفترض بارك أن التغير الاجتماعى يتقدم من تتابع خاص لأحداث معينة، أولها التبرم والقلق وإنتشار الاضطرابات ثم الحركات الاجتماعية، مما يولد تعديلات وتحولات تنظيمية وإعادة البناء.

٨- رأى بارك أن تصور الفرد لذاته دالة لوضعه داخل تسلسل المكانات فى المجتمع. وهكذا يؤثر التنظيم الاجتماعى الكبير على الفرد والمستوى النفسى الاجتماعى للفرد.

وبإيجاز يرى بارك أن المجتمع يقوم على نظام بيئى أساسى والعمليات الطبيعية للتنافس والتطور، ومن ثم فالنسق الاجتماعى - الذى يتكون من نظم أو أنظمة بيئية واقتصادية وسياسية وأخلاقية يعكس عمليات التنافس والتطور، ويؤدى وظيفته الأساسية فى ضبط الأفراد وضبط عمليات التنافس. ويطرد هذا النسق أثناء تطوره خلال مراحل متتابعة من التنافس فالصراع فالتوافق فالإستيعاب، مؤثراً على مستوى الأفراد فى النسق صغير الحجم من خلال تصور الفرد لذاته.

ونظرية الصراع مع البيئة هذه مماثلة لنظرية الصراع عند ماركس من حيث تأكيدها على أن الصراع ظاهرة طبيعية وعامة وأن الضبط هو وظيفة المجتمع، وأن المجتمع يمر بمراحل تطور، وأن المجتمع أساس الظواهر المعيارية وهذه المداخل التى ترى مشكلات المجتمع محصلة ديناميكية المجتمع هى الإطار النظرى الأساسى للصراع.

المنهج:

وقد إستفاد بارك من منهج التاريخ الطبيعى، الذى يتكون من دراسة الحالة ودراسة تاريخ الحياة. وقد استخدم هذا المنهج لتتبع الاطوار المتلاحقة للتطورعلى كافة مستويات النسق الاجتماعى. وهنا يظهر بوضوح التشابه مع منهج الاستقراء التاريخى عند ماركس.

نمط المجتمع:

يتكون نمط المجتمع عند بارك من المفهوم الهرمى لمستويات التنظيم، وهو نموذج بيئى للنسق الاجتماعى. قاعدة هذا النسق هى النظام البيئى، أى (الحضارة والمجتمع المحلى) ويرتبط بتوزيع الأفراد والجماعات فى البيئة أثناء نضالهم فى بيئة تصلح للمعيشة، ومثل هذا المجتمع هو محور العملية البيئية، ثم يأتى بعد النظام البيئى، النظام الاقتصادى، ويهتم بإنتاج واستهلاك السلع والخدمات، ثم النظام السياسى ويركز على حل الصراعات بفرض أساليب العقاب الاجتماعى، وأخيراً النظام الاخلاقى (الثقافة والمجتمع) على أعلى مستوى، وينظم هذا النظام الأخلاقى الأنظمة الأخرى بتأثير المعايير والأعراف والميراث الثقافى.

وتؤثر القوى البيئية للهيمنة والتتابع والمراحل المتتابعه للاتصال والتنافس والصراع والتوافق والاستيعاب الثقافى على النسق العام للتنظيم الاجتماعى. ويلخص لنا شكل (٢٥) النمط الاساسى عند بارك.

القضايا الاساسية:

وهكذا يتبين لنا من عرض أراء بارك أنه فسر المجتمع باعتباره نسقاً طبيعياً، وأنه إكتشف مدخل الصراع مع البيئة وأنه طبق العمليات البيئية الأساسية عند دراسة النظام الاجتماعى، وقد رأى بارك أن التنافس والتطور عمليتان عامتان واستخدمهما وطريقة التاريخ الطبيعى لدراسة تطور النسق الاجتماعى، الذى يتكون من نظم بيئية وأقتصادية وسياسية والنظام الاخلاقى خلال عدد من المراحل البيئية المتتابعة (وهى الإتصال والتنافس والصراع والتوافق والاستيعاب) استجابة للقوى الأساسية للسيطرة وتوارث البيئة. وقد لخص رقم ٢٦ أطار عمل الصراع البيئى عند بارك.

ويثير نموذج بارك عدداً من التساؤلات والقضايا أهمها:

١-نموذج بارك مماثل لنموذج ماركس من حيث وصف الصراع والتطور باعتبارهما عمليتين طبيعيتين، وأن الاستقرار الاجتماعى يعتمد على

شكل رقم ٢٥

مستويات التنظيم عند بارك

	النظام البيئى	النظام الاقتصادى	النظام السياسى	النظام الاخلاقى
الوظيفة	الحضاة والمجتمع توزيع الأفراد والجماعات فى البيئة (المكان)	انتاج واستهلاك السلع والخدمات	حل الصراع من خلال تفسير الجزاءات المجتمعية	(الثقافة والمجتمع) تنظيم الأوامر والنواهى
نمط الجماعة	الأولية	الجماعة الاولية والجماعة الثانوية	الجماعة الاولية والثانوية	الجماعات الاولية والثانوية
موضع الاهتمام أو التأكيد	النضال من أجل بيئة آمنه نافعه صالحة للمعيشة تؤكد على تقنيات الصناعة والتجارة	يدرس القيم باعتبارها سلعاً	تحديد ما إذا كان الفعل يقع تحت طائلة أى جزاءات اجتماعية مقبولة	العرف والميراث الاجتماعى

العمليات البيئية: الاتصال والتنافس والصراع والتوافق والاستيعاب الثقافى

شكل رقم ٢٦
ملخص إطار العمل النظرى عند بارك
روبرت بارك ١٨٦٤ - ١٩٤٤

النشأة :

١- ابن رجل اعمال.
٢- تعلم الفلسفة وعلم النفس.
٣- إنغمس فى الصحافة ودرس علم الاجتماع.
٤- تأثر بديوى ووليم جيمس.
٥- ينتمى إلى المثالية الامريكية.

الأهداف:

هدف علم الاجتماع صياغة قوانين طبيعية وتعميمات تتعلق بالطبيعة الإنسانية والمجتمع بصرف النظر عن الزمان والمكان.

الافتراضات:

١- أساس استقرار المجتمع يكمن فى عمليات التطور.
٢- يناضل الأفراد نضالاً مستمراً وأساسياً فى سبيل الوجود ويتخذ الناس التنافس سبيلاً له.
٣- تؤدى العمليات إلى نظام طبيعي يتسنى ادراكه فى توزيع الأفراد والجماعات والتنظيمات على سطح الأرض،وفى مدى تفاعلهم وتساندهم.
٤- الهيمنة وتوارث البيئة = عمليتان كبيرتان تتحققان فى البيئة.
٥- يتكون النسق الاجتماعى من الانظمة البيئية والسياسية والأخلاقية.
٦- التغير الاجتماعى عملية متتابعة متلاحقة.
٧- تصور الذات دالة على المكانة الاجتماعية.

المنهج:

طريقة التاريخ الطبيعى: وتشمل دراسة الحالة وتتبع مراحل تاريخ الحياة.

النمط:

مستويات التنظيم الاجتماعى.

القضايا:

١- تأثر بماركس.
٢- تطبيق العمليات البيئية.
٣- مرحلة الاستيعاب غير واضحة.
٤- طريقة الوصف بدلاً من النظرية.
٥- تحدد المادية القضايا اللا مادية.

التطور وأن المجتمع نسق محكم، وثمة مراحل للصراع الاجتماعى والظواهر المعيارية تقوم على تدرج المكانات الاجتماعية.

٢- تظل قضية مدى إمكانية التطبيق المباشر للعمليات الطبيعية والبيئية على المجتمع مسألة رئيسية.

٣- المراحل المتتابعة للتطور عند بارك واسعة وعامة مما يجعل أستعمالها النظرى والتطبيقى مستحيلاً، إذ يبدو من العسير للغاية التفرقة تجريبياً بين كل مرحلة.

٤- مرحلة الاستيعاب الثقافى عند بارك كانت مثار نقد لأنها غامضة. ومن المحتمل أن تكون قائمة على أساس اثنوجرافى فى تأكيدها استيعاب الاقليات ثقافة الصفوة.

٥- يمكن أن يوصف النموذج الذى إقترحه بارك بأنه نموذج وصفى أكثر منه نموذج تفسيرى.

ورغم أن ثمة مشكلات وتساؤلات تحيط بأراء بارك، فثمة سؤال هام مؤداه هل حاول بارك توضيح وتكملة العمل الرائد لماركس فى مجال نظرية الصراع ؟ أم حاول أن يسرق منه الأضواء، ويلقى ظلالاً من الشك حول فكر ماركس لأن هناك من يرى أن نظرية بارك مازالت مثالاً هاماً لمدخل دراسة المشكلات الاجتماعية الذى يهتم بدراسة الصراع الاجتماعى.

ملخص لمدخل النسق الاجتماعى الشمولى فى دراسة الصراع

ثمة عدد من مظاهر الإتفاق بين ماركس وبارك وأهمها:

١- كانت نظرية ماركس وبارك رد فعل واضح للمناخ الفكرى السائد فى عصرهما، والذى عكس تأثير نظرية التطور الاجتماعى على كل أنماط الفكر.

٢- كان محور أهتمام كل منهما تحليل العلاقات بين الأساس الطبيعى أو المادى للمجتمع والبناء الاجتماعى.

٣- رأى كل منهما أن المجتمع توازن متطور بين دفتي التنافس والتطـور، وأن الوظيفة الأساسية للمجتمع هى الضبط الاجتماعى.

٤- إتفق كل منهما على أن المادى يحدد اللا مادى.

٥- نظر كل منهما إلى التنافس باعتباره عملية هامة وعامة وسبب كل صراع.

٦- يرى كل منهما المجتمع باعتباره حالة تتطور دائماً إلى الأمام.

٧- يرى كل منهما تتابع مراحل التطور.

٨- ينظر كل منهما إلى الحالة النهائية للتطور باعتبارها إعادة تركيب أو تمثل (استيعاب) العناصر المتنافرة.

٩- ينظر كل منهما إلى الذات الاجتماعية للفرد باعتبارها وظيفة للظروف المادية أو الوضع الذى يشغله الفرد فى البناء الاجتماعى.

١٠- استخدم كل منهما الاستقراء التاريخي باعتباره المنهج الرئيسى.

١١- صاغ كل منهما نمطاً عن مراحل التطور الاجتماعى.

١٢- وضـع كـل منهمـا نموذجـاً للنسق الاجتمـاعى حيث يحـدد البنـاء التحتـى المادى البناء الفوقى.

ورغم إختلاف ماركس عن بارك اختلافاً جذريـاً فإنهمـا يمثـلان مدخـلاً مادياً لتطور المجتمع هو أساس نظرية الصراع والنظرية الراديكالية المعـاصرة ويحدد شكل رقم ٢٧ بناء هذا التفسير.

شكل ٢٧

بناء مدخل النسق الاجتماعى الشمولى فى دراسة الصراع

رد فعل:	اساس التفسير:	نموذج المجتمع:	التنبؤ:
للقهر السياسى والتطـور الاقتصـادى فـى عصـر التنوير والاتجـاه المثـالى الثقـافى فـى الولايـات المتحدة	المشـكلات المادية والبنيـة أسـاس المجتمـع والصـراع والتطور	المجتمع نسق منظـور يتكـون مـن جماعـات متنافسة وابنية فوقيـة وتحتية	يـؤدى التنـافس الاجتمـاعى والصـراع إلـى الاشـتراكية والاستيعاب الثقافى

النمط الطبيعى فى تفسير الصراع

يهتم المدخل الطبيعى فى دراسة الصراع اهتماماً أكبر بدراسة الصراع على مستوى الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم، وأنه أعطى اهتماماً أكبر للمنهج الاستقرائى وقد أمن كل من باريتو وفبلن أكبر منظرى هذا المدخل بأن الحالات النفسية أو السمات تفضى إلى التنافس والصراع والتغير الاجتماعى. ويختلف باريتو وفبلن مع ماركس وبارك اللذين يركزان على الوحدة الكبيرة الحجم باعتبارها السبب الأساسى وراء الصراع، ورغم هذا الاختلاف فالكل يجمع على أن المجتمع بناء ديناميكى متطور متغير يتفاعل مع قوى وضغوط معينة، ومع أن العوامل العلية وراء الصراع متباينة، فإن المفهومات النظرية عن الصراع متماثلة.

الفريدو باريتو (١٨٤٨ - ١٩٢٣)

ولد باريتو بايطاليا عام ١٨٤٨، وهو أبن أحد نبلاء ايطاليا تعلم الآداب الكلاسيكية والاقتصاد والعلوم وشغل وظيفة استاذ الاقتصاد السياسى بجامعة لوزان، وكان عضواً بمجلس الشيوخ الايطالى وشغل وظائف اكاديمية. كما مارس الأعمال التجارية والمالية وأشتغل بالسياسة «حتى وصل إلى منصب مستشار موسولينى»(*) . قاسى الكثير من الصراعات السياسية فى ايطاليا، وناضل من أجل الحرية والوحدة، وعايش الصراع بين أحزاب اليسار وأحزاب اليمين. وتأثر بأفكار ميكافيللى والوضعية والداروينية الاجتماعية. أهم أعماله على الإطلاق دروس فى الاقتصاد السياسى الذى صدر عام ١٨٩٦ - ١٨٩٧ والنظام الاشتراكى الذى نشره عام ١٩٠١.

الأهداف:

كان هدف باريتو الأساسى تعريف وتفسير القوى الحقيقية التى تحدد حالة التوازن داخل النسق الاجتماعى أى تفسير العناصر التى تعمل داخل

(*) هذه الفقرة لم ترد فى النص الانجليزى المترجم.

النسق وتؤثر عليه بالتالي. ويتضمن هذا الهدف التركيز على الديناميكية الاجتماعية للصراع والتغير بدلاً من دراسة النظم الاجتماعية الثابتة. ويرى باريتو أن العناصر الاساسية التى تكمن وراء تلك العمليات هى عناصر فردية تتكون على مستوى الوحدة الصغيرة الحجم، وتتكون من حالات نفسية ومبادئ عقلانية من صنع المجتمع تحدد بدورها السلوك الاجتماعى والعمليات الاجتماعية. وتوصف نظرية باريتو بإعتبارها نظرية معيارية تعتمد على المنهج الاستقرائى، وتستند على أساس طبيعى مؤداه النظر إلى الرواسب بإعتبارها عناصر أساسية لفهم المجتمع.

الافتراضات:

١- إن الفرض الأساسى عند باريتو هو أن النشاط الاجتماعي يمكن أن ينقسم إلى نمطين أساسيين:
النمط الأول نشاط اجتماعى منطقى والذى تتطابق فيه الغاية الموضوعية مع الهدف الذاتى. والنمط الآخر نشاط اجتماعى لا منطقى، الذى يتباين فيه الغرض الموضوعى عن الهدف الذاتى.

٢- وعلاوة على ذلك، يرى باريتو أن الحجم الأكبر من النشاط الاجتماعى هو نشاط غير منطقى (سلوك.غير منطقى) يستند على الحالات النفسية للفاعل، وترجع أسبابه إلى الطبيعة وغريزة الترابط، وتترابط كل هذه العوامل لتكون الرواسب أو القوى الاجتماعية.

٣- ينظر إلى الأفكار المنطقية بإعتبارها أساس عدد من الفئات أو أنماط القوى أو الرواسب التى تحدد التوازن الاجتماعى. وقد صنف باريتو هذه الرواسب إلى ست فئات:
الفئة الأولى: غريزة الترابط والتكامل (التماثل الطبيعى بين الافراد). والفئة الثانية: غريزة تواصل واستمرار الجماعة (العلاقات الأسرية). والفئة الثالثة: الحاجة إلى المشاعر العاطفية من خلال الافعال الخارجية. (الانجذاب الدينى والتعبير عن الذات والتبريرات العقلية). والفئة الرابعة: الرواسب التى ترتبط

بالتنشئة الاجتماعية (التوافق والشفقة والقسوة والتضحية بالذات). والفئة الخامسة: تكامل الفرد وحقوقه (مثل المساواة والتكامل). الفئة السادسة: رواسب الجنس. وهذه الرواسب الستة أو القوى الاجتماعية تحدد السلوك الاجتماعى والتوازن.

٤- ويقوم بتدعيم هذه الرواسب المشتقات والتبريرات العقلانية للمجتمع على أساس حاجة البشرية إلى المنطق. وقد صنف باريتو المشتقات إلى أربع فئات. الفئة الأولى: التأكيد على الواقعية، الفئة الثانية: السلطة، والفئة الثالثة: المشتقات المرتبطة بالتوافق مع المشاعر أو المبادئ. الفئة الرابعة: المشتقات الخاصة بالبراهين اللفظية. وبهذه الكيفية تؤثر الرواسب فى الحقيقة الاجتماعية من خلال تبريراتها العقلانية المعيارية أو مشتقاتها.

٥- يختلف توزيع الرواسب فى المجتمع الواحد من جماعة إلى جماعة ومن طبقة لأخرى، وتحاول الرواسب أن تحقق التوازن الاجتماعى والتساند، وكلما تغير توزيع الرواسب وخاصة فئة الترابط والتكامل وغريزة استمرار الجماعة، تغير هذا التوازن إلى حالة أشبه بحالة الدورة بين الصفوة الحاكمة والصفوة غير الحاكمة. ويؤدى التغير فى توزيع الرواسب بمعنى امتصاص الطبقات العليا للعناصر الاجتماعية الأكثر ترفا، واستيعاب وتمثل أفراد الطبقات الدنيا للعناصر الاجتماعية أكثر رقياً وتمثيلاً للمثل العليا - ويؤدى هذا التغير - إلى إندلاع الثورات والتأرجح بين نوعين من الصفوة المهيمنة. فهناك الأسود الذين تحكمهم رواسب غريزة استمرار الجماعة، وهناك الثعالب الذين تحددهم رواسب الترابط والتكامل. وتداول السيطرة بين صفوة الأسود وصفوة الثعالب دائم ومستمر، ويعتمد على التوزيع المتغير لرواسب التكامل ورواسب استمرار الجماعة. ومن ثم فالمجتمع فى حالة توازن ديناميكى يعتمد على التوزيع المتغير للرواسب، مما يؤدى إلى استمرار التنافس والصراع وتداول السيطرة لمراكزهما.

٦- أخيراً رأى بايتو المجتمع باعتباره نسقاً تتبادل الصفوتان السيطرة داخله ويتكون هذا النسق من ثلاثة عناصر أساسية:

أ - الظروف والعوامل الفيزيقية.

ب - العناصر الخارجية (المؤثرات الوافدة من مجتمعات أخرى).
ج - العناصر الداخلية (العرقية والرواسب والمشتقات). وهذه العناصر ديناميكية وتتبادل التأثير فيما بينها.

وموجز القول أن باريتو يرى أن المجتمع يقوم أساساً على أفكار منطقية تؤثر من خلال فئات الرواسب التى توزع هى ومشتقاتها أو تبريراتها توزيعاً متبايناً على طبقات المجتمع مما يفسح المجال لقيام التوازن الاجتماعى وتبادل الحكم نتيجة تغير توزيع الرواسب بين الأسود والثعالب. ومن ثم فآراء باريتو تعبر عن مدخل طبيعى ديناميكى يدرس المجتمع كنسق ديناميكى يؤكد على مدخل للصراع مماثل لمدخل كل من ماركس وبارك. ويتجه إلى تأكيد العوامل الطبيعية والمنهج الاستقرائى أكثر مما يؤكد على العوامل الاجتماعية الشمولية والمنهج الاستدلالى. ولكن الفرق الأساسى بين ماركس وباريتو يكمن فى تأكيد الأخير على الطريقة التى تحدد بها الظواهر المعيارية الظواهر المادية، بدلاً من تأكيد أهمية الظواهر المادية فى التأثير على الظواهر المعيارية كما فعل ماركس.

المنهج:

يرى باريتو أن محور اهتمام علم الاجتماع هو تحديد وتصنيف وتوزيع الرواسب فى المجتمع، وتتبع مدى تكرارها وتغيرها، وقد اقتضى ذلك منه استخدام الملاحظة العلمية والتجريب والتركيز على العلاقات الوظيفية والاضطرادات والانتظام والارتباط، وعلى العموم فعلم الاجتماع يتضمن الدراسة العلمية للرواسب السائدة فى المجتمع.

نمط المجتمع:

أخذ وصف باريتو لنمطين أساسيين لصفوة المجتمع هما الأسود والثعالب طابعاً نظرياً. فالنمط الأول للصفوة تحكمه رواسب الفئة الثانية أى غريزة استمرار الجماعة وتتمثل هذه الصفوة فى الصفوة العسكرية والدينية، وتؤكد على الولاء والتماسك والوطنية بإعتبارها قيم أساسية، وتميل هذه الصفوة إلى استعمال القوة عند الضرورة، وهى جماعة محافظة دوماً، أما فئة الثعالب

فعلى العكس ترمز إلى غريزة التكامل، وتضم هذه الفئة رجال المال والرأسماليين، وهؤلاء يميلون دوماً إلى المناورة واستخدام الدهاء ويهتمون بالتطور، ويتميزون بالكفاءة والتكتل السياسى وتطوير اتجاهاتهم والمهارة فى العمل السياسى، كما أنهم يتلونون ويتشكلون حسب مقتضيات الموقف. ويعتمد المجتمع فى تحقيق التوازن على عملية دورة الصفوة المستمرة، والتى بدورها، تعتمد على توزيع مجموعة من الأفكار ورواسب غريزة التكامل ورواسب الربط بين الأشياء وإستمرار الجماعة. كما يوضح ويلخص ذلك شكل رقم ٢٨.

شكل رقم ٢٨

نمط المجتمع عند باريتو

نمط الصفوة

الدورة

الابعاد	الاسود	الثعالب
أ – رواسب سائدة ب – انماط الجماعة ج – التوجهات	الفئة الثانية: استمرار الجماعة العسكرية والدينية أ – الولاء والتماسك والوطنية ب – استخدام القوة ج – المحافظة	الفئة الاولى غريزة الارتباط أ – الدهاء الخبيث ب – التلاعب الاقتصادى ج – ظهور الامبراطوريات السياسية

القضايا:

وكان رد فعل باريتو للصراع السياسى فى عصره وتحت تأثير الاتجاهات الداروينية والوضعية صياغة نظرية طبيعية استقرائية عن الصراع الاجتماعى. ورأى أن المجتمع يقوم على مجموعتين من الرواسب أو مجموعتين من الأفكار ويخضع المجتمع لسيطرة طبقتين معينتين أى تحكمه دورة الصفوة التى تعبر عن هذه التوجهات. ويعتمد الصراع والتغير على التوزيع النسبى لهذه الرواسب، مؤدياً إلى عملية تداول دورة الصفوة، والتى هى نفسها أساس التوازن الاجتماعى. ويمثل المجتمع نسقاً متوازناً من القوى المعيارية تتبادل فيها الصفوتان مكانتيهما، وتبعاً لتوزيع تلك القوى، ويلخص شكل رقم ٢٩ اطار العمل النظرى عند باريتو.

شكل رقم ٢٩
ملخص الإطار النظرى لأعمال
الفريدو باريتو ١٨٤٨ - ١٩٢٣

النشأة :

١- ابن أسرة من النبلاء.
٢- تعلم الادب الكلاسيكى والعلم والاقتصاد.
٣- إنغمس فى النشاط السياسى والاعمال المالية والاكاديمية.
٤- تأثر بأفكار عصر التنوير.
٥- ساهم فى الصراع السياسى فى ايطاليا.

الغرض:

تعريف وتفسير القوى الحقيقية التى تحدد حالة التوازن فى النسق الاجتماعى اى العناصر التى تؤثر على النسق، والتى بدورها تتفاعل معه.

الافتراضات:

١- النشاط الاجتماعى منطقى وغير منطقى.
٢- يعتمد الجزء الأكبر من النشاط الاجتماعى على أفعال لا منطقية.
٣- فئات الرواسب.
٤- فئات المشتقات.
٥- التوزيع المتباين للرواسب.
٦- تبادل الصفوتين الحكم.

المنهـج:

تعريف وتصنيف الرواسب وتوزيعها وتكرارها.
استخدام المنهج العلمى.

النمط:

نمطا الصفوة.

القضايا:

١- النزعة الطبيعية والنزعة التحليلية للعناصر المكونة للمجتمع.
٢- نظرية الصفوة فى الصراع.
٣- دور البناء الاجتماعى.
٤- أهمية الظواهر المعيارية.
٥- التوازن أساسى.

وتثير اراء باريتو عدداً من القضايا الواضحة:

١- تثير اراؤه عن الرواسب التي تستند على الطبيعة الخوف من رد كل شئ إلى الطبيعة، أي أن كل معيار من المعايير الاجتماعية يصبح دالة على راسب فطرى، ومن ثم نعود إلى نظرية الغرائز.

٢- صاغ لنا باريتو نظرية محددة وأساسية عن الصفوة والتغير الاجتماعى عندما ركز على الصفوة باعتبارها منبع كل تغير اجتماعى.

٣- يبدو أن باريتو أهمل دور البناء الاجتماعى باعتباره متغيراً مستقلاً.

٤- ساهمت فكرة المشتقات والتفسيرات المعيارية فى اثراء علم اجتماع المعرفة.

٥- يقيم تعريفه لدورة الصفوة، وفكرة التوازن الاجتماعى رابطة وثيقة بين المدخل العضوى ومدخل الصراع.

ورغم أن باريتو كان ضيق الأفق فى بناء نظريته إلا أنه قدم مساهمة هامة فى صياغة نظرية الصراع.

ثورشتاين فبلن (١٨٥٧ - ١٩٢٩)

ولد فبلن فى واشنطن، إبن عائلة مهاجرة من النرويج، درس الآداب الكلاسيكية والفلسفة والاقتصاد فى جامعة كارلتون، مارس مهنا اكاديمية، وإشتغل فى الخدمة الحكومية، ترجع إصوله الاجتماعية إلى أسرة فقيرة عانى من آثار التوسع الصناعى فى امريكا وتأثر بالاضطرابات السياسية والانتفاضات السياسية، ولذا إهتم اهتماماً شديداً بدراسة التفاعل بين الاقتصاد والتطور الاجتماعى عند سمنر وماركس، وركز على دراسة نظرية التطور والنفعية أهم مؤلفاته نظرية «الطبقة المترفة»[1] صدر عام ١٨٨٩ ونظرية المشروع التجارى صدر ١٩٠٤ وغريزة البراعة فى العمل صدر ١٩١٤.

---

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية محمود محمد موسى، ضمن سلسلة من الفكر السياسى والاشتراكى، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الأهداف:

كان الهدف الأساسى عند فبلن استخدام الفكر الاجتماعى العلمى بدلاً من الاقتصاد الكلاسيكى لدراسة التطور الإنسانى، وتبعاً لهذا الهدف إكتشف نظرية فى التطور التكنولوجى وتتبع فيها عرض تأثير الغريزة الاقتصادية عند الفرد على عمليات اجتماعية أساسية مثل التنافس والتغير الاجتماعى، ومثله مثل باريتو صاغ لنا نظرية طبيعية تعتمد على المنهج الاستقرائى لدراسة الصراع الاجتماعى، إلا أن فبلن تميز فى كونه أعطى اهتماماً أكبر لتأثير العوامل الاقتصادية.

الافتراضات:

١- تقوم نظرية فبلن على فرض أساسى مؤداه أن الطبيعة الإنسانية تشتمل على ثلاث سمات أساسية هى:

أ - الحنو الأبوى.

ب - غريزة البراعة فى العمل أو الكفاءة فى العمل.

ج - حب الاستطلاع.

وقد رأى فبلن إن هذه السمات تمثل الأسس التى تقوم عليها نظم المجتمع.

٢- يرى فبلن أن حب الاستطلاع هو العامل الأساسى وراء التغيير التكنولوجى. وهذا التغير هو الدافع الأول لتطور المجتمع والتغير الاجتماعى.

٣- تبدأ عملية التطور الاجتماعى بتغير القيم الإنسانية والتى تؤدى بدورها إلى تطور التكنولوجيا، ويؤدى تغير التكنولوجيا بدوره إلى تغير القيم والأفكار. ويستمر التغير كعملية تراكمية لتحقيق التوافق بين الوسائل والغايات فى الحياة الاقتصادية.

٤- من الأفكار الأساسية فى نظرية فبلن فكرة «المصلحة الاقتصادية الإنسانية» التى تفسر عملية النمو الثقافى والتراكم المتلاحق فى النظم الاقتصادية. وهذه الأفكار تجعل منه نصيراً للحتمية الاقتصادية.

٥- تبين عملية النمو، أن التطور عملية عضوية متداخلة وتمثل كل مرحلة من مراحل التطور توازناً تكنولوجيا، إذ أن تداخل الأجزاء يعنى الدعم المتبادل والاعتماد المتبادل، مما يعنى أن اضافة عنصر جديد أو طرح أو تقلص أى عنصر قديم يتضمن بالضرورة إخلالاً بطبيعة العلاقة المتبادلة بين الأجزاء وهذا المدخل أقرب إلى النزعة الوظيفية المهتمة بالتكنولوجيا.

٦- ينظر عادة إلى التطور كعملية تراكمية، وأنه يظهر رد فعل لتغير المشكلات المادية، ويعبر عن التكيف الانتقائى وتوافق العناصر المتنافسة مع البيئة.

٧- تَطَّرِد عملية التطور خلال عدد من الأطوار المميزة ووفق حالة تماثل ما إفترضه ماركس، إذ يبدأ المجتمع من حالة البدائية المسالمة (التقسيم البسيط للعمل والتماسك الشديد) ثم يستمر التطور إلى مرحلة البربرية الدنيا (بداية تقسيم العمل وبدأ ظهور الملكية الخاصة) ثم يتطور المجتمع إلى مرحلة البربرية العليا (وتزايد الملكية وظهور الطبقة المترفة) ثم يتطور المجتمع ليصل فى الطور الرابع إلى مرحلة تكدس الاموال (نمو التكنوقراطية والاستهلاك الجشع وتزايد النزعة المادية) وهى مرحلة تشوة فيها السمات الطبيعية للبشرية. وفى تلك الحالة يقود حب الاستطلاع الفرد إلى تغيرات تكنولوجية تولد التنافس والصراع ونسق اقتصادى إستغلالى ونشأة النظام الطبقى (أى الرأسمالية).

٨- إهتم فبلن بالعمليات الاجتماعية المتبادلة للتثقيف والإستعارة الثقافية والتهجين بين الأفكار والمبادئ. ورأى فبلن أن بعض المجتمعات أكثر قدرة من غيرها على مواءمة الأفكار الوافدة من الخارج مع أغراض هذه المجتمعات ومن ثم يزداد معدل تطورها التكنولوجى.

وبإيجاز رأى فبلن أن السمات الأساسية للطبيعة الإنسانية تفضى إلى التغير التكنولوجى وهو الدافع الأول وراء التطور الاجتماعى. وهذه العملية تصطبغ بطابع التكيف والتوازن بين أجزاء النسق الاجتماعى. ويمر التطور بمراحل متعددة، ويؤدى إلى ظهور نسق تقسيم العمل والملكية الخاصة. وهذا بدوره يؤدى إلى ظهور

الرأسمالية البيروقراطية التى تشوه السمات الطبيعية، وتستغل الإنسان. وعلاوة على ذلك فعلى مستوى الوحدات الكبيرة الحجم فإن معدل تطور المجتمعات يتفاوت من مجتمع لمجتمع حسب قدرة كل مجتمع على إستعارة العناصر الثقافية والتوافق معها. ومثل هذه النظرية تعد نظرية طبيعية تطورية تهتم بالصراع، وتضم الكثير من أوجه التماثل والتشابه مع مدخل ماركس، إلا أنها تختلف عنه عندما تؤكد ان أساس التغير كامن فى أسباب طبيعية، وعدم قدرته على التنبؤ بحالة يوتوبية أخيرة.

المنهج:

كان محور إهتمام فبلن دراسة التأثيرات الاجتماعية المترتبة على انتشار التكنولوجيا ولذا إستخدم المدخل العلمى منطلقاً من مرحلة الشك. وقد إستفاد فبلن من البيانات التاريخية والاقتصادية والمعلومات الأثرية للحصول على بيانات تؤكد تتابع عملية التطور التكنولوجى فى مراحلها الاساسية فى مجتمعات متباينة. وهذا المدخل مماثل لماركس فى تطبيقه للاستقراء التاريخى كأداة منهجية أساسية.

نمط المجتمع:

يتكون نمط المجتمع عند فبلن من مجتمع يتطور خلال أطوار متعددة بإعتباره نسقاً يتأثر بالتكنولوجيا وضمور النزعة الحيوية، وتمثل المرحلة الهمجية المسالمة الآمنة فترة كان فيها الوجود الإنسانى أكثر إتصاقاً بالطبيعة، ففى هذا الطور إرتبط الإنسان ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة كما تقل فيه مظاهر تقسيم العمل، وتبدو غريزة البراعة فى العمل فى شكل نقى بلا تدخل أو تصنع أو تأثير أو تكلف وتعمل فى أنقى صورة. ويعتبر الدين أمراً أساسياً فى هذا المجتمع، كما يزداد مستوى التماسك الاجتماعى. بيد أنه يترتب على التطور الاقتصادى ظهور المرحلة الدنيا من البربرية، إذ يبدأ تقسيم العمل وظهور الفروق البغيضة بين الناس مع ظهور الفروق فى الملكية الخاصة.

ثم تأتى مرحلة ثالثة يدعم فيها نمط الحياة البربرية، وهى مرحلة يزداد فيها المظاهر السلبية للصفات الإنسانية، وتتكاثر الثروات والملكيات الفردية، وتظهر طبقة مترفه وصفوة محتكرة لأمور المجتمع. ويبدأ إرساء القواعد الاجتماعية للنظام الرأسمالى.

ثم تأتى المرحلة الرابعة. مرحلة نمو الرأسمالية، وهى المرحلة التى تطمس فيها إلى أقصى حد الغرائز الطبيعية، ويصبح كل من الترف والفراغ والإستهلاك المفرط أشياء واضحة ولمصلحة فئات معينة، وأساس النسق الاقتصادى الإعلان والحرب وتتحول العلاقات إلى علاقات أدائية لا شخصية تسعى إلى المنفعة، وتسيطر القيم المادية، وتسعى الدوافع سواء على المستوى الفردى أو على مستوى التنظيمات إلى تحقيق الكسب الفردى، وهذا بدوره يؤدى إلى سيطرة صفوة رجال الأعمال على المجتمع وتصل الرأسمالية والبيروقراطية إلى أعلى مراحلها حتى يصبح الإنسان أكثر ابتعاداً عن طبيعته الأصلية.

وتتكون العمليات الأساسية فى التقدم المتطور الذى يحققه التقدم التكنولوجى وإستعارة الثقافات وتهجين الطبقة ويلخص لنا شكل رقم ٣٠ النمط كله.

وبإيجاز تعبر نظرية فبلن عن رد فعل نفعى للتأثيرات المبكرة للصناعة فى عصره، وتبعاً لذلك صاغ لنا نظرية طبيعية متطورة تؤكد على الحتمية الاقتصادية لتفسير الصراع الاجتماعى والتطور. ومن أجل فهم التطور الإنسانى من منظور علم الإجتماع، رأى فبلن أن عملية التطور تستند على الطبيعة الاقتصادية الإنسانية وتؤدى بوضوح إلى صراع وتغير فى كل طور من أطوار التغير. ويوضح لنا شكل ٣١ ملخص لإطار العمل النظرى عند فبلن.

وتثير أراء فبلن بعض القضايا التى تقبل النقاش، وأهمها:

١- يبين الإعتماد على السمات الطبيعية فى تفسير المجتمع إيمان فبلن بالتفسير الحتمى للتاريخ والمجتمع.
٢- تماثل الحتمية التكنولوجية عند فبلن الحتمية الاقتصادية عند ماركس ودور كيم.
٣- يماثل نمط مراحل تطور المجتمع عند فبلن أعمال تونيز ودور كيم وماركس وفيبر.
٤- يقارب تنبؤه عن الآثار السلبية لتزايد البيروقراطية أراء فيبر.
٥- تماثل فكرته عن التوازن الاحيائى أراء منظرى المدرسة العضوية والبنائية الوظيفية.

شكل رقم ٣٠

نمط المجتمع عند فبلن

مراحل التطور

١- المرحلة الهمجية المسالمة ← **٢- المرحلة البربرية الدنيا** ← **٣- المرحلة البربريه العليا** ← **٤- مرحلة نمو الرأسماليه**

١- المرحلة الهمجية المسالمة
- ١- التقسيم البسيط للعمل
- ٢- سيطرة المرأة
- ٣- غريزة العمل الإنسانى فى صورة نقية
- ٤- التماسك
- ٥- أهمية الدين
- ٦- الفرد فى علاقة وثيقة بالبيئة

٢- المرحلة البربرية الدنيا
- ١- تقسيم العمل
- ٢- ظهور الفروق المؤدية إلى البغضاء

٣- المرحلة البربريه العليا
- ١- ظهور طبقة مترفه
- ٢- تزايد الثروة
- ٣- تنظيم العمل فى الصناعة
- ٤- توطد الملكية الخاصة
- ٥- الانتخاب والارتقاء المادى

٤- مرحلة نمو الرأسماليه
- ١- الفراغ والترف قاصران على فئة معينه
- ٢- الاستهلاك لفئة معينة
- ٣- الاستهلاك الترفى
- ٤- التنافس فى البذخ
- ٥- الإعلان واقتصاد الحرب
- ٦- الدوافع: الكسب الفردى

- ١- حب الاستطلاع
- ٢- ضمور النزعة الحيوية
- ٣- الاستعارة الثقافيه وتهجين الأفكار

التغير التكنولوجى

التطور

شكل رقم ٣١
ملخص لإطار العمل النظرى عند فبلن
ثور شتاين فبلن
(١٨٥٧ - ١٩٢٩)

النشأة :

١- إبن مزارع نرويجى
٢- تعلم وتربى تربية كلاسيكية
٣- مارس أعمالاً اكاديمية وحكومية
٤- تربى حسب تعاليم الفلسفة الاخلاقية
٥- عايش التوسع الصناعى الأمريكى

الأهداف:

دراسة تطور الإنسانية، بإستخدام التفكير الاجتماعى العلمى بدلاً من الاقتصاد الكلاسيكى

الافتراضات:

١- تتكون الطبيعة البشرية من ٣ سمات: الحنو الأبوى والعمل وحب الاستطلاع
٢- يفضى حب الاستطلاع إلى التغير التكنولوجى - الدافع الأول
٣- تتفاعل القيم والتكنولوجيا تفاعلاً مستمراً
٤- الفائدة الاقتصادية تفضى إلى النمو الثقافى
٥- التطور - عضوى ومتساند
٦- التغير تراكمى ورد فعل للمشكلات المادية
- التوائم الثقافى مع البيئة
- الأهداف
- التنافس
- يطرد التطور فى مراحل متميزه

المنهــج:

دراسة تأثيرات الصناعة واستخدام البيانات التاريخية والاقتصادية والانثربولوجية

نمط المجتمع:

مراحل تطور المجتمع

القضايا:

١- تبريرات النزعة التحليلية لعناصر المجتمع
٢- الحتمية الاقتصادية
٣- يتماثل مع تونيز ودور كيم وماركس وفيبر
٤- يتماثل مع فيبر والنظرية العضوية
٥- التنبؤ بتطور المجتمع وقف عند مرحلة معينة

٦- يعد النموذج العضوى لفبلن نموذجاً غير كامل، إذ أنه لم يوضح لنا ما الغاية القصوى من التطور الاجتماعى.

وبالرغم من تلك المشكلات، فان نظرية فبلن تعد واحدة من أهم النظريات الاقتصادية عن الصراع فى المجتمع وتطور المجتمع، وتكمل وتوضح اعمال ماركس.

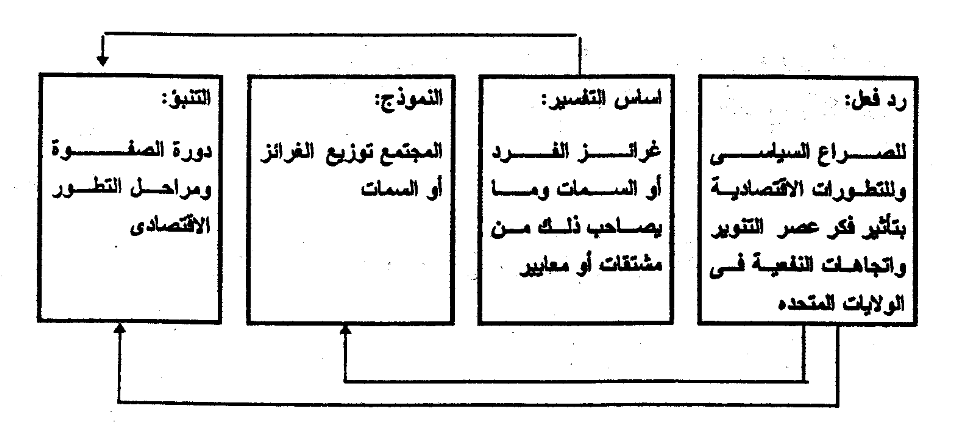
ملخص للمدخل الطبيعى فى نظرية الصراع

يمكن أن نكتشف الكثير من التقارب بين أراء فبلن وباريتو نوضحها على النحو الآتى:

١- ظهرت كل نظرية فى بيئة تؤمن بالتطور والمعايير العلمية، وعاش كل منظر منهما فى مناخ مشحون بالصراع السياسى والاقتصادى.
٢- حاول كل منهما فهم العوامل الأساسية وراء التوازن الاجتماعى والصراع والتطور.
٣- رأى كل منهما إن المجتمع يقوم على مجموعة من الغرائز أو السمات الشخصية.
٤- رأى كل منهما أن المجتمع نسق متعادل متوازن وهذا التوازن مؤقت.
٥- تقوم المعايير أو الأفكار على الغرائز أو السمات الإنسانية.
٦- تلك المعايير أو الافكار بدورها هى التى تكمن وراء التطور الاجتماعى والصراع.
٧- يتم التطور الاجتماعى خلال أطوار محددة أو دورات معينة.
٨- إتجاه التطور نحو مشكلات جديدة وصراعات جديدة.
٩- يتركز منهج كل منهما نحو تأثيرات الغرائز أو السمات الإنسانية. وإستخدما منهج الاستقراء التاريخى.
١٠- نمط المجتمع عند كل منهما يصف أنماط الصفوة أو مراحل التطور التاريخى.

وبناء على ذلك يمكن أن نقول أن اراء باريتو وفبلن تمثل نمطاً تطورياً طبيعياً عن الصراع، ويحاول كل منهما أن يستكمل أو يوضح أو يثير الشك فى بعض أفكار ماركس. ونلخص العناصر العامة المشتركة بينهما فى شكل رقم ٣٢.

شكل رقم ٣٢
بناء نظرية الصراع الطبيعية



ملخص لنموذج الصراع

وفى نهاية هذا العرض لنموذجى الصراع نقول إن نظرية الصراع فى صيغتيها تعكس مدى الإستفادة من فكر ومبادئ عصر التنوير وخاصة ما يتعلق بالطبيعة الإنسانية عند التحليل التاريخى للصراع الاجتماعى.

وفيما يلى يمكن أن نلخص الخصائص العامة للنظرية العامة لهذا المدخل.

الأهداف:

محاولـة لفهم العوامل الماديـة والطبيعيـة التـى تكمـن وراء التـوازن والصراع والتطور فى المجتمع.

الافتراضات:

١- المجتمع نسق يتكون من عناصر متنافسة تقوم على تقسيم العمل والسمات أو الغرائز.
٢- يمثل المجتمع حالة مؤقتة للتوازن.
٣- تحدد العناصر المادية والطبيعية العناصر اللامادية أو المعيارية.

٤- تحدد العناصر اللامادية أو المعيارية بدورها التطور الاجتماعى.
٥- يَطَّرد التطور فى عدد من الأطوار المتميزة.
٦- يتحرك تطور المجتمع نحو تزايد الصراع وظهور الرأسمالية واستغلال الصفوة.

المنهج:

الاداة المنهجية الأساسية التى استخدمها منظرو الصراع هى الاستقراء التاريخى.

نمط المجتمع:

ينقسم التطور إلى مراحل متميزة أو أنماط من الصفوة الاجتماعية، ومن هذا يتضح أن نظرية الصراع تمثل مدخلاً مادياً طبيعياً تطورياً للمجتمع تأثر إلى حد بعيد بتقاليد فلسفة عصر التنوير والنفعية الامريكية. وقد صاغ هذه النظرية مجموعة من المفكرين الذين عانوا بصدق الكثير من الاضطراب الاجتماعى والسياسى والاقتصادى. ومن الواضح أن هذا المدخل على عكس النظرية العضوية أكثر راديكالية ويركز على الجوانب الإنسانية بدلاً من جانب المجتمع ويهتم على نحو أكثر بالتغير الاجتماعى بدلاً من الضبط.

بيد أن المضاهاة بين نمطى النظرية يوجد فى شكل البراهين. فكل منهما يؤمن بالتفسير الطبيعى والتطور والمجتمع الكبير الحجم ويلخص شكل ٣٣ بناء نظرية الصراع.

شكل ٣٣

بناء نظرية الصراع

رد فعل:	أساس التفسير:	النموذج:	التنبؤ:
للاضطهاد السياسى والصراع والتطور الاقتصادى بتأثير أفكار عصر التنوير والاتجاهات النفعية فى الولايات المتحدة	المشكلات المادية البيئية أو السمات الإنسانية باعتبارها أساس التنافس والصراع	المجتمع نسق يتكون من جماعات وسمات متنافسة	مراحل الصراع والتطور الاقتصادى

الفصل الثامن

النزعة السلوكية الاجتماعية

- نمط النسق فى السلوكية الاجتماعية: فيبر وميد
- النمط الطبيعى فى السلوكية الاجتماعية: زيمل وسمنر
- ملخص للسلوكية الاجتماعية

عندما تغيرت الظروف الإنسانية، تغيرت أساليب التفكير الاجتماعية العلمية وتحول اهتمام نماذج التفسير الاجتماعية العلمية إلى إعطاء مزيد من الإهتمام إلى دراسة المستويات الصغيرة الحجم وخصائص الفرد، وإلى إعطاء مزيد من الإهتمام للمنهج الاستقرائى، بدلاً من المداخل الرائدة فى التفكير الاجتماعى التى أعطت مزيداً من الاهتمام للمجتمع الكبير الحجم، والطريقة الاستدلالية. وظهرت النزعة السلوكية الاجتماعية، وبدأت تدرس العوامل الفردية التى تحدد السلوك الاجتماعى، ومن ثم تبلورت رؤية جديدة مختلفة للواقع الاجتماعى، تنظر إلى المجتمع من منظور أفراده وتراه مجموعة من القيم والأشخاص الذين يتفاعلون سوياً، وعندما حاول مفكرو الإتجاه السلوكى دراسة المجتمع على المستوى الفردى، وعندما تزايد الشعور الاجتماعى والفردى بالإنسانية فى أعقاب النتائج الكبيرة المترتبة على التصنيع أصبحت الظواهر المعيارية والثقافية على مستوى الوحدات المكونة من عدد صغير من الأفراد هى المحور الأساسى لاهتمامهم. وبتزايد التحضر والتطور الاقتصادى حاول علماء الاجتماع فهم البناء الاجتماعى المتغير على المستوى الصغير فى ضوء قيم ومُثُل عصري التنوير، وما ظهر بعد عصر التنوير من قيم تمجد الفردية على يد أنصار المذهب البروتستانتى وما أعقبه من ظهور النزعة النفعية.

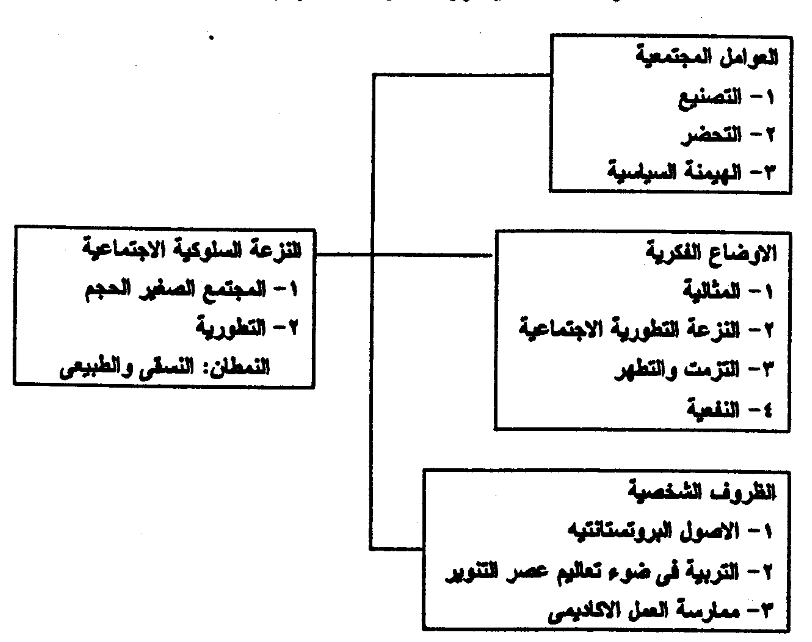
ولكن ثمة مظاهر مشتركة بين النزعة السلوكية الاجتماعية والنزعة العضوية ومدخل الصراع باعتبار أن كل منهم يعبر عن نموذج يحاول تفسير الواقع الاجتماعى، وأنها كلها تؤمن بالتطور والفلسفة المثالية والتوازن، كما أنها تفهم المجتمع سواء على مستوى المجتمع الكبير الحجم أو على المستوى الصغير الحجم باعتباره نسقاً، كما تعبر عن رؤية للمجتمع على مستوى عدد قليل من الأفراد من منظور الاتجاه العضوى ولكنها تعكس ظروفاً اجتماعية متباينة.

وعندما نعرض لنماذج من مدخل السلوكية الاجتماعية فإننا نعرض لفترة زمنية تمتد قرابة ٩٠ عاماً (١٨٤٠ - ١٩٣١)، أفرزت مفكرين ومنظرين لهم جذور فكرية متباينة، وفى البدء فنحن ننظر إليهم باعتبارهم

مجموعة من المفكرين الذين تفاعلوا مع مشكلات معينة فى مجتمعاتهم فى نطاق تقاليد فكرية مشتركة وفى مناخ فكرى كان متأثراً بعوامل كثيرة أهمها، أن أنصار النزعة السلوكية الإجتماعية نشأوا نشأة بروتستانتية - فيما عدا زيمل - كما درسوا الفلسفة والتاريخ واللاهوت، كما تأثروا بنتائج عصر التصنيع والتحضر، وكانوا جميعاً يعملون بالعمل الاكاديمى ونشأو فى عصر هيمنت فيه أراء عصر التنوير والنظرية الداروينية والنفعية الحديثة. ومن ثم يمكن أن ينظر إلى السلوكية الاجتماعية باعتبارها محصلة تفاعل جماعة من المفكرين البروتستانت الذين تأثروا بأراء عصر التنوير والنفعية المعاصرة مع المشكلات التى ترتبت على التغيير الاجتماعى والاقتصادى. وترتب على ذلك ظهور شكل جديد من الإتجاه العضوى يهتم بالوحدات المكونة من عدد صغير من الأفراد ودراسة حاجات النسق. ويلخص شكل رقم ٣٤ العوامل الاساسية وراء عملية التنظير فى النزعة السلوكية الاجتماعية.

شكل رقم ٣٤

العوامل الاساسية وراء النزعة السلوكية الاجتماعية



والحقيقة إن نموذج السلوكية الاجتماعية مثله مثل نماذج اجتماعية أخرى لا يعبر عن وحدة فكرية شاملة بين مُنظريه، فإنصار النزعة السلوكية الاجتماعية التقليدية ينقسمون إلى إتجاهين الاتجاه الأول هو نموذج التفاعل الاجتماعى أى النموذج الشمولى المتكامل ويركز هذا النموذج على دراسة النسق المتكامل أما النموذج الآخر فهو النموذج الطبيعى ويؤكد على أهمية البرهان استناداً على عوامل طبيعية. والإتجاه الأول واضح فى أعمال فيبر وجورج ميد اللذين نظرا إلى الفرد باعتباره محصلة اجتماعية، وركزا على دراسة العمليات الاجتماعية الأساسية، أما الإتجاه الثانى فعلى النقيض من ذلك فقد رأى الغرائز والحاجات الإنسانية باعتبارها الدعامة التى تقوم عليها العمليات الاجتماعية على مستوى الوحدات المكونة من عدد صغير من الأفراد، والتى إعتبرها هذا المدخل أساسية للمجتمع. ومرة ثالثة نواجه إتجاهين أحدهما اجتماعى علمى بحت والآخر يؤمن بالتفسيرات الطبيعية للظواهر الإنسانية فى نموذج واحد، يحاول الأول تقديم رؤية نفعية للواقع، بينما إرتبط الإتجاه الآخر إرتباطاً وثيقاً بالفكر التطورى عند سبنسر وداروين، بيد أن كلا من النمطين يمثل مدخلاً يهتم بالوحدات الصغيرة والتطور والاستقراء والنسق لدراسة الحقيقة الاجتماعية، ورغم أنهما يختلفان فى الأساس. فإن النموذجين متماثلان فى نظرتهما للمجتمع.

أولاً: نموذج التفاعل الاجتماعى أى نموذج النسق

ينظر هذا المدخل إلى الفرد باعتباره كائناً عقلانياً ومحصلة مجموعة خاصة من العلاقات الاجتماعية، ويفسر المجتمع باعتباره مجموعة من العلاقات والقيم تنجم عن عملية التنشئة الاجتماعية وعمليات التفاعل. ولذلك فالفرد يعكس توجيهات القيم السائدة والمنبثقة فى بيئات اجتماعية محددة، ويعبر كل من ماكس فيبر وجورج ميد عن هذه الرؤية الكلية المعيارية المتكاملة للحقيقة الاجتماعية.

ماكس فيبر ١٨٦٤ – ١٩٢٠

إبن عائلة بروتستانتية ألمانية، تلقى قدراً كبيراً من دروس التاريخ والاقتصاد والقانون والفلسفة واللاهوت. تعلم وفق تعاليم الفلسفة المثالية الألمانية، وقد إهتم بروح الإنسان كما تجلت فى البروتستانتية وخاصة القيم، ونظر إلى الفرد باعتباره فاعلاً بدلاً من كونه دميه تقف موقفاً سلبياً من حركة التاريخ، وشارك مشاركة ايجابية فى النشاط السياسى فى ألمانيا، وحاول أن يقدم علم اجتماع جديد يتسم بالموضوعية ومتحرراً من القيمة، ومن جهة أخرى تعكس أعماله الأساسية اهتمامه بتطور نسق القيم الإنسانية، ويتضمن أشهر أعماله «الأخلاق البروتستانتيه وروح الرأسماليه» وصدر فى عام ١٩٠٥ «والاقتصاد والمجتمع» ونشر عام ١٩١٣ «وعلم الاجتماع الدينى» وصدر فى عام ١٩٢٠.

الأهداف:

عرف ماكس فيبر علم الاجتماع بأنه العلم الذى يحاول فهم وتفسير السلوك الاجتماعى من أجل الوصول إلى تفسير أسباب هذا السلوك ونتائجه. ويتضمن هذا التعريف عدداً من العناصر الأساسية أهمها محاولة التفسير أو الفهم، والتركيز على الفعل الاجتماعى، وأن السلوك يرتبط بمعنى ذاتى (أى التأكيد على القيم الاجتماعية بإعتبارها عناصر أساسية) ومحاولة اكتشاف تفسيرات علية لهذه الظواهر، وهكذا إهتم فيبر بالفهم العلمى للسلوك الاجتماعى

بإعتباره محور الإهتمام الإساسى لعلم الاجتماع، وتبعاً لذلك ركز فيبر على الفهم الموضوعى للقيم الاجتماعية فى سياق التاريخ، وحاول تحديد أهمية تأثيرها الاجتماعى على المجتمع.

وتضمنت أعمال فيبر الأساسية دراسات عن الأخلاق البروتستانتية، وروح الرأسمالية والسلطة الملهمة والبيروقراطية والعقلانية مثلما درس أخلاق البيوريتانية وروح التقشف والزهد، ويرى فيبر أن مهمة علم الاجتماع دراسة القيم الأساسية التى تحدد السلوك الاجتماعى فى مواضع معينة من التطور التاريخى للمجتمع، ويختلف هذا التفسير إختلافاً أساسياً فى محور اهتمامه فلم يعد يهتم إطلاقاً بالمجتمع فى صورته الكبيره أو بناء المجتمع كما فعل المنظرون الذين اكتشفوا النماذج العضويه وإتجاه الصراع.

الافتراضات الأساسية:

١- يرى فيبر أن الفعل الاجتماعى له معنى عند الفاعل عندما يضفى الفاعل معنى ذاتياً على الفعل، مراعياً فى ذلك سلوك الآخرين، وموجهاً سلوكه إتجاهاً معيناً تبعاً لذلك.

٢- ثمة عدد من الأنماط المميزة للمعنى: هناك المعنى الحقيقى للفعل الفردى المحسوس (المعنى الذاتى) وهناك المعنى المقصود الحقيقى (المعنى على مستوى الجماعة أو المستوى المعيارى) وهناك ثالثاً المعنى المناسب الذى يصاغ صياغة علمية مجردة (النموذج النظرى والمجرد) وكل نمط من الأنماط الثلاثة يتلائم مع المستويات المتعددة لنمط التفسير العلمى.

٣- نظر فيبر إلى الفعل الاجتماعى باعتباره فعلاً تتباين مستوى عقلانيته، وحدد فيبر أربعة أنماط من الفعل الاجتماعى تبدأ من أدنى أشكال العقلانية، وتنتهى بأقصى أشكال العقلانية. وهذه الأنماط الاربعة هى:

أ - الفعل الاجتماعى التقليدى (السلوك اليومى الذى تحدده العادات والتقاليد والأهداف).

ب - الفعل الاجتماعى الوجدانى (السلوك الوجدانى العاطفى).
ج - الفعل العقلانى الموجه نحو قيمة مطلقة (وهو الفعل الاجتماعى الذى تحدده مجموعة من القيم والأخلاق).
د - التوجيه العقلانى للفعل نحو نسق من الغايات الفردية (يعنى تفسير الغايات والوسائل والنتائج الثانوية تفسيراً عقلانياً).

وهذا النمط لأشكال الفعل ليس جامعاً وليس شاملاً وليس كاملاً بل يعبر عن متصل من أنماط التوجيهات الاجتماعية تبدأ من الثقافات التى تقل فيها الفردية وتزداد فيها سيطرة التقاليد وتنتهى فى الطرف الآخر من المتصل بالثقافات التى تغلب عليها الفردية وتضمر فيها قوة التقاليد والأعراف.

٤- أوضح فيبر هذا النمط عندما حدد وعرف أنواع السلطة والشرعية والعلاقات والروابط، والجماعات المتحدة والضبط الاجتماعى الكامن والمتأصل فى كل اتجاه ابتداء من التقليدية مروراً بالوجدانية ثم العقلانية التى تحددها القيم المطلقة وإنتهاء بالعقلانية التى تسعى لتحقيق الغايات الفردية. فالافعال التقليدية تستند الشرعية فيها على الاتجاهات الدينية وعلاقات التضامن مشتركة متماسكه، كما أن الروابط إجباريه قهرية، والجماعات هى جماعات سياسية، وتعتمد أساليب الضبط الاجتماعى على فرض النظام. أما الأفعال الوجدانية فتقوم على الولاء العاطفى والروابط الإرادية. والجماعات المتحدة هى جماعات ثورية، وتعتمد أساليب الضبط الاجتماعى على السلطة. أما الأفعال التى تحكمها العقلانية والإيمان بالقيم المطلقة، فالسلطة الشرعية تحددها القيم المططك-·لقة السائدة، كما أن العلاقات هى علاقات بين روابط، وهذه الروابط إجبارية. والجماعات المتحدة هى جماعات دينية، ويقوم الضبط على فرض النظام، أما الافعال العقلانية التى تقوم على تحقيق الغايات الفردية فتعتمد على تحقيق مصالح الذات، والترابط العقلانى والروابط الإلزامية، والجماعات السياسية. وتحقق السلطة الضبط الاجتماعى، وهكذا تظهر أشكال مختلفة من المجتمع وأنواع متباينة من الأفعال الاجتماعية تستند على أنماط متعددة من القيم ومستويات متباينة من العقلانية أى تباين السلوك ما بين المصالح الفردية والمصالح الجمعية.

٥- وتنجم أشكال السلوك الاجتماعى الأكثر عقلانية عن عملية التنافس، والتى تؤدى بدورها إلى إنتقاء وانتخاب هؤلاء الذين يتحلون بأرقى الخصائص الشخصية. ويتغير شكل التنافس من التنافس السلمى إلى التنافس العنيف كما يتناوب بين القيم التقليدية والقيم التى تضفى عليها الجماهير طابع القداسة والثقة رأيى أن اعدل معنى القيم الكارزمية إلى القيم التى تضفى عليها الجماهيرطابع القداسة والثقة. كما يتأثر التنافس بطبيعة ونوع بناء الفرص المتأصل فى المجتمع.

٦- يرى فيبر أن العقلانية تؤدى إلى نوع خاص من البيروقراطية وتساعد على ظهور بناء له طابع معين حيث يحدد نسق الأدوار والمعايير والجزاءات الواضحة طبيعة الفعل الاجتماعى، وعندما يصل المجتمع إلى هذه المرحلة من مراحل التطور، تتاح له فرصة أكبر للضبط الاجتماعى والسيطرة والتنظيم وتسوده العلاقات اللا شخصية فى مواجهة الحاجة إلى كفاءة اقتصادية تصاحب حركة التصنيع.

ويمكن إيجاز فكر فيبر فى أنه إهتم اهتماماً أساسياً بفهم معنى الفعل الاجتماعى، وحاول تحديد العلاقة بين أنماط الفعل الاجتماعى وأشكال الأبنية الاجتماعية التى تسود فيها هذه الأفعال، بقدر ما يتحرك المجتمع من الحالة التقليدية إلى مرحلة التحديث أو المرحلة العقلانية فى اعقاب عملية التصنيع، وتحت تأثير الأخلاق البروتستانتية. ورأى فيبر أن المجتمع الذى يحكمه مبدأ الاختيار الطبيعى أثناء عملية التنافس هو المجتمع الأكثر عقلانية والذى وصل إلى مرحلة عالية من البيروقراطية نتيجة ارتقاء مستوى الصناعة. وعلى العموم فقد إهتم فيبر بالعلاقة بين القيم الفردية والبناء الاجتماعى.

المنهج:

حدد فيبر عدداً من أنماط المعنى الاجتماعى وإهتم بوضع مدخل متعدد المستويات، ويتضمن هذا المدخل أداتين منهجيتين أساسيتين أولاهما الفهم التفسيرى والأخرى التجربة المتخيلة. وتتضمن الأدلة المنهجية الأولى محاولة تفسير معنى السلوك على مستوى الفرد ومستوى الجماعة وتجريد نماذج منطقية صورية أو أنماط مثالية للمعنى الاجتماعى. وتكمل الأداة

الأخرى الأداة الأولى، لأنه يتضمن الإرتباط بين الأنواع الممكنة للمعنى الاجتماعى «أى تصور مجموعة من الدوافع» وفى كلتا الحالتين يعطى فيبر تأكيداً أكبر على محاولة كشف الطبيعة الخاصة للدوافع التى وراء الفعل الاجتماعى محور الاهتمام.

ويبين تحليل أعمال فيبر أنه إستخدم هاتين الأداتين المنهجيتين للربط بين الأخلاق البروتستانتية والرأسمالية وأخلاق البيوريتانية والتقشف، وربط التقشف الدينى بالتحول إلى النزعة البيروقراطية، ويبدو واضحاً من تحليل أعمال فيبر أنه إهتم بالربط بين الدوافع والفعل الاجتماعى، وبين القيم والسلوك الاجتماعى.

النمط:

وثمة نمطان أساسيان متأصلان فى أعمال فيبر أولهما أنماط الفعل الاجتماعى والآخر نمط البيروقراطية. وتعبر البيروقراطية عن خصائص أساسية ترتبط بنمط الفعل الاجتماعى الأكثر عقلانية.

ويصنف نمط الفعل الاجتماعى على النحو الآتى (راجع شكل رقم ٣٥)، أولاً نمط الفعل التقليدى، وثانياً نمط الفعل الوجدانى، ثالثاً نمط الفعل العقلانى الذى يؤمن بالقيم المطلقة، رابعاً نمط الفعل العقلانى الذى يؤمن بالغاية والوسيلة. وقد حدد لنا فيبر مدى معنى السلوك عند الفرد (أى مدى حرية الفرد فى إتخاذ القرار) مراعياً فى سلوكه تفسيره لسلوك الفاعلين الآخرين، وما يتضمنه من معنى عند الفرد، ومراعياً فى ذلك تصور الآخرين للسلوك. وقد بين فيبر أن التفاعل بين القيم التقليدية والقيم التى تضفى عليها الجماهير طابع القداسة والثقة يؤدى إلى زيادة العقلانية وزيادة عملية الإنتقاء التى تقوم على التنافس، ويقدم نمط تصنيف الأفعال عند فيبر أنماط القيم والعمليات الاجتماعية وما يترتب عليها من أنساق اجتماعية متطورة. ويعد نمط الأفعال عند فيبر مساهمة أساسية فى وصف أنماط المجتمعات وعناصرها الأساسية وتطورها.

شكل رقم ٣٥

أنماط الفعل الاجتماعي عند فيبر

أنماط الفعل الاجتماعي

الأبعاد	الاتجاه العقلاني الغايات الفردية	الفعل العقلاني القيم المطلقة	الفعل الوجداني	الفعل التقليدي
١- الفعل الاجتماعي				
أ - الفعل له معنى	نعم	نعم	نعم	لا
ب- مراعاة أفعال الآخرين	نعم	نعم	لا	لا
ج - مراعاة معنى الفعل كما يتصوره الآخرون	نعم	لا	لا	لا
٢- الشرعية				
أ - الأساس	المصالح الفردية	الإيمان المطلق بالقيم	الولاء حسب العاطفة	اتجاهات دينية والتغير من خلال
ب - التطور	تزايد العقلانية	الكارزمية قيادات تضفى عليها الجماهير طابع القداسة والثقة		الانبياء
	القانون	الاتفاقات	التطور البطئ	النظام
٣- علاقات التضامن	ترابط	ترابط	مشاع	مشاع
٤- الانفتاح	أكبر انفتاحاً وأكثر انغلاقاً	أقل إنفتاحاً	منغلق	أكثر انغلاقاً
٥- الصراع	تزايد العقلانية	عملية الانتخاب . تزايد النظم	الغيرية والأمن	مقابل العنف والصراع
٦- الروابط	التعاون والجبرية	الجبرية	ارادية	الجبرية
٧- الجماعات المتحدة	جماعات السياسة والدولة	الدين والكنيسة	حركات ثورية	سياسة
٨- نمط الضبط	السلطة فردية وجماعية	الالزام والنظام	القوة	النظام

شكل رقم ٣٦

نموذج البيروقراطية عند فيبر

شروط البيروقراطية	التحول إلى البيروقراطية	الآثار
١- اقتصاد نقدى	١- مجالات محددة للتنافس	١- التفاوت فى الفروق الاجتماعية الاقتصادية
٢- فرض الضرائب	٢- التدرج الوظيفى	٢- تزايد الفروق الطبقية
٣- الحاجة إلى المعرفة المتخصصة	٣- تسلسل الرئاسات	٣- البيروقراطية والصراع الديمقراطى
٤- الحاجة إلى الادارة	٤- حفظ المستندات	٤- تزايد الرأسمالية
٥- حالة الصراع والنضال	٥- التدريب	٥- ترشيد النظم التعليمية والدينية
٦- حاجات الرفاهيه	٦- القدرة الكاملة لشغل الوظيفة	٦- ترشيد نسق القيم
٧- حاجات الاستهلاك	٧- شغل المناصب الادارية	
٨- الاتصالات الحديثة	٨- قواعد ادارة الاعمال	
٩- التقشف الدينى		
١٠- إفتقاد القيم الاخلاقية المحكمة		

وقد بين فيبر أن التطور الاجتماعى يتجه إلى تزايد العقلانية أو البيروقراطية، وهذا يفضى بنا إلى نمطه الثانى الرئيسى، النمط البيروقراطى، الذى حدد عناصره الثلاثة الأساسية (فى شكل ٣٦). وقد وصف لنا فيبر نمط البيروقراطية، فوصف الشروط والمتطلبات الأساسية لقيام البيروقراطية، ثم خصائص النظام البيروقراطى، ثم الآثار الاجتماعية للبيروقراطية. أما عن الشروط والمتطلبات الأساسية لقيام البيروقراطية فتتطلب اقتصاد رأسمالى نقدى. وفرض الضرائب وظهور مطالب وحاجات اقتصادية معينة ومساهمة بعض القيم الدينية واختفاء القيم الاخلاقية التقليدية وظهور المعرفة المتخصصة.

ويقوم النظام البيروقراطى على بناء تسلسل الوظائف وتدرج بناء الادوار وظهور معايير محددة لا شخصية، ونظام حفظ المستندات والتدريب على اداء الدور والكفاءة الكاملة للموظفين، ويترتب على نمو البيروقراطية نتائج اجتماعية أهمها تباين المستويات الاجتماعية والاقتصادية وزيادة الفروق الاجتماعية بين الطبقات والصراع بين البيروقراطية والديموقراطية وتزايد الحاجة إلى ترشيد نظم المجتمع الرئيسية - النظم التربوية والدينية والسياسية -

وهكذا فبينما تزيد البيروقراطية فى مستوى الكفاءة التنظيمية، فإنها من جهة أخرى تزيد مس مستويات الضبط والعلاقات اللا شخصية.

الخاتمة:

لقد إهتم فيبر – الذى تعد أعماله النموذج الرئيسى فى النزعة السلوكية الاجتماعية – بفهم وتفسير الفعل الاجتماعى على مستوى الفرد والجماعة الصغيرة باعتبارهما الأساس الذى يقوم عليه المجتمع. ووضع الفعل على متصل أحد طرفيه اللا عقلانية وعلى الطرف الآخر العقلانية العلمية. بدأ فيبر من تحليل البيئة الاجتماعية والتطور الاجتماعي وتحول من دراسة الفعل التقليدى مروراً بالفعل الوجدانى والايديولوجى وانتهاء بالفعل الفردى الأكثر عقلانية كما حدد لنا فى دراسة تاريخية تفصيلية متعمقه شروط وخصائص ونتائج المجتمع الذى وصل إلى أعلى مستوى من العقلانية أى المجتمع البيروقراطى. وقد أورث هذا التحليل على مستوى الوحدة الصغيرة ومستوى الوحدة الكبيرة علم الاجتماع إطار عمل هام ومتعدد المستويات لازال يحتل حتى الآن مكانة هامة من التقدير والتميز. ويلخص شكل ٢٧ العناصر الكبرى الاساسية فى هذا التحليل.

شكل رقم ٣٧

ملخص الاطار النظرى لاعمال فيبر

ماكس فيبر ١٨٦٤ - ١٩٢٠

النشأة :

١- إبن عائلة بروتستانتية
٢- درس الاقتصاد والتاريخ والقانون والفلسفة واللاهوت
٣- مارس أنشطة اكاديمية وسياسية
٤- درس المثالية الألمانية
٥- تأثر بسياسات بسمارك

الاهداف:

الفهم التفسيرى للفعل الاجتماعى

الافتراضات:

١- المعنى الذاتى للفعل
٢- أنماط الفعل
٣- تباين السلوك الاجتماعى حسب مدى عقلانيته
٤- أربعة أنماط للسلوك الاجتماعى
٥- يؤدى الإنتخاب الطبيعى إلى العقلانية
٦- يؤدى العقلانية إلى البيروقراطية

المنهج:

١- الفهم التفسيرى
أ - المعنى المقصود الفعلى
ب - معنى الجماعة
ج - المعنى الملائم للنمط المثالى
٢- استخدام التجربة المتخيلة

النمط:

نمط الفعل الاجتماعى والنموذج البيروقراطى

القضايا:

- مدى ملائمة الفروق بين الأنماط
- تطبيق الانتخاب الطبيعى على المجتمع
- عمومية فكرة العقلانية
- تحدد القيم البناء الاجتماعى

وتثير القضايا الأساسية عند فيبر بعض الجدل:

١- أثيرت تساؤلات عن مدى فائدة وملاءمة نمط الفعل المثالى عند فيبر. فلنا أن نراه أبسط مما ينبغي، وأكثر تجريداً مما يلزم للأغراض الاجتماعية.

٢- أثار تطبيق مبدأ الانتخاب الطبيعي، رغم أنه كان شائعاً ومقبولاً عند علماء أخرين مثل سبنسر تساؤلات عن مدى ملائمته، والسؤال عما إذا كانت الخصائص الأرقى هى محصلة الانتخاب الطبيعي.

٣- أثار رأى فيبر عن المدى الذى تسيطر فيه العقلانية على البناء التنظيمى للمجتمع ككل تساؤلات كثيرة.

٤- رأى فيبر مخالفاً فى ذلك رأى ماركس أن القيم هى التى تشكل البناء الاجتماعي. وقد أثار ذلك تساؤلات عن طبيعة علاقة التفاعل بين الظواهر المادية والظواهر اللا مادية أى عن طبيعة العلاقة بين البناء الفوقى والاقتصاد. إذ أن تلك العلاقة غامضة عند فيبر.

ورغم كل تلك التساؤلات، والتى لا تقلل من شأن فيبر، فإنه بقى حتى الآن واحداً من عمالقة النظرية الاجتماعية.

جورج ميد ١٨٦٣ - ١٩٣١

ولد فى ماساشوست، إبن قسيس بيروتانى، تعلم فى جامعة هارفارد وليبزج وجامعة برلين. ودرس الفلسفة المثالية الألمانية والنفعية الامريكية. ويمثل فكر ميد محاولة للتوفيق بين فكر زيمل وديوى الذى عمل معه فى جامعة شيكاغو. وقد ركز ميد على دراسة وتفسير التفاعل والذات الاجتماعية (الشخصية الاجتماعية) فى المجتمع الذى وصل إلى مرحلة عالية من التصنيع والتحضر والإصلاح الاجتماعى والنفعية والمثالية. ويعد ميد من أوائل الذين إهتموا بالذات الإنسانية وأهم كتابات ميد «العقل والمجتمع» وصدر فى عام ١٩٣٤ و«فلسفة العقل» وصدر عام ١٩٣٨.

الأهداف:

كان الهدف من أعمال ميد دراسة نشاط وسلوك الفرد كما يكمن داخل العملية الاجتماعية. وقد حاول ميد فهم هذه الظاهرة بإعتبارها دالة على البيئة الاجتماعية، ولذا ركز على دراسة السلوك الاجتماعى على مستوى الوحدة الصغيرة الحجم (فى مقابل المعنى عند فيبر) وتبعاً لذلك ركز على الأهمية الاجتماعية العلمية للتفاعل الاجتماعى والعقل واللغة والوعى بالذات، ومن ثم يمكن أن يعد ميد واحداً من رواد علم النفس الاجتماعى.

الافتراضات:

١- وبطريقة مماثلة لفيبر - رأى ميد الفرد كائناً عقلانياً، ومحصلة العلاقات الاجتماعية.

٢- أدرك ميد الحقيقة باعتبارها فردية واجتماعية وهذا المدخل الثنائى فى تفسير الحقيقة يختلف اختلافاً أساسياً عن النماذج السابقة التى كانت تتصف بالشمولية والكلية وتهتم بدراسة الاحداث الاجتماعية على نطاق المجتمع الكبير والنسق.

٣- رأى ميد المجتمع وحدة ديناميكية متطورة تقدم دوماً أنماطاً جديدة ومتغيرة لأساليب التنشئة الأجتماعية للأفراد، ويتمشى هذا المدخل المعيارى الديناميكى لتفسير المجتمع مع إهتمام فيبر بالمعنى والعقلانية.

٤- وصف ميد الذات الاجتماعية بأنها متطورة وأنها تتشكل فى سلسلة أشكال خاصة متصلة، إذ يسبق التفاعل الاجتماعى مرحلة الاتصال غير اللفظى واللغة، وتعلم اللغة يساعد على إكتساب الإتجاهات والعواطف ويشكل العقل والذات، وتتطور الذات الاجتماعية تدريجياً خلال عدد من المراحل، وتبدأ من التنشئة الاجتماعية الأولية وتنتهى بالتنشئة الاجتماعية الثانوية. ففى المرحلة الأولى يستجيب الفرد للغير الملحوظ (أى الذات الشخصية والخاصة) وفى المرحلة الثانية يستجيب الفرد للقيم العامة التى توحد بها الاخرون، أى الذات الجمعية. ويتعين أن يمر الشخص بعدد من التجارب الحاسمة لتحقيق هذا التطور أهمها اداء الادوار الملائمة وثيقة الصلة بعملية التنشئة الأولية، وألعاب الجماعة والتى هى ضرورية لقبول محاكاة وتعميم أداء الآخرين لأدوار معينة.

٥- ويترتب علـى هـذه العمليـات كلهـا فـى النهايـة تشـكيل الـذات الاجتماعية، والتى تتكون من عنصرين أساسـيين العنصـر الأول (الأنـا) وتمثـل إستجابة الفرد لإتجاهـات الآخريـن، والعنصـر الثـانى (الـذات الاجتماعيـة) الاتجاهات الاجتماعية المكتسبة من خلال عمليـة التنشئة. وهكذا حدد وعرف ميد عملية التطور التى تتشكل خلالها الشخصية الاجتماعية للفرد.

٦- من الأهمية أن نلاحظ أن ميد لم يضـع مدخـلاً حتمياً لتشكيل الـذات الاجتماعية. إذ إفـترض أنـه بـالرغم مـن التنشئة الاجتماعيـة، فـالذات تمتلك طابعاً خلاقاً وتلقائياً يساهم فى التغير الاجتماعى وتطوير أنماط جديدة للتنشئة الاجتماعيـة. وهكذا فالفردية الإنسانية تساهم دوماً فى تواصل التغير والديناميكية الاجتماعية.

ويمكن أن نلخص أهم افتراضات ميـد بأنـه قـدم نسـقاً ديناميكيـاً للتنشـئة الاجتماعية تشكل فيه الذات الاجتماعيـة أثنـاء عمليـة التفـاعل واكتسـاب اللغـة. وممارسة التنشئة الاجتماعية. وتتكون الذات وتنمو خلال مراحل مميزة. وبهذه الكيفية. فنموذج ميد يهتم بالنسق والوحدة الاجتماعية المكونـة مـن عدد صغير من الأفراد وتحدده رؤية تطوريـة. ولـذا يمكـن أن يقـال أن الحقيقة الاجتماعيـة يعاد تكوينها وإبداعها دوما استجابة لتلقائيـة وإبـداع الفـرد خـلال تطـور أشـكال جديدة من أساليب التنشئة الاجتماعية والذوات الاجتماعية.

المنهج:

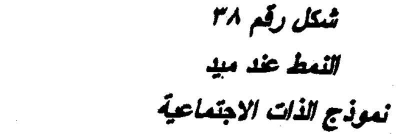
يعد منهج جورج ميد ممـاثلاً لمنهج فيبر. فـالمنهج عند ميد منهج تفسيرى واستبطانى، أى أنه يتقدم لدراسة السلوك الاجتماعى باعتباره أفضل مؤشر عن المجتمع فى محاولة منه للتغلغل داخل الفرد، ويترتب على ذلك فهم العمليات الاجتماعيـة العامـة. وهذا المنهج الاستقرائى فى التفسير هو منهج النزعة السلوكية عامة.

نمط المجتمع:

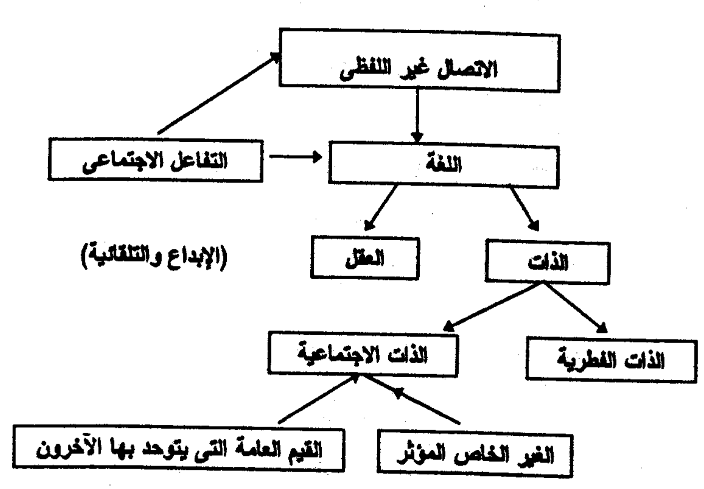
قدم ميد نمطه بصورة ضمنية فى وصفه للعملية الاجتماعية التى تتطور بها الذات الاجتماعية، ويمكن أن نلخص هذا النموذج على النحو الآتى:

١- تسبق عملية التفاعل الاجتماعى العقل واللغة والشعور بالذات.
٢- يتعلم الفرد من خلال اللغة الاتجاهات والعواطف.
٣- تتشكل الذات الاجتماعية وتتكون الأنا الفطرية (I) وتنمو عندما يستجيب الفرد للاشخاص المهمين والقيم السائدة فى الجماعة، وتتحول إلى الذات الاجتماعية (me) عندما يدرك الاتجاهات أثناء الاتصال اللفظى وغير اللفظى.
٤- تمتلك الذات الاجتماعية مظاهر تلقائية وخلاقة وتساهم فى إيجاد أنماط جديدة للتنشئة الاجتماعية وبالتالى تساهم فى التغير الاجتماعى عامة.

ويلخص شكل ٣٨ نمط جورج ميد.



شكل رقم ٣٨
النمط عند ميد
نموذج الذات الاجتماعية



انماط التنشئة الاجتماعية الجديدة والمتغيرة

نتائج دراسة جورج ميد:

ولما كان جورج ميد مهتماً بالسلوكية الاجتماعية فإنه رأى المجتمع نسقاً للتنشئة الاجتماعية ديناميكيا ومتطوراً يمثل إبداع الفرد وتلقائيته. وتتطور داخل الذات الاجتماعية - الشخصية الاجتماعية - خلال التفاعل والإتصال.

وتساهم فى التغير الاجتماعى المستمر من خلال تقديم عناصر جديدة اثناء عملية التنشئة الاجتماعية، ويعد هذا النموذج أساسياً لاهتمامه بالاستقراء والتطور والعناصر الاجتماعية على المستوى الكبير الحجم والمستوى الصغير الحجم، ويمثل محاولة لدراسة المجتمع فى إطار الخصائص الإنسانية، مخالفاً فى ذلك التأكيدات العكسية المتضمنة فى المداخل القديمة. ويلخص لنا شكل رقم ٣٩ العناصر الأساسية فى مدخل جورج ميد.

وتثير نظرية ميد عن المجتمع عدداً من القضايا الآتية:

١- يبدو التركيب التحليلى بين الفرد والمجتمع غير واضح أى أن خصائص النسق الشمولية التكاملية لكل منهما قد حُدِدَت فى إطار مفهومات عامة. ومن ثم ترك ميد القارئ حائراً يتساءل عن طبيعة خصائص المجتمع أى حقيقة المجتمع بعيداً عن مظاهره المعيارية.

٢- تبدو خصائص عملية تطور المجتمع عامة جداً وغير واضحة.

٣- حدد ميد الجوانب الخلاقة والتلقائية للذات الاجتماعية فى إطار مفهومات عامة.

٤- تعمل المشكلات المنهجية الخاصة بالمدخل التفسيرى الاستبطانى الإسقاطى على الحد من قدرة الباحث عندما يحاول اثبات صدقها.

ورغم ذلك يعد تحليل ميد للذات الإنسانية الاجتماعية واحداً من أهم الدراسات التحليلية وأكثرها قيمة وأصالة وقدم الأساس لقيام علم النفس الاجتماعى المعاصر وخاصة مدخل التفاعلية الرمزية.

شكل رقم ٣٩

ملخص الاطار النظرى لاعمال ميد

جورج ميد ١٨٦٣ - ١٩٣١

النشأة :

١- إبن عائلة بروتستانتية
٢- درس الفلسفة
٣- تعلم فى جامعة شيكاغو
٤- درس وتأثر بالنفعية الامريكية والمثالية الالمانية
٥- عايش عملية التصنيع والتحضر فى امريكا

الغرض:

دراسة نشاط أو سلوك الفرد الكامن فى العمليات الاجتماعية

الافتراضات:

١- الفرد عقلانى ومحصلة العلاقات الاجتماعية
٢- المجتمع نسق ديناميكى متطور يقدم أساليب التنشئة الاجتماعية الجديدة والمتغيرة
٣- للحقيقة وجهان أحدهما فردى والآخر اجتماعى
٤- يسبق التفاعل العقل واللغة والوعى بالذات
٥- يؤدى التفاعل الاجتماعى إلى الإتصال غير اللفظى
٦- تشكل اللغة العقول والذوات
٧- تكتسب الإتجاهات والمشاعر من خلال اللغة
٨- يستجيب الفرد للآخرين المؤثرين ثم للقيم العامة اثناء عملية النضج
٩- تمتلك الذات الاجتماعية جانباً خلاقاً وتلقائياً

المنهج:

١- دراسة السلوك باعتباره أفضل مؤشر
٢- التغلغل داخل الفرد
٣- مدخل لا جدوى منه لاهتمامه بالتفاصيل الدقيقة لافراد المجتمع

النمط:

نموذج الذات الاجتماعية

القضايا:

١- العلاقات بين الفرد والمجتمع
٢- يمتلك المجتمع خصائص تطورية
٣- الخصائص الخلاقة والتلقائية للذات الاجتماعية
٤- مشكلات المنهج الإسقاطى

ملخص لمدخل الأنساق الاجتماعية فى النزعة السلوكية الاجتماعية:

فى البداية نجد عدداً من مظاهر التماثل بين فيبر وميد نحددها على النحو الآتى:

١- فقد أمن كل منهما بالبروتستانتية، وفسر كل منهما المجتمع تفسيراً متطابقاً مع منظور المثالية الألمانية فى بيئة أرتقى فيها مستوى النظام الاقتصادى، وارتفع معدل التغير الاجتماعى.

٢- إهتم كل منهما بالفهم التفسيرى للسلوك الاجتماعى.

٣- رأى كل منهما المجتمع باعتباره نسقاً متطوراً يقوم على أنماط خاصة من القيم وعمليات التنشئة الاجتماعية.

٤- إهتم كل منهما بالعلاقة بين القيم والسلوك.

٥- إهتم كل منهما بأنساق القيم المتغيرة وتغير عمليات التنشئة.

٦- إستخدم كل منهما الطريقة الاسقاطية التفسيرية لدراسة هذه الظواهر.

٧- إهتم كلاهما بدراسة الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم دراسة استقرائية، كما إهتما بالتحليل.

٨- وضع كلاهما نمطاً لأنساق القيم على مستوى الوحدات الصغيرة والمجتمع الكبير.

٩- تثير نظرية كل منهما مشكلات تتعلق بالرابطة يبين التحليل الفردى والتحليل على مستوى المجتمع. وتعرض لصعوبات فى تطبيق المنهج.

ومن ثم يتبين لنا أن كلا من فيبر وميد قد تبنى مدخلاً استقرائياً يهتم بتحليل الوحدات الصغيرة ويركز على أهمية النسق المتكامل والتطور والمعايير عند دراسة المجتمع – يعد أساس علم النفس الاجتماعى الحديث – ويلخص شكل رقم ٤٠ بناء هذا النمط فى التفسير.

شكل رقم ٤٠
بناء مدخل الأنساق فى النزعة السلوكية الاجتماعية

رد فعل:	اساس التسفير	النموذج	التنبؤ
الهيمنة السياسية والتصنيع والتحضر وتأثير المثالية الألمانية والنفعية الأمريكية	مرحلة التطور الاقتصادى للمجتمع	المجتمع نسق معيارى يتكون من القيم وأنماط التنشئة	تزايد العقلانية والبيروقراطية. واشكال جديدة للتنشئة الاجتماعية

النمط الطبيعى فى النزعة السلوكية الاجتماعية

يماثل النمط الطبيعى فى النزعة السلوكية الاجتماعية نمط النسق الشمولى التكاملى فى السلوكية الاجتماعية، فى كونهما يهتمان بدراسة الوحدات الاجتماعية الصغيرة الحجم، ويتبعان خطوات المنهج الاستقرائى، ويستندان على المعايير، بيد أن النمط الطبيعى يقوم على خصائص افتراضية عن الطبيعة الإنسانية والغرائز الإنسانية مثل رفض الآخرين أو المنافسة (عند زيمل) أو الدوافع الفطرية (عند سمنر) ولذا يتعين علينا أن ندرس كل واحد منهما دراسة تفصيلية.

جورج زيمل ١٨٥٨ – ١٩١٨

النشأة:

ولد جورج زيمل فى برلين، وهو إبن رجل أعمال يهودى، درس التاريخ والفلسفة فى المدرسة الثانوية الألمانية وتأثر بشدة بفكر الفيلسوف كانت وداروين وسبنسر وشغل وظيفة محاضر بجامعة برلين، وكان عضواً مؤسساً فى الجمعية الالمانية لعلم الاجتماع، وأهم أعماله التباين الاجتماعى وصدر فى عام ١٨٩٠ ثم «فلسفة النقود» ونشر فى عام ١٩٠٠ ثم أخيراً كتابه «أبحاث فى علم الاجتماع» وصدر فى عام ١٩٠٨.

أهدافه:

وبتأثير التيار الفكرى الذى يهتم بالناحية الشكلية الصورية عند الفيلسوف الألمانى كانت، اهتم زيمل بأنماط وأشكال وصور التفاعل والروابط فى المجتمع (الخضوع والصراع والتنافس والسيطرة وتقسيم العمل، وتكوين الاحزاب والطبقات) أى أنه اهتم بتجريد الأشكال الكبرى للسلوك الاجتماعى فى المجتمع، ويتجه هذا المدخل نحو دراسة الجماعات الصغيرة، ولكن الأمر الأكثر أهمية هو رفض هذا المدخل للرؤية العضوية الرائدة فى تفسير الحقيقة

الاجتماعية. وهكذا فالمجتمع عند زيمل لا يوجد كنسق منفصل بل هو كامن ومتأصل فى أشكال العلاقات الاجتماعية المتبادلة ولا يعبر إلا عن الأفراد المتفاعلين محور الاهتمام، وكانت أشكال هذه العلاقات الاجتماعية هى الموضوع الأساسى الذى سعى زيمل لدراسته.

الافتراضات الأساسية:

١- لم ير زيمل المجتمع كائناً عضوياً بل إسما يدل على مجموعة من الأفراد المتفاعلين، ولما كان زيمل قد رفض فكرة المماثلة العضوية، فإن موضوع علم الاجتماع عنده كان دراسة أنماط التفاعل وأشكال الروابط، إذ أنه إفترض أن تلك الظواهر توجد فى الواقع، كما أن أنماط التفاعل وأشكال الروابط توجد كعملية.

٢- يوجد المجتمع باعتباره وظيفة لعملية التنشئة الاجتماعية بدلاً من كونه حقيقة مستقلة بذاتها.

٣- وتبعاً لذلك فالفرد محصلة المجتمع، ولكنه أفترض أن الفرد وحدة مميزة، متفقاً فى ذلك مع ميد، وهكذا أصبح الفرد والمجتمع الموضوع الهام فى علم الاجتماع.

٤- رأى زيمل أن هناك خصائص محدودة للجماعة تحدد بنية التفاعل والروابط مثل حجم الجماعة على وجه الخصوص ولذا إفترض زيمل أن حجم الجماعة يحدد شكل الترابط، أى أن الحجم يحدد ويعرف ويعين الشكل، فمثلاً يعبر الفرد الوحيد أو البدوى الرحل عن الحرية فى أقصى حالتها، ولكن فى مرحلة تالية إذا وجد شخصان ظهر الإعتماد المتبادل بينهما، ثم تظهر السلطة فى الجماعة التى تتكون من ٣ أشخاص، وتحكم الأعراف الجماعات الصغيرة وتحكم القوانين الجماعات الكبيرة (التى تتكون من خمسة أشخاص أو أكثر). ولكى نفهم نمط كل جماعة فثمة اهتمام خاص ينبغى أن يوجه إلى علاقة القائد بالأتباع.

٥- يرى زيمل أن العمل فى أى جماعة يعبر عن الغريزة الإنسانية لإنكار الغير أى غريزة التنافس ويعبر هذه التركيب العقلى عن عنصر أساسى فى نظرية زيمل.

٦- وتؤدى هذه الغريزة إلى صراع دائم مستمر - وهو جوهر الحياة الاجتماعية - وتطور اجتماعى دائم، ويترتب على ذلك تحول العلاقة بين الفرد والمجتمع إلى علاقة جدلية، إذ تؤدى الصناعة إلى مزيد من الحرية الفردية ومن ثم تؤدى الحرية الفردية إلى مزيد من الاغتراب بالمثل، وتتضمن فكرة زيمل عن آثار التقدم عن مظهر واحد من مظاهر الإزدواجية، أى أن الصراع يؤدى إلى تطور اجتماعى، ولكنه فى الوقت نفسه يزيد من المشكلات التى تحمل الطابع الفردى.

ومن ثم تكشف لنا الافتراضات السابقة أن المجتمع عند زيمل يتكون من أفراد يكونون روابط، ويتفاعلون سوياً تحت تأثير غريزة إنكار الغير والصراع وحجم الجماعة والتطور الاجتماعى فى طريق التصنيع، وتزايد الحرية الفردية والاغتراب فى وقت واحد. وتماثل تصورات زيمل تصورات جورج ميد، وإن إختلف كل منهما فى طبيعة أساس الغرائز الذى يقوم عليه المجتمع.

المنهج:

إهتم زيمل بتطور علم اجتماع الأشكال الاجتماعية، أى بدراسة أشكال التفاعل الدائمة والمحدودة، وبعبارة أخرى وحسب تعبير زيمل، تعبر أنماط محدوده للتفاعل عن الأسس التى تقوم عليها أنماط محدودة من الابنية الاجتماعية، ونتيجة لذلك قدم زيمل مدخلاً تجريدياً وتحليلياً وتاريخياً ومقارناً لدراسة هذه الظواهر، عندما حاول تطبيق مبادئ نظريته تطبيقاً تاريخياً. وقد شجع زيمل دراسة الأنماط الاجتماعية أى شجع دراسة الخصائص النمطية للبناء الاجتماعى. وقد ترتب على ذلك أنه بدأ فى تحليل أنماط مثل الغريب والوسيط والشخص الفقير والشخص المتوسط الحال والمنحرف والكهل والمرتد تحليلاً تفصيلياً، وتعبر هذه الأنماط عن الخصائص النموذجية لمجموعة خاصة من الروابط.

النمط:

وضع لنا زيمل مثالاً للخصائص النموذجية لجماعات متباينة ذات أحجام مختلفة وقد لخص هذا النمط فى شكل ٤١. وفى نمطه هذا كان محور الإهتمام الرئيسى هو العلاقة بين الشكل (حجم الجماعة) ونمط العلاقة أو نمط الإرتباط. وبألفاظ زيمل مستوى الحرية ونمط السلطة، ويبدأ النموذج بالبدوى الرحل الذى يمثل أعلى مستوى من الحرية وباجتماع شخصين يحدث الاعتماد المتبادل، وإمتصاص كل

شكل رقم ٤١

النمط عند زيمل

البدوى الرحل	علاقة ثنائية	علاقات متبادلة بين ٣ أشخاص	جماعة صغيرة	جماعة كبيرة
فرد وحيد أكبر قدر من الحرية	تتكون من شخصين بينهما علاقة اعتماد متبادل امتصاص مكثف للفردين	يترتب على تواجد ٣ أشخاص ظهور بناء السلطة وتكوين وحدة بين الثلاثة والتوفيق بينهم	٤ أشخاص ظهور المعايير	تتكون من ٥ أشخاص العلاقات أكثر شكلية ظهور القوانين

- مشكلة معنى الفرد فى الثقافة الحديثة
- تؤدى النقود إلى الحرية والاغتراب

منهما للآخر، وإذا صاروا ثلاثة ظهر بناء السلطة والجماعة الصغيرة المكونة من أربعة أشخاص تفضى إلى ظهور الأعراف، والجماعات الأكبر المكونة من خمسة أشخاص تقتضى تطور الأعراف إلى قوانين رسمية. ومن سياق هذا النموذج يتضح أن المجتمع عندما يكبر تتطور الصناعة فيه، وتزداد الكفاءة الانتاجية، وهنا تظهر مشاكل حرية الفرد واغترابه والتى تتزايد بشكل ملحوظ مؤدية إلى مأزق جديد.

الخاتمة:

يرى زيمل المجتمع باعتباره يتكون من جماعات من الأفراد يتفاعلون سوياً، وتحدد غريزة التنافس الإنسانية والصراع وحجم الجماعة والتطور الاجتماعى طبيعة هذا المجتمع. وقد أشار زيمل إلى أن تطور الصناعة أدى إلى تزايد الفردية والاغتراب الفردى عندما أصبح الأساس الاقتصادى للمجتمع هو الانتاج المادى وقوى العمل اللا شخصية.

ويلخص شكل ٤٢ هذا المدخل.

وتثير أراء زيمل بعض التساؤلات التى لا تجد اجابة عليها فى كتابات زيمل وأهمها:

١- إلى أى مدى رفض زيمل المدخل العضوى كلية عندما عرض فكرة علم الاجتماع الصورى، فهل معنى هذا أن أى جماعة من الأفراد أثناء التفاعل والترابط لا يمثلون نوعاً من النسق ذا طابع خاص، له آثاره المعيارية الشعورية، واللا شعورية؟
٢- إلى أى حد يحدد الحجم الشكل، أى ما هى الظروف الأساسية والمتداخلة التى تعقد هذه العلاقة؟
٣- ما الأساس الحقيقى لغريزة الإنكار، وإلى مدى يصبح هذا الإفتراض غير علمى؟
٤- ما الادوات المنهجية الأخرى الضرورية لدراسة ديناميكية التفاعل والترابط فى مقابل مدخل زيمل التاريخى والاستاتيكى؟

ورغم كل تلك التساؤلات فقد قدم زيمل إسهاماً هاماً لفهم المجتمع من مدخل السلوكية الاجتماعية، كما دعم واستكمل أراء جورج ميد.

شكل رقم ٤٢
ملخص الاطار النظرى لاعمال زيمل
جورج زيمل ١٨٥٨ - ١٩١٤

النشأة :

١- إبن عائلة يهودية
٢- درس الفلسفة والتاريخ
٣- شغل وظيفة محاضر فى جامعة برلين
٤- تأثر بسبنسر وداروين
٥- لاحظ التطور السياسى والاقتصادى والصناعى

الاهداف:

دراسة المجتمعات وانماط واشكال التفاعل والروابط

الافتراضات:

١- رفض المدخل العضوى
٢- المجتمع إسم لعدد من الأفراد يرتبطون سوياً اثناء التفاعل
٣- يحدد الحجم الشكل
٤- غريزة إنكار الأخرين عند الفرد
٥- العلاقة بين الفرد والمجتمع علاقة جدلية
٦- يؤدى العقلانية إلى البيروقراطية

المنهج:

استخدم التجريد والمدخل التحليلى والتاريخ المقارن
دراسة الانماط الاجتماعية

النمط:

أنماط الجماعات الاجتماعية

القضايا:

١- رفض كامل للمدخل العضوى
٢- العلاقة بين الحجم والشكل
٣- قضية غرائز الفرد
٤- المشكلات المنهجية لدراسة التفاعل

وليم سمنر ١٨٤٠ - ١٩١٠

النشأة:

ولد سمنر فى باترسون لأب انجليزى إحترف العمل فى ميكانيكا المحركات تعلم فى جامعة بل وجامعة أكسفورد اللغات الفرنسية والعبرية واللاهوت، رغم أنه تلقى تعليماً كنسياً وشغل وظيفة ذات طابع دينى فى الكنسية فى بداية حياته فإنه تأثر إلى حد كبير باراء سبنسر وداروين. وإهتم اهتماماً شديداً بالانثروبولوجيا وعلم الآثار. وشارك بقوة فى القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة فى عصره، وشارك فى تحسين بيئته الاجتماعية، وأهم أعماله «الأساليب الشعبية» ونشر عام ١٩٠٦ ثم «علم الاجتماع» وصدر عام ١٩٢٧. ومن الأهمية أن نشير إلى عمله عن «البناء المعيارى للمجتمع» أى الأساليب الشعبية، والأساس الغريزى الذى تقوم عليه الأساليب الشعبية. وربما يمكن أن يصنف سمنر باعتباره واحداً من أنصار مدرسة الصراع على المستوى الاجتماعى الكبير الحجم، ولكن اهتمامنا به فى هذا الكتاب ينصرف إلى العناصر السلوكية الاجتماعية فى نظريته العامة، وهى التى تمثل أساس نظريته.

الأهداف:

وبتأثير أفكار سبنسر وداروين على فكر سمنر، رأى سمنر أن علم الاجتماع علم يدرس قوانين تطور المجتمع على المستوى الكبير ومستوى التفاعل بين افراده فى الوقت نفسه، ولقد شعر سمنر مثل كونت أن المهمة الأساسية لعالم الاجتماع تتبع تلك القوانين التطورية فى المظاهر الاجتماعية لكى نفسر التطور الاجتماعى تفسيراً منظماً. وهذا يعنى من وجهة نظر السلوكية الاجتماعية تحليل العلاقة بين الدوافع الفردية وتطور ونمو الأنساق المعيارية (أى الاساليب الشعبية والأعراف).

الافتراضات:

١- طبق نظريات سبنسر وداروين على دراسة المجتمع فصاغ فرضاً أساسياً مؤداه أن التطور قوة أساسية فعالة وقانون له فاعليته فى الوقت نفسه.

فالمجتمع يتطور دائماً نحو مستويات أرقى في التنظيم من خلال عمل [illegible]
التنافس والتعاون والبقاء للأصلح. ويكمن في هذا التطور «قانون السكان»
(الذى ينص على أن تعداد السكان يميل إلى التزايد إلى الحد الذى تربجه قدرة
البيئة على إعالتهم) وقانون تناقص الغلة، (إذ كلما بذل عمل أكثر زادت غلة
الأرض، ولكن ليس بنسبة طردية)، ولما كانت الناس ترتبط بقانون تناقص
الغلة، وهذا يمثل الوضع الأساسى للمجتمع، وصف سمنر المجتمعات في حالة
نقص أو تزايد السكان. ويتميز المجتمع الأول بالوفرة الاقتصادية والديمقراطية
والاعتماد القوى على الذات، وإنخفاض التباين الطبقى الاجتماعى. أما المجتمع
الآخر فإن استغلال الموارد يبلغ الحد الأقصى، ولكن تسيطر فيه الصفوة على
السلطة، وتتباين فيه الطبقات الاجتماعية. وبناء على ذلك حاول سمنر تعريف
التأثيرات النمطية لنمو السكان على الموارد الطبيعية، وفي داخل هذا الإطار
افترض بطريقة حتمية أن الفقر محصلة الجهل، (أى الجهل بقوانين التطور) أما
الانحراف، مثل إدمان الخمور فتتكفل به الطبيعة إذ تكتسح الطبيعة الأشياء غير
الصالحة على البقاء، ويتسم عمل سمنر بتحليله المجتمع على المستوى الكبير
بالبساطة والسذاجة والتطبيق المباشر لقوانين التطور على المجتمع. أما تحليله
الاجتماعى على مستوى الأفراد فأكثر عمقاً وأبعد أثراً.

٢- إفترض سمنر على مستوى العلاقات الشخصية المتبادلة أن
الأساليب الشعبية والأعراف (أى العادات والتقاليد في الحياة الاجتماعية) هما
اللذان يشكلان السلوك، وبهذه الكيفية نرى أن سمنر إتخذ مدخلاً معيارياً لدراسة
الظواهر الاجتماعية على مستوى الأفراد.

٣- إن الأساس الذى تقوم عليه الأساليب الشعبية والأعراف هو الدوافع
والمصالح الإنسانية مثل الحب والجوع والغرور والخوف، ويفهم بالتالى من
وجود هذه المصالح وجود الدوافع الإنسانية الأساسية.

٤- ومن هذه الدوافع والمصالح تنبثق الأساليب الشعبية بشكل
لا شعورى وتلقائى بلا تناسق، ومن ثم يؤثر التفكير والتجربة والخطأ ومبدأ اللذة

والألم على القوى المجتمعية. وهذه العوامل تشير إلى قوة ضاغطه تعمل على تحقيق الإتساق، كما تحدد بأنها الصواب والحق وتدعمها الجزاءات وقواعد التحريم كما يدعمها ويسندها الإعتداد بالعِرْق (السلالة) والشعور بالوطنية سواء داخل الجماعة أو خارجها.

٥- وتساعد الطقوس الثابتة على إرساء وترسيخ الأساليب الشعبية باعتبارها أعرافاً، أى معايير تتعلق برفاهية المجتمع أو الجماعة، وتقر قواعد المحرمات هذه الأساليب الشعبية وتجيزها. وثمة شعور بقوى ضاغطة لتحقيق الإتساق بين هذه الأساليب الشعبية والتى ينظر إليها باعتبارها أساس الضبط الاجتماعى والبناء الطبقى والتباين الثقافى داخل المجتمع الواحد والنسق التنظيمى. وهكذا تصبح الأساليب الشعبية منظمة باعتبارها الأساس الأخلاقى للبناء الاجتماعى.

٦- بيد أن البناء الاجتماعى ليس ثابتاً، إذ يمكن أن تتفسخ هذه الأعراف أو تصبح غير فعالة أو جامدة أو يطرأ عليها تحويلات وتعديلات خلال تعاقب الأجيال. وقد تكون موضوعاً للمعارضة، وتصبح غير ملائمة بقدر ما تتغير ظروف الحياة فى المجتمع، وتبعاً لذلك تخضع هذه الظواهر المعيارية لتغير منتظم، وتتطور إستجابة للظروف الاجتماعية المتغيرة.

ورغم أن سمنر طبق مبدأ التطور الطبيعى على التطور الاجتماعى على مستوى المجتمع الكبير الحجم بطريقة مبسطة ساذجة، فإنه فهم الظواهر الاجتماعية فى ظروف معيارية على مستوى الجماعة الصغيرة الحجم، ورأى أن الحقيقة الاجتماعية مجموعة من الأساليب الشعبية والأعراف المتغيرة والمتطورة، والتى تتطور تطوراً تلقائياً إستجابة للمصالح والدوافع الطبيعية الإنسانية للبشر، ولذا يمكن أن يقال أن سمنر حدد التطور وفق شروط معيارية.

المنهج:

رأى سمنر أن مناهج علم الاجتماع تتضمن استخدام أساليب البحث مثل التصنيف والمقارنة وتتبع التغيرات والمقارنة بين الثقافات والإستقراء التاريخى. وقد طبق سمنر المنهج العلمى عند دراسة الأساليب الشعبية والأعراف محاولاً

معرفة جذورها وأسباب نشأتها وتطورها وعلاقاتها مع ظروف الحياة، أى أن سمنر حاول تطبيق المنهج العلمى على الظواهر المعيارية.

النمط:

عرضنا فيما تقدم العناصر الأساسية لنموذج الأساليب الشعبية والأعراف والأساس الطبيعى الذى تقوم عليه الأساليب الشعبية وكيفية تطورها. ويلخص لنا شكل رقم ٤٣ هذه العناصر والعلاقات بينها. ويهمنا هنا أن نركز على عدد من جوانب هذا النمط: الأساس الطبيعى للأساليب الشعبية. وتعرض هذه الأساليب لتطور ملائم فى السعى نحو الإتساق، وتدعمها المعايير الاجتماعية التى تتطور وتأخذ شكل الأعراف وتتخذ صورة تنظيمية مثل البناء الاجتماعى، كما أنها تكتسب خصائص ديناميكية لمواجهة المعارضة والتغيرات الاجتماعية، وهكذا قدم لنا سمنر نظرية تطورية تستند على المعايير عن المجتمع، وتقوم هذه النظرية على افتراضات طبيعية تتعلق بالدوافع والمصالح الإنسانية.

الخاتمة:

وقد صاغ لنا سمنر نظرية استقرائية تطورية معيارية عن المجتمع، وتقوم هذه النظرية على افتراضات طبيعية. وقد إهتمت هذه النظرية بالوحدات الصغيرة المكونة من الأفراد كما إهتمت بالمجتمع على حد سواء كما إهتمت بالبناء والديناميكية. ورغم أن أفكاره التى تتعلق بتطور المجتمع كانت مبسطة وساذجة، فإن تحليله للمجتمع على مستوى الوحدة المكونة من عدد صغير من الأفراد كان ديناميكياً وكانت له نتائج بعيدة الأثر. وثمة عدد من أوجه التماثل بينه وبين أعمال دور كيم المبكرة. ويلخص لنا شكل رقم ٤٤ مدخل سمنر.

بيد أن نظرية سمنر تثير عدداً من التساؤلات أهمها:

١- يثير تطبيق سمنر الساذج لمبادئ التطور الطبيعى على المجتمعات مشكلات تتعلق بمدى صلة وملائمة هذا التطبيق بالحقيقة الاجتماعية.

٢- كانت العلاقة بين السكان والخصائص الاجتماعية علاقة ساذجة وبسيطة تعجز عن تحديد الإرتباطات الطارئة التى تعقد المسائل تعقيداً واضحاً.

شكل رقم ٤٣
النمط عند سمنر
نموذج الأساليب الشعبية والاعراف

الدوافع:
الجوع
والحب
والغرور
والخوف

←

الاساليب الشعبية.
التوتر الكامن نحو الإتساق.
التجربة والخطأ
المقدسات والجزاءات

←

التدعيم:
داخل الجماعة
خارج الجماعة
التمركز حول العرق
الوطنية

←

الاعراف:
رفاهية المجتمع
التوتر نحو التوافق
والمقدسات
اساس الضبط الاجتماعى
والطبقة والثقافة الفرعية
والنظم

←

أوجه القصور:
تعميم التغير
التعارض
ظروف حياة جديدة
اعراف جديدة

شكل رقم ٤٤
ملخص الإطار النظرى لاعمال سمنر
وليم سمنر ١٨٤٠ - ١٩١٠

النشأة :

١- ابن عامل ميكانيكى بريطانى
٢- درس اللاهوت
٣- عمل فى جامعة بل
٤- درس أفكار سبنسر ودور كيم
٥- عايش التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

الغرض:

دراسة قوانين تطور المجتمع

الافتراضات:

١- التطور قوة اجتماعية هامة وأساسية
٢- تشكل الأعراف والأساليب الشعبية السلوك
٣- الجوع والحب والغرور والخوف هى اهتمامات الفرد
٤- تنمو وتظهر الاساليب الشعبية رد فعل لاهتمامات الفرد
٥- تتحول الاساليب الشعبية إلى اعراف من خلال الطقوس
٦- الاعراف ديناميكية وتخضع للتغير

المنهـج:

تطبيق المنهج العلمى على الظواهر المعيارية

النمـط:

نموذج الاساليب الشعبية

القضايا:

تطبيق التطور الطبيعى على المجتمع
العلاقات: السكان وخصائص المجتمع
الدوافع الغريزية للفرد
بعد الجماعة داخل المجتمع

٣- ويثير تعريفه للدوافع والحاجات الإنسانية مشكلة واضحة تتعلق بالحتمية الطبيعية.

٤- مال سمنر إلى إهمال مشكلات تتعلق بأبعاد الجماعة فى المجتمع والآثار السلبيه لوظيفة الصفوات التى تستحوذ على السلطة.

ولقد إتجه سمنر إلى صياغة نظرية ذات طابع طبيعي وحتمى ووظيفى واختزالى. بيد أن تصوره للمجتمع كمجموعة من الظواهر المعيارية الديناميكية المعقدة والمحكمة قدم اسهامات كبيرة لعلم الاجتماعَ فى بدايته ولا يزال المعاصرون يشيرون إليه عند محاولة فهم أسباب وكيفية تطور المعايير.

ملخص الأفكار الأساسية المشتركة فى النزعة السلوكية الطبيعيه

ثمة عدد من مظاهر الاتفاق والتماثل بين زيمل وسمنر:

١- تفاعل كل منهما مع المشكلات التى ترتبت على التصنيع والتحضر وتأثرهما بفكر داروين وسبنسر.
٢- إهتم كل منهما بالظواهر المعيارية والأساليب الشعبية والأعراف وأنماط الروابط على مستوى الوحدات الصغيرة الحجم.
٣- رأى كل منهما السلوك باعتباره محصله طبيعية للدوافع الإنسانية.
٤- ألقى كل منهما الضوء على تأثيرات الجماعة وحجم السكان على المجتمع.
٥- رأى كل منهما أن ثمة علاقة جدلية بين الفرد والمجتمع.
٦- رأى كل منهما المجتمع فى حالة تطور.
٧- إستخدم كل منهما الإستقراء التاريخى.

وتمثل نظرية كل من سمنر وزيمل رؤية طبيعية تطورية عضوية استقرائية على مستوى الوحدات الصغيرة الحجم، ويكمل ويوضح كل منهما أعمال الرواد مثل كونت وسبنسر من منظور تحليلى جديد على مستوى التفاعلات الشخصية ومع ذلك تبقى نظرية كل منهما مساهمة جادة لإثراء علم الاجتماع المعاصر. ويلخص شكل رقم ٤٥ أهمية هذا النمط.

شكل ٤٥

بناء المدخل الطبيعى للنزعة السلوكية الاجتماعية

رد فعل:
للتصنيع والتحضر والتأثر بتعاليم داروين وسبنسر

قواعد التفسير:
الجماعة وحجم السكان والغرائز الإنسانية

النموذج:
المجتمع نسق معيارى يتكون من الاعراف والاساليب الشعبية وأنماط الروابط

التنبؤ:
تزايد الحرية – الاغتراب
تزايد السكان والتمييز الاجتماعى

ملخص النزعة السلوكية الاجتماعية

تعبر النزعة السلوكية الاجتماعية عن رد فعل مجموعة من المفكرين البارزين البروتستانت واليهود إزاء المشكلات المعاصرة التى ترتبت على التغير الاجتماعى فى المجتمع الصناعى. وقد تأثر هؤلاء المفكرون بالفلسفة المثالية الألمانية التى سادت عصر التنوير والنفعية الامريكية. ويمكن أن ينظر إلى آرائهم باعتبارها محاولة لتطبيق النماذج العضوية المعاصرة فى المجتمع المعاصر على مستوى تحليل الوحدات المكونة من عدد صغير من الأفراد. وقد تصورت النزعة السلوكية الاجتماعية المجتمع باعتباره ظاهرة طبيعية متطورة، وهو نسق يتكون من مجموعة أجزاء متساندة متكاملة سواء من وجهة النظر الاجتماعية أو الطبيعية.

ويمكن أن نلخص العناصر الأساسية للنزعة السلوكية الاجتماعية ككل على النحو الآتى:

الأغراض:

محاولة الفهم التفسيرى للظواهر المعيارية والقيم وأنماط الروابط والتنشئة الاجتماعية بإجراء التحليل على مستوى الوحدات الصغيرة الحجم.

الافتراضات:

١- المجتمع نسق متطور يتكون من مجموعة من الظواهر المعيارية.

٢- وعندما تتغير الظواهر المعيارية يتحقق التغير الاجتماعى، وأن ثمة مراحل للتطور الاقتصادى والسكانى يمر بها المجتمع وأن ثمة مراحل لتطور ونمو الغرائز الإنسانية.

٣- تأكيد العلاقة الجدلية بين الفرد والمجتمع وتساهم هذه العلاقة الجدلية فى تحقيق التطور الاجتماعى.

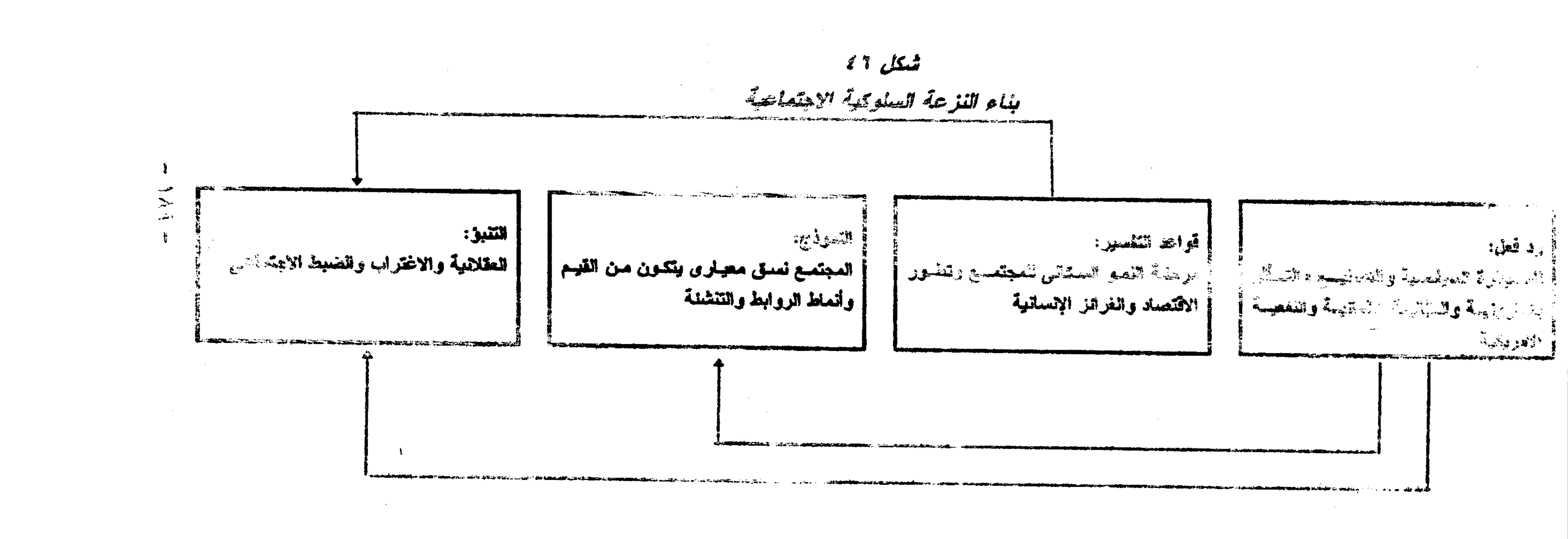
المنهج:

الاستفادة من المنهج الاستقرائى لتفسير التاريخ.

النمط:

تحديد أنساق القيم باعتبارها أساسية لتكوين أنماط المجتمعات.

ومن ثم يمكن أن نقول أن النزعة السلوكية الاجتماعية تمثل مدخلاً طبيعياً تطورياً عضوياً لدراسة المجتمع على مستوى تحليل الوحدة الصغيرة فى التفاعلات الشخصية وهو مدخل ظهر بتأثير مثالية عصر التنوير والنفعية الامريكية وساهم مثل هذا التوضيح للاراء العضوية القديمة فى تطوير علم النفس الاجتماعى الحديث وقدم مساهمة هامة لعلم الاجتماع. ويلخص شكل رقم ٤٦ بناء النزعة السلوكية.



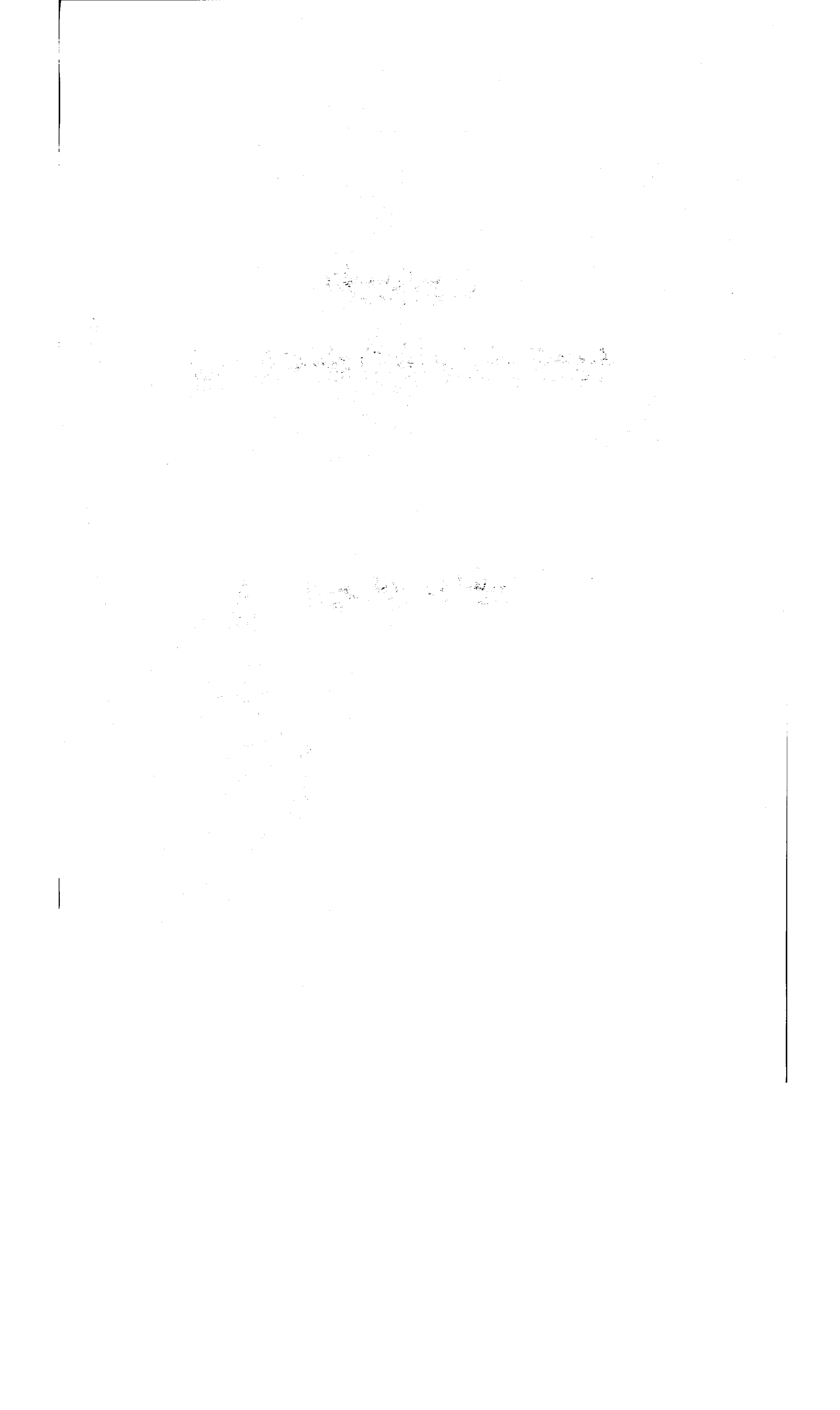
شكل ٤٦

بناء النزعة السلوكية الاجتماعية

الفصل التاسع

نحو نمط للتنظير الاجتماعى العلمى التقليدى

ملخص الجـــزء الثانى



فى تحليلنا السابق للنظرية بوجه عام والنظرية الاجتماعية على وجه الخصوص أبدينا عدداً من النقاط هى:

١- أنها العملية التى يفسر بها الباحث البيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية من أجل معرفة الواقع الاجتماعى والطبيعى.

٢- وصفنا النظرية الصورية بأنها نظرية تتكون من مجموعة من القضايا المنطقية المقبولة والمجردة والكلية التى تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر مستخدمة فى ذلك نموذج التفسير، ومجموعة من المفهومات تربط بينها فى علاقات منطقية ومجموعة من المتغيرات والمؤشرات الإجرائيه، ومنهج لإختبار هذه العلاقات، وتحليل البيانات وتفسيرها وأخيراً التقييم العام للنظرية.

٣- وقد عرفنا النظرية الاجتماعية باعتبارها مجموعة من النماذج التى تهتم بالمجتمع والظواهر الاجتماعية بالرجوع إلى الحقيقة الاجتماعية المنفصلة.

٤- ومن الواضح أن هذه النماذج تقدم محاولة من الإنسان لتفسير بيئته الاجتماعية والطبيعية فى ضوء الظروف الاجتماعية والثقافية والفكرية والشخصية، ومن ثم يعبر التنظير عن رد فعل ديناميكى ومتغير لهذه الظروف المتغيرة أى بقدر ما تتغير هذه الأوضاع والظروف، تتغير النظرية التى تحاول أن تعرف وتفسر هذه الظروف والأوضاع.

٥- وترتب على ذلك، ظهور ثلاثة نماذج أساسية فى النظرية الاجتماعية - وهى النموذج العضوى ونموذج الصراع ونموذج السلوكية الاجتماعية - وكلها نشأت تعبيراً عن محاولات علمانية تسعى لتفسير الواقع الاجتماعى تفسيراً علمياً يبتدئ بالتفسير على مستوى المجتمع كله وينتهى بالتفسير على مستوى الأفراد. وترفض كلها التفسيرات الغيبية والميتافيزيقيه للواقع الاجتماعى والفيزيقى.

ويرى الإتجاه العضوى البنائى الوظيفى المجتمع نسقاً كلياً يتكون من أجزاء مترابطة متساندة وظيفياً، ويخضع هذا النسق لتأثير القوانين الطبيعية ونسق تقسيم العمل الاجتماعى فى المجتمع ولمشكلات النسق الأساسية. وفى

مقابل ذلك المدخل رأت مدرسة الصراع التقليدية والراديكالية المجتمع نسقاً يتكون من قوى متعارضة متنافسة تناضل وتسعى لمواجهة واشباع الحاجات الأولية والأساسية ويخضع هذا النسق لضغوط الطبيعة فى الوقت نفسه. أما مدخل السلوكية الاجتماعية فى بدايته ثم تطوره فى الدراسات الاجتماعية النفسية فيرى المجتمع على مستوى الوحدة المكونة من عدد صغير من الأفراد والعلاقات الشخصية وقد إستخدمت هذه المدرسة السلوكية الاجتماعية المنهج الاستقرائى وركزت على علاقة الفرد مع البيئة الاجتماعية كما تظهر فى عمليات التنشئة الاجتماعية والادوار والتبادل وأداء الادوار وتعريفات الفرد للحقيقة.

وينظر إلى أنماط التفسير الثلاثة كلها باعتبارها محاولة لفهم وتفسير النظام والتغير فى العالم الاجتماعى، كما أنها إستفادت من الأشكال الطبيعية وأشكال النسق فى التفسير، كما أنها تعبر عن تفاعل مجموعة من المفكرين مع مشكلات مجتمعاتهم من منظورات فلسفية خاصة.

٦- يعبر النموذج العضوى عن رد فعل بعض الاكاديميين والمفكرين من أبناء الطبقة العليا المتأثرين بفلسفات عصر التنوير إزاء المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى سادت أيامهم. وقد تصور هؤلاء المفكرون المجتمع باعتباره كائناً عضوياً يطور نسقاً من المعايير والأنساق الفرعية التى تتفاعل مع القوانين الطبيعية والغرائز ونسق تقسيم العمل فى المجتمع. وقد إنقسم أنصار المدرسة العضوية التقليدية إلى اتجاهين: الاتجاه الأول ويعرف بإسم النزعة الطبيعية ويضم كونت وسنبسر ويعبر عن إستجابة بعض المفكرين الارستقراطيين للواقع الاجتماعى من منظور المذهب الطبيعى والمذهب الوضعى، مما أدى إلى نشأة المدخل العضوى الطبيعى فى دراسة المجتمع، وكانت المدرسة الثانية التى تضم دور كيم وتونيز رد فعل لهذه المشكلات الاجتماعية من منظور معيارى مثالى مما أدى إلى ظهور رؤية معيارية اخلاقية لتفسير الواقع الاجتماعى. بيد أن كلا من النموذج الوضعى العضوى والنموذج المعيارى يمثلان معاً تصوراً عضوياً طبيعياً متطوراً يفسر المجتمع ككل متساند. ويلخص شكل رقم (٤٧) النزعة العضوية فى دراسة الصراع.

شكل رقم ٤٧

ملخص النزعة العضوية

النمط / المنظر	النمط الطبيعى		النمط الشمولى التكاملى	
	كونت	سبنسر	دور كيم	تونيز
النشأة	كان مناصراً للنظام الملكى قبل الجمهورية تعلم الطب وعلم وظائف الاعضاء	تمرد على تعاليم الكنيسة تلقى تعليماً كلاسيكياً	يهودى تعلم ودرس أفكار عصر التنوير	درس أفكار عصر التنوير
الأهداف الافتراضات	استبعاد ورفض الثورة تطبيق قوانين التطور الطبيعى على المجتمع	تتبع آثار التطور الاجتماعى التطور العضوى	فهم الظواهر الاجتماعية وجود الظواهر الاجتماعية كأشياء منفصلة	فهم الارادة الاجتماعية يمثل المجتمع الارادة الاجتماعية
المنهج	الوضعية	الوضعية	قياس الظواهر الاجتماعية	الاستقراء التاريخى
النمط	الاستاتيكا الاجتماعية الديناميكا الاجتماعية	الاستاتيكا الاجتماعية الديناميكا الاجتماعية	التماسك الآلى التماسك العضوى	الجماعة الصغيرة والمجتمع الكبير
القضايا التى ثار حولها الجدل	التفسيرات الطبيعية	البراهين العضوية	النزعة الأسمية مقابل الواقعيه	خصائص الارادة الاجتماعية

٧- رأينا أن نموذج الصراع كان رد فعل مجموعة من أبناء الطبقة الفقيرة من المثقفين فى ضوء تأثرهم بفلسفة وفكر عصر التنوير والفلسفة النفعية إزاء الضغوط الاجتماعية والقهر السياسى والصراع والتطور الاقتصادى. وقد أدى رد الفعل هذا إلى وضع مدخل مادى ومدخل بيئى لتفسير المجتمع باعتباره نسقاً يتكون من جماعات متنافسة، ويناصر كل من ماركس وبارك مدخل النسق الكلى الشمولى، وينظر إلى نظرية كل منهما باعتبارها رد فعل للصراع الاجتماعى فى ضوء مثالية عصر التنوير، مما أدى إلى ظهور تفسيرات مادية وبيئية لما يحدث من صراع اجتماعى، ويعبر المدخل الطبيعى الكامن فى أعمال باريتو وفبلن عن محاولة لتطبيق أفكار النزعة الطبيعية المسيطرة على فكر عصر التنوير على تفسير الصراع الاقتصادى السياسى، مما أدى إلى مدخل لنا أن نسميه الحتمية الطبيعية وبوجه عام يمكن أن ينظر إلى نظرية الصراع باعتبارها محاولة من جانب بعض المفكرين لا سيما أبناء الطبقة الفقيرة من المثقفين الذين عانوا الصراع السياسى والاقتصادى وحاولوا تفسير الواقع الاجتماعى والمجتمع فى ضوء المبادئ المادية والبيئية والطبيعية ويلخص شكل رقم (٤٨) هذا النموذج فى دراسة الصراع.

٨- ويمكن أن ينظر إلى النزعة السلوكية الاجتماعية باعتبارها رد فعل مجموعة من المفكرين البارزين من أبناء الطبقة الوسطى لمشكلات مجتمعهم التى نجمت عن الصناعة والتحضر. وقد تأثر هؤلاء بأراء داروين والفلسفة المثالية الألمانية والنفعية الامريكية وقد إدت إستجابة هؤلاء لواقع مجتمعهم إلى ظهور إتجاه جديد يؤمن بدراسة المجتمع على مستوى الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم باعتباره نسقاً معيارياً يتكون من مجموعة من القيم والروابط وأساليب التنشئة أو نسق يقوم على النمو السكانى، وتطور الغرائز الإنسانية وقد إنقسمت النزعة السلوكية الاجتماعية إلى مدرستين: المدرسة الأولى المدرسة المهتمة بالنسق الكلى ويمثلها جورج ميد وفيبر، ويعبر هذان العالمان عن إتجاه فكرى تأثر بالفلسفة المثالية الألمانية عند تفسير المشكلات الناجمة عن الصناعة، مما أدى إلى تكوين نموذج لتفسير المجتمع على مستوى الوحدة المكونة من عدد صغير من الأفراد، إذ يمكن أن يوصف هذا النموذج المهتم بالنسق فقط باعتباره نموذجاً معيارياً فى الوقت نفسه، ومن جهة أخرى مال زيمل وسمنر أكثر إلى تبنى مدخل أكثر ميلاً للطبيعة والغرائز لتفسير المجتمع على مستوى العلاقات الشخصية.

شكل رقم ٤٨

ملخص نموذج الصراع

المنظر / النمط	النمط الشمولي		المدخل الطبيعي	
	ماركس	بارك	باريتو	فبلن
النشأة	ابن اسرة يهودية نشأ فى طبقة فقيره تعلم مبادئ وفكر ومثل عصر التنوير	إبن رجل أعمال تعلم الفلسفة وعلم النفس	ينتمى إلى عائلة من عائلات النبلاء تعلم فكر عصر التنوير	ابن مزارع - تعلم العلوم الكلاسيكية
الأهداف	فهم العلاقة بين أوضاع الحياة المادية والمثل والأفكار	اكتشاف القوانين الطبيعية التى تحكم المجتمع	فهم القوى التى وراء التوازن الاجتماعى	فهم التطور الإنسانى
الافتراضات	تحدد العناصر المادية العناصر اللامادية	النظام الطبيعى هو الأساس الذى يقوم عليه المجتمع	المجتمع دالة على الأفعال اللا منطقية والرواسب	السمات الثلاث الأساسية للفرد
المنهج	المادية الجدلية	التاريخ الطبيعى	المنهج العلمى	الاستقراء التاريخى
النمط	مراحل التطور الاجتماعى	نموذج التنظيم الاجتماعى	دورة الصفوة	مراحل التطور الاجتماعى
القضايا التى ثار حولها الجدل	الحتمية المادية	الحتمية البيئية	الحتمية الطبيعية	الحتمية الطبيعية

والحقيقة إن النزعة السلوكية الاجتماعية فى مجملها تمثل محاولة لتطبيق مبادئ المثالية والنفعية على مشكلات المجتمع الصناعى الحديث مما أدى إلى صياغة مدخل معيارى على مستوى الوحدة الصغيرة لتفسير الواقع الاجتماعى يناقض النموذجين الآخرين، كما يتباين عنهما فى رد فعله إزاء الخصائص المتغيرة للمجتمع، ومن جهة تمثل النماذج الثلاثة تصورات كلية تؤمن بالتطور وتنظر إلى المجتمع باعتباره حقيقة منفصلة سواء على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغيرة أو الوحدات الاجتماعية الكبيرة. ومن ثم فالمجتمع نسق حقيقى يحمل فى طياته خصائص معيارية أو طبيعية ويلخص شكل رقم (٤٩) السلوكية الاجتماعية.

الخاتمة:

نحو مثال للتنظير السوسيولوجى التقليدى

ولقد رأينا كيف أن النظرية الاجتماعية تمثل رد فعل مجموعة خاصة من المفكرين إزاء بعض المشكلات الخاصة، مما أدى إلى صياغة تصورات شمولية كلية عامة عن المجتمع تتباين فى المستوى (المجتمع الكبير والمجتمع الصغير) ونمط التفسير (التفسير الذى يركز على النسق الشمولى المتكامل مقابل التفسير الذى يعطى إهتماماً أكبر للعوامل الطبيعية) ويتضمن هذا المثال عدداً من العناصر الاساسية:

١- نشأة المنظر (المكانة الاجتماعية والاقتصادية، ومذهبه الفلسفى (المثالية أو النفعية أو الطبيعية) والمشكلات الاجتماعية السائدة فى عصره (الهيمنة السياسية والاقتصادية أو تأثيرات التصنيع) والنموذج الاجتماعى العلمى الذى ترتب على هذه العناصر (العضوى أو الصراع أو السلوكية الاجتماعية) وبوجه عام قد يبدو أن صياغة النموذج تتأثر بالجذور الاجتماعية والاقتصادية والرؤية الفلسفية للمنظر وتعكس رد الفعل ازاء بعض المشكلات المجتمعية الظاهرة. مما يؤدى إلى نموذج منهجى شمولى لتفسير المجتمع يختلف حسب المستوى ونوع التفسير.

شكل رقم ٤٩

ملخص لنموذج السلوكية الاجتماعية

النمط / المنظر	التفسير المهتم بالنسق		المدخل الطبيعى	
	فيبر	جورج ميد	زيمل	سمنر
النشأة	بروتستانتى تعلم الفلسفة المثالية الألمانية	بيوريتانى تعلم النفعية الامريكية	درس مذاهب داروين وسبنسر	ابن عامل ميكانيكى تعلم مذاهب داروين وسبنسر
الأهداف	فهم الفعل الاجتماعى	دراسة النشاط الاجتماعى	دراسة اشكال الروابط	دراسة التطور الاجتماعى
الافتراضات	تباين مدى عقلانية الفعل الاجتماعى	يسبق التفاعل الاجتماعى تكوين الذات	يحدد الحجم الشكل	تحدد الاساليب الشعبية السلوك
المنهج	الفهم التفسيرى	الفهم التفسيرى	دراسة أشكال الروابط	تطبيق المنهج العلمى على دراسة المعايير
النمط	أنماط الفعل الاجتماعى	نمط الذات الاجتماعية	أنماط الجماعات الاجتماعية	نموذج الأساليب الشعبية والأعراف
القضايا التى ثار حولها الجدل	القيم والبناء الاجتماعى	الحتمية الاجتماعية العلمية	الحتمية الطبيعية	الحتمية الطبيعية

شكل رقم ٥٠

نموذج التنظير الاجتماعى العلمى التقليدى

النموذج	النشأة	الفلسفة	مشكلات المجتمع	التفسير
العضـــــــوى	الطبقة العليا	النزعة الطبيعية	سياسة وإقتصاديه	النزعة الطبيعية
	الطبقة العليا	المثاليه	سياسية وإقتصاديه	النسق الكلى
الصـــــــراع	الطبقة الدنيا	المثاليه	سياسية واقتصادية	النسق الكلى
	الطبقة الدنيا	النزع الطبيعية	سياسية واقتصادية	النزعة الطبيعية
السلوكية الاجتماعية	الطبقة الوسطى	المثالية والنفعية	التصنيع	النسق المتكامل
	الطبقة الوسطى	النزعة الطبيعية	التصنيع	النزعة الطبيعية

ويلخص شكل ٥٠ العناصر والاجراءات العملية التى تدخل فى صياغة هذا النموذج ويتبين من ذلك أن المدخل العضوى يعكس رد فعل بعض اعضاء الطبقة العليا إزاء المشكلات السياسية والاقتصادية، وتأثر هؤلاء بمثالية اتجاهات عصر التنوير والنزعة الطبيعية التى سادت ذلك العصر، بينما تعكس النزعة السلوكية الاجتماعية رد فعل بعض المفكرين من أبناء الطبقة الوسطى لتأثيرات الصناعة من منظور مثالية عصر التنوير والنزعة الطبيعية التى سادت ذلك العصر والنفعية الامريكية، وعلاوة على ذلك تظهر الروابط بين النزعة الطبيعية فى عصر التنوير والنماذج الاجتماعية العلمية المهتمة بالتفسيرات الطبيعية، والروابط بين مثالية عصر التنوير والنفعية الامريكية والأنماط الاجتماعية العلمية فى تفسير المجتمع.

ورغم أن هذا النموذج فى تفسير المجتمع تفسيراً علمياً يتميز أنه عام وبسيط، فإنه يبدو أنه يلقى ضوءاً قوياً على الكيفية التى يمثل بها التنظير الاجتماعى العلمى رد فعل واستجابة شمولية وعامة وتكاملية ومنهجية مجموعة من المفكرين لما طرأ على المجتمع من مشكلات، وما حدث فى ذلك العصر من تطورات.

الجـــزء الثـالث

النظرية الاجتماعية المعاصرة

الفصل العاشر

مقدمة للنظرية الاجتماعية المعاصرة

- جذور النظرية الاجتماعية الامريكية
- مراحل تطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة
- مضمون نظرية علم الاجتماع المعاصرة

وبعد أن عرضنا فى تحليلنا للمدارس الثلاث الكبرى فى علم الاجتماع منذ نشأة النظرية الاجتماعية نتقدم خطوة إلى الأمام، ونعرض لهذه المدارس بعد ما تطورت ونضجت فى علم الاجتماع الامريكى المعاصر. ورغم أن الظاهر يبين أن ثمة علاقة وثيقة بين المدارس الاوربية والمدارس الامريكية إلا أننا نقول أن المدارس الامريكية فى علم الاجتماع لها طابع مميز بعدما تأثرت بالثقافة المادية والنزعة العلمية والثقافة النفعية.. ومن ثم إتجهت النظرية الاجتماعية فى أمريكا إلى التجريب والدراسات التطبيقية. ورغم هذا التأثر بالمناخ الثقافى الامريكى فإن الترابط بين المدرستين قوى جداً، كما تمثل النظرية الاجتماعية المعاصرة محاولة لتعميق النماذج الاوربية، وإجراء دراسات تطبيقية عليها، وتبعاً لذلك فإن هذا التطور يعنى إحياء نماذج العضوية والصراع والسلوكية الاجتماعية فى أشكال جديدة مثل البنائية الوظيفية والصراع المعاصر أى مدرسة علم الاجتماع الراديكالى والمدرسة الاجتماعية النفسية (علم النفس الاجتماعى).

ونحن نحاول فى هذه المقدمة دراسة الأشكال الثلاثة للنظرية الاجتماعية المعاصرة، أى نعرض الجذور التاريخية لنظرية علم الاجتماع الأمريكى ومراحل تطورها والبيئات التى ظهرت فيها هذه النماذج .

جذور النظرية الاجتماعية المعاصرة ١٩٠٥ - ١٩١٨

يظهر لنا الأساس الدى قام عليه علم الاجتماع الامريكى إرتباطه الوثيق بمفكرى أوربا فى القرن التاسع عشر، واستناد أعمال علماء الاجتماع فى امريكا على أعمال كونت وسبنسر وداروين، والإيمان بالقوانين الطبيعية والتغير الاجتماعى إلى الأحسن والاصلاح الاجتماعى والرؤية الفردية للمجتمع وإرتفاع النسبة المئوية للعلماء الذين لهم تجارب وثقافات دينية وريفية، وإعطاء تأكيد أكبر على مشكلات المجتمع الامريكى فى أعقاب التطور الصناعى والحضرى لمجتمع ما بعد الحرب الأهلية، وعلى العموم يمكن أن ننظر إلى علم الاجتماع الامريكى باعتباره إستجابة من بعض مفكرى الطبقة الوسطى للمشكلات الاجتماعية فى أمريكا، ولكن فى ضوء تعاليم علم الاجتماع الاوربى فى القرن التاسع عشر.

ولقد سيطرت النزعات العضوية والتطورية والمثالية على مضمون هذه المداخل كما كشف عن ذلك أعمال المفكرين الرواد مثل لستر وارد ووليم سمنر وفرانكلين جيدنج وسمول. فالنظرية الاجتماعية منذ نشأنها اتجهت إلى تطبيق النموذج العضوى على مشكلات وأمور المجتمع الامريكى فى أعقاب الحرب الأهلية، وهكذا يمكن أن نقول إن مضمون وسياق علم الاجتماع الأمريكى يماثل مضمون وسياق علم الاجتماع الأوربى ومع ذلك فثمة مظاهر للخلاف بينهما ظهرت ونمت أثناء التطور المستمر لعلم الاجتماع الأمريكى بفضل تأثير الثقافة الامريكية المادية.

مراحل تطور علم الاجتماع الامريكى

ترجع مرحلة نشأة علم الاجتماع الامريكى إلى الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩١٨، وبعد ذلك تطور علم الاجتماع الامريكى تطوراً سريعاً، عبر أطوار أربعة، لكل طور خصائصه الواضحة المميزة.

الفترة الأولى- المرحلة العلمية ١٩١٨- ١٩٣٥:

حاول علم الاجتماع الامريكى فى هذه الفترة أن يتجه إتجاهاً علمياً تجريبياً تنظمه القواعد المهنية والاكاديمية وبدأت التخصصات الفرعية فى الظهور، وزاد الاهتمام بالمسوح الاجتماعيه والدراسات التى تهدف إلى جمع البيانات مما أعطى تأكيداً واضحاً لتأثير البيئة الاجتماعية على تطور علم الاجتماع. وثمة حدثان هامان أثرا تأثيراً كبيراً على البيئة الامريكية فى هذه الفترة. وكان لهذين الحدثين آثارهما على تطور علم الاجتماع، أولهما الحرب العالمية الأولى وثانيهما الكساد العالمى فى عام ١٩٣٠. وقد دعم هذان الحدثان الجهود التى تبذل للإستفادة من النزعة التجريبية فى علم الاجتماع الامريكى، وهكذا تحول علم الاجتماع إلى التجريبية فى مجتمع رفع من شأن القيم المادية، وآمن ببناء اقتصاد قوى، وقد كان لهذا التغير صدى كبير على شكل علم الاجتماع الامريكى وأهتماماته فيما بعد، إذ كان لهذا التغير آثاره التى دفعت إلى إهتمام أكثر بالطابع العلمى التجريبى وزيادة التخصص فى مجالات علم الاجتماع.

الفترة الثانية: البحث والتطبيق والنظرية ١٩٣٥-١٩٥٤:

تزايد الأهتمام خلال تلك الفترة التى إمتدت قرابة عشرين عاماً بالنزعة النفعية والطابع المهنى وكما تعددت التخصصات فى علم الاجتماع، ونمت التنظيمات التى تضم علماء الاجتماع. وزاد التأثر ببعض المفكرين الاوربين مثل دور كيم وفرويد وفيبر، ذلك التأثر الذى أسهم فى نشأة وتطور النزعة السلوكية الاجتماعية وظهور النزعة الوضعية الجديدة فى علم الاجتماع، وهما الأساس الذى بدأ منه النموذج الاجتماعى النفسى. وعلى العموم شاهدت تلك الفترة إهتماماً أكثر من علماء الاجتماع بالتجريب والخضوع لنظام اكاديمى، وتطبيق مبادئ العلم عند دراسة المشكلات الاجتماعية السائدة فى أمريكا.

الفترة الثالثة: نشأة النظرية المعاصرة فى الصراع منذ الستينيات من هذا القرن:

شاهدت بقية الستينيات ميلاد نظرية الصراع فى كتابات علم الاجتماع الامريكى استجابة للمظاهر المتباينة للصراع الاجتماعى والعنصرى داخل المجتمع الأمريكى كله، والتراكم الواضح للأثار السلبية التى ترتبت على التصنيع والبيروقراطية، وبالتالى ظهرت محاولة فى علم الاجتماع تتجه إلى إعطاء مزيد من الاهتمام لمظاهر الصراع من أجل تفسير تلك الأحداث، كما ظهرت محاولة أخرى فى علم الاجتماع الراديكالى تحاول أن تدرس الاتجاهات التقليدية فى علم الاجتماع الاوربى دراسة نقدية وأن تكشف عن نمط جديد تطبيقى لعلم الأجتماع أكثر ملائمة مع حاجات المجتمع ومشكلاته، وظهرت تخصصات فى علم الاجتماع تهتم أكثر بتحليل الحركات العنصرية والعلاقات بين البيض والسود معتمدة فى تحليلاتها وتفسيراتها على الأفكار الماركسية الجديدة، ومرة ثانية يتأكد لنا أن النظرية الاجتماعية المعاصرة تعبر عن ردود الأفعال إزاء الأحداث التى وقعت فى المجتمع الامريكى كله.

الفترة الرابعة: التكنولوجيا ونظرية الأنساق الحديثة منذ السبعينيات من هذا القرن:

يمكن أن ينظر إلى البيئة الجديدة لعلم الاجتماعى وخاصة فى فترة السبعينيات التى تميزت بالكساد فى العالم والإنغلاق داخل القارة الامريكية بأنها بيئة جديدة سادت

فيها أهمية الحاجات التكنولوجية والاقتصادية وظهر من جديد أهمية التخصص الشامل والتحكم فى الأوليات، مما أدى إلى ظهور النزعة البنائية الوظيفية فى رداء عصرى فى شكل السيبرنطيقا(*) ونظرية الأنساق وتطبيق مبادئها فى علم الاجتماع الحديث. وقد أعطى أهتمام شديد لجمع البيانات وتخطيط الأنساق الاجتماعية التى تستجيب بكفاءة للحاجات البيروقراطية فى وقت شحت فيه وندرت الموارد وتزايد حجم المشكلات الاجتماعية مما أدى إلى إحياء النموذج العضوى والبنائية الوظيفية فى رداء جديد إستجابة لظروف البيئة التى أعلت من شأن الحاجات الكلية مرة ثانية.

خاتمة:

يمكن تحديد مراحل تطور النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع على النحو الآتى:

- **المرحلة الاولى :** المرحلة العلمية.
- **المرحلة الثانية:** مرحلة البحث والتطبيق والنظرية.
- **المرحلة الثالثة :** ظهور علم اجتماع الصراع وعلم الاجتماع الراديكالى.
- **المرحلة الرابعة:** مرحلة التكنولوجيا ونظرية الأنساق الجديدة.

ورغم أنه يمكن النظر إلى هذه الأطوار باعتبارها وحدات متمايزة منفصلة، فمن الثابت أن التنظير فى علم الاجتماع الامريكى يعبر عن عملية

(*) العلم الذى يتعلق بالدراسة المقارنة بين الانظمة الالكترونية المعقدة والاجهزة العصبية للكائنات الحيوانية وعلى الأخص الإنسان. ظهر هذا العلم فى الأربعينيات (معجم مصطلحات الكمبيوتر مؤسسة الابحاث اللغوية ص ٩٦) - يرى د. مصطفى كمال استاذ علم الطبيعة أن الهدف الأساسى من علم السيبرنطيقا هو الوصول إلى اقصى قدر من التحكم والتنظير الذاتى للآله فى عمليات التحكم فى مجالات النشاط الإنسانى وزيادة انتاجية العمل، ومن أجل ذلك لابد من الدراسة المتعمقة والشاملة لمجالات التحكم والتوصل إلى القوانين التى تخضع لها عمليات التحكم لتحقيق استقرار المجتمع، فالسيبرنطيقا علم يدرس طرف ادارة المجتمع البشرى ونسق العمل بين مجموعة من الأنساق، أى التحكم فى وظائف المجتمع والعلاقات بين الأنساق - مجلد عالم الفكر الكويتية - المجلد التاسع، العدد الثانى. كما أصدرت مجلة عالم الفكر الكويتية عدداً خاصاً عن السيبرنطيقا - راجع المجلد الثانى العدد الرابع ١٩٧٢ المترجم.

متسقة ومضطردة نسبياً، إذ تتمثل عملية التنظير فى تطبيق الأفكار الفلسفية الأوربية لتفسير المشكلات الاجتماعية المتغيرة فى مجتمع يؤمن بالقيم المادية والبرجماتية والنفعية، وتوارت فيه القيم المثالية، مفسحة المجال فى الوقت نفسه للنزعات النفعية التجريبية وترتب على ذلك كله إتجاه النماذج النظرية الأمريكية المعاصرة إلى تبنى النماذج العضوية والصراع والسلوكية الاجتماعية فى صور جديدة بما تحمل من خصائص النسق والشمولية والتطورية والتحليل على مستوى الوحدات الصغيرة أو الكبيرة، ولكن النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع فقدت الإيمان المثالى بالتقدم الحتمى للمجتمع وتطوره، ذلك الإيمان المتأصل فى النظرية الاجتماعية التقليدية، وإلى حد ما تراجعت النزعة المثالية أمام زحف النزعة الواقعية والتجريبية فى مجتمع يعيش أعلى مستوى من التصنيع والتحضر.

وبعد أن حددنا مراحل تطور نظرية علم الاجتماع فى أمريكا نعرض لخصائص البيئة التى إزدهر بها كل نموذج من النماذج المعاصرة، قبل أن نعرض له عرضاً تفصيلياً.

البيئة التى نشأت فيها النماذج الثلاثة المعاصرة فى علم الاجتماع:

سندرس الآن الخصائص الأساسية للبيئات التى نشأت فيها النماذج الثلاثة: الوظيفية البنائية - الصراع الحديث - المدرسة الاجتماعية النفسية.

البيئة التى ظهرت فيها النزعة البنائية الوظيفية

ولقد ازدهرت النزعة البنائية الوظيفية مثلها فى ذلك مثل النزعة العضوية فى ظروف أعلت من شأن حاجات النسق المتكاملة:

١- مشكلات التطور الاجتماعى والاقتصادى لمجتمع ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية.

٢- الآثار الاجتماعية والاقتصادية التى نجمت عن الأزمة الاقتصادية فى أوائل الثلاثينيات.

٣- المشكلات التى ظهرت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى نتيجة للعزلة الامريكية وحتى الأربعينيات.

٤- المشكلات المعاصرة المترتبة على التطور التكنولوجي والاقتصادى فى السبعينيات.

٥- تمثلت الاتجاهات الفلسفية نحو تفسير المشكلات السابقة فى ظهور محاولات لتطبيق مبادئ الفكر الاجتماعى الأوربى التى سادت فى القرن التاسع عشر والتى تؤكد على القوانين الطبيعية والتغير الاجتماعى إلى الأحسن والإصلاح الاجتماعى والمماثلة العضوية عند تفسير المجتمع والإقلال من شأن وقدر المذاهب الفلسفية وتزايد الإيمان بالتجريب.

٦- عكست البنائية الوظيفية مثلها فى ذلك مثل النموذج العضوى أراء الصفوة المفكرة. ولذا كانت أراء هؤلاء بالضرورة شمولية محافظة.

ومن ثم لنا أن نلخص النموذج البنائى الوظيفى بأنه محاولة لتطبيق أفكار وقضايا علم الاجتماع الاوربى فى القرن التاسع عشر - لاسيما النموذج العضوى على مشكلات الأنساق فى أمريكا التى تتطور تطوراً سريعاً وفى بيئة تسود فيها القيم النفعية وترفض المثالية.

إن أهم مافى هذه النزعة هو الجذور الاكاديمية لمؤيدى ومنظرى البنائية الوظيفية، فهم أبناء طبقة مميزة، تعلموا وحصلوا على أعلى الدرجات العلمية من معاهد وكليات إشتهرت بتقاليد معينة، وطابع مميزفى مجال التعليم الجامعي كما شغلوا وظائف اكاديمية فى أشهر الجامعات الامريكية صاحبة التقاليد الارستقراطية.

البيئة التى ظهرت فيها النظرية المعاصرة فى الصراع

تمثل نظرية الصراع الحديثة مثلها فى ذلك مثل النظرية الوظيفية البنائية تطبيق أنساق الفكر السابقة على أحداث تقع فى مجتمع معاصر.

١- يحاول أنصار نظرية الصراع الحديث تطبيق مبادئ النزعة المثالية والنزعة التقدمية اللتين سادتا فى القرن الثامن عشر فى أوربا على الواقع الأمريكى المعاصر.

٢- تطبيق الأفكار الماركسية الجديدة من أجل دراسة مدى تعقد الصراع الاجتماعى المعاصر.

٣- رد فعل لصور الصراع الاجتماعى العنيفة والخلافات العنصرية التى ظهرت داخل الولايات المتحدة الامريكية .

٤- الإستجابة للأثار القهرية للبيروقراطية على الفرد وعلى علم الاجتماع الحديث.

٥- تطبيق أفكار المصلحين الرواد على المشكلات الاجتماعية المعاصرة التى ترتبت على التصنيع والتحضر.

وبإيجاز تصور النظرية الجديدة فى الصراع محاولة لتطبيق الأفكار الماركسية الجديدة على مشكلات الصراع والبيروقراطية فى المجتمع الحديث.

ويظهر للمرة الثانية الإتصال والترابط بين الفلسفة الاجتماعية القديمة والنظرية الاجتماعية المعاصرة.

البيئة التى ظهرت فيها النزعة النفسية الاجتماعية:

تكشف لنا المدرسة الاجتماعية النفسية عن مدى التواصل بين الماضى والحاضر فى النظرية الاجتماعية، ويؤكد ذلك مما يلى:

١- تطبيق المفهومات الفردية القديمة على المجتمع عند تحليل المجتمع الحديث.

٢- توضيح وتطوير النزعة الفردية كما ظهرت فى الأخلاق البروتستانتية عند تحليل المجتمع الحديث.

٣- تأثير المفكرين الاوربيين مثل دور كيم وفيبر على تطور التحليل من مستوى الوحدة الاجتماعية الكبيرة الحجم إلى مستوى الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم، والاستفادة من الرؤية الإستبطانية للمجتمع.

٤- تطبيق مبادئ النزعة التطورية المتفائلة، كما ظهرت عند بداية الداروينية على مبادئ الحياة الاجتماعية الجديدة.

٥- الوعى بتأثير البيروقراطية على الفرد، وما يترتب على ذلك من شعور بالاغتراب والسعى وراء البحث عن الذات.

ويمكن أن نوجز أهم افتراضات المدرسة الاجتماعية النفسية:

أنها تعبر عن محاولات لتطبيق مبادئ وأفكار النزعة الفردية القديمة على أحداث تقع فى المجتمعات المعاصرة، ويبدو واضحاً مرة أخرى مدى التواصل بين أنساق القيم القديمة، ورد فعل علم الاجتماع لمشكلات المجتمع المعاصر، مما أدى إلى ظهور نموذج يعطى اهتماماً أكبر للتحليل على مستوى الوحدات الصغيرة، وضرورة إتباع المنهج الاستقرائى عند دراسة المجتمع، معارضاً فى ذلك النموذجين السابقين.

ولكن ثمة أفكاراً مشتركة بين النماذج الثلاثة للنظرية المعاصرة فى علم الاجتماع الامريكى:

١- الإيمان بقيم عصر التنوير، كما تمثلت فى الإيمان بالقوانين الطبيعية والتقدم الاجتماعى والمماثلة العضوية.

٢- التأثير القوى لبعض المفكرين الاوربيين مثل دور كيم وداروين وفيبر وماركس على الفكر الامريكى.

٣- الإيمان بتطبيق مبادئ المنهج العلمى عند حل المشكلات الاجتماعية المعاصرة.

٤- ظهور تفاعلات سريعة إزاء التطورات التى ظهرت فى المجتمع المتغير مثل حاجات الأنساق والصراع الاجتماعى وآثار البيروقراطية على الفرد.

٥- إعطاء مزيد من الإهتمام للحاجات الإنسانية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى بيئة يغلب عليها الثقافة المادية والنفعية والمصلحة العملية.

بيد أن تحليل النماذج الثلاثة المعاصرة يقودنا إلى اكتشاف الإتجاهات الآتية:

١- الحركة من النماذج التى تهتم بالوحدات الاجتماعية الكبيرة إلى النماذج التى تهتم بالوحدات المكونة من عدد صغير من الأفراد.

٢- تغير الإهتمام من النزعة البنائية الوظيفية التى تهتم بالمجتمع كله إلى النزعة البنائية الوظيفية التى تهتم بالفرد.

٣- تغير إيمان النزعة البنائية الوظيفية من الإيمان بالنزعة العضوية إلى الإيمان بالتكنولوجيا والسيبرنطقيا.

٤- التحول من نظرية بنائية وظيفية استاتيكية تؤمن بالتوازن إلى نظرية بنائية وظيفية ديناميكية تؤمن بالتطور.

٥- التحول من منهج الأستقراء التاريخى إلى التأكيد على المنهج العلمى التجريبى.

٦- التحول من إستخدام أدوات البحث الوصفية إلى استخدام مناهج البحث العلمى مناهج وطرق بناء النظرية.

وتكشف لنا هذه الاتجاهات الحركة العامة من نظرية استاتيكية تهتم بالوحدات الكبيرة الحجم والتفسيرات العضوية إلى نظرية تهتم بالوحدات الصغيرة الحجم والنمط التكنولوجى والديناميكى، بيد أن النظرية الاجتماعية المعاصرة إستمرت فى تطبيق النماذج الاوربية الرائدة لتفسير التطورات المتغيرة فى المجتمع المعاصر فى بيئة تسودها الثقافة المادية والمصلحة والنفعية. ومن ثم يمكن أن ننظر إلى النظرية الاجتماعية المعاصرة باعتبارها تطبيقاً ديناميكياً جديداً للنماذج الاوربية القديمة على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع الامريكى المتطور الذى يسيره ويحكمه نسق قيم النفعية، مما يؤكد لنا الاستمرار التاريخى والتطورالديناميكى المستمر لعلم الاجتماع. ويلخص لنا شكل رقم ٥١ هذه العملية.

شكل رقم ٥١

تطور النماذج الاجتماعية المعاصرة

النماذج		
البنائية الوظيفية ←	نظرية الصراع المعاصرة ←	المدرسة النفسية الاجتماعية
الخصائص: أفكار النموذج العضوى فى علم الاجتماع ورد الفعل إزاء حاجات النسق ←	مثالية القرن الثامن عشر والنزعة التقدمية ورد الفعل للصراع الحديث والبيروقراطية ←	النزعة الفردية والاخلاق البروتستانتية ورد الفعل ازاء المشكلات الاجتماعية المعاصرة

التحول من النماذج التى تهتم بالوحدات الكبيرة والتفسير العضوى والاستاتيكا إلى النماذج التى تهتم بالوحدات الصغيرة والتكنولوجيا والديناميكا

النظرية الاجتماعية داله للنماذج الرائدة والبيئة الاجتماعية المتغيرة

الفصل الحادى عشر

البنائية الوظيفية

استمرارية النموذج العضوى

- النمط الطبيعى للنزعة البنائية الوظيفية: بارسونز وبكلى
- النمط المهتم بالنسق الشمولى المتكامل فى النزعة البنائية الوظيفية: أتزيونى وترياكيان
- ملخص النزعة البنائية الوظيفية

نبدأ تحليلنا للنظرية الاجتماعية المعاصرة بتحديد الخصائص الأساسية للنزعة البنائية الوظيفية التي يقوم عليها علم الاجتماع الامريكي والتي تعد تطويراً للنموذج العضوى القديم. وسوف نلخص الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسير الشخصية للمنظرين والتي أدت كلها إلى ظهور هذه المدرسة، كما نحدد الإفتراضات الأساسية التى تبدأ منها البنائية الوظيفية. ويتطلب عرض النزعة البنائية الوظيفية أن نعرض لاتجاهين أساسيين داخل المدرسة البنائية الوظيفية أولهما النمط المهتم بالتفسير الطبيعي والاتجاه الآخر النمط المهتم بفكرة النسق المتكامل كما عكست ذلك أعمال أربعة منظرين كبار هم تالكوت بارسونز وولتر بكلى وأتزيونى وادوار ترياكيان. ثم نعرض في النهاية شرحاً مبسطاً للنزعة البنائية الوظيفية كلها.

المدخل:

تصور النزعة البنائية الوظيفية، مثلها مثل النزعة العضوية رد فعل مجموعة من المفكرين الذين يؤيدون استقرار حاجات النسق السياسية والاقصادية والاجتماعية فى المجتمع الامريكى المعاصر.

وقد نشأت هذه الحاجات نتيجة لظروف ما بعد الحرب العالمية والاحداث التى ظهرت بعد كساد الثلاثينيات والمشكلات البيولوجية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة. ويمكن وصف الاتجاهات الفلسفية لصفوة المفكرين باعتبارها تصورات لمدى إمكانية تطبيق مبادئ الفكر الاوربى التى سادت فى القرن التاسع عشر، - تلك المبادئ التى تؤكد على القوانين الطبيعية وتؤمن بالتقدم الاجتماعى والإصلاح الاجتماعى، والمماثلة العضوية - على دراسة المجتمع فى بيئة تؤمن بنسق قيم النفعية وترفض المثالية، ومن ثم فالنظرية البنائية الوظيفية باعتبارها أساس النظرية المعاصرة تمثل محاولة لمجموعة خاصة من المفكرين لتطبيق المثال العضوى على حاجات النسق فى المجتمع المعاصر.

ويرى هذا المدخل المجتمع يتكون من أنساق الحاجات المتساندة والتى تترابط وتتفاعل سوياً وتتطور تلقائياً موجهة إلى تحقيق التوازن فيما بينها، كما تكمل وظائف

كل نسق وظائف الأنساق الأخرى، وعلى هذا النحو يمثل النسق الاجتماعى أو البناء وظيفة ما أو يعبر عن حاجات أساسية خاصة للنسق. وهكذا فقد بذلت محاولة لوضع نظرية عامة عن المجتمع تستند على إفتراض مؤداه أن المجتمع موجود ويتصف بحقيقة مستقلة أو وجود مستقل فى صورة نسق اجتماعى يحمل خصائص مماثلة للأنساق الأخرى فى الكون (أى الأنساق الطبيعية) وتبعاً لذلك فالموضوع الأساسى لعلم الاجتماع هو دراسة أو إكتشاف السمات والخصائص الأساسية لهذا النسق الاجتماعى وأسلوب وطريقة تطوره لبلوغ أقصى حد من التغير الاجتماعى المنظم. ولا ريب أن ثمة مماثلة واضحة فى الشكل بين النموذج العضوى فى علم الاجتماع والبنائية الوظيفية فكلاهما يهتم بالنسق الكلى والتطور ويؤمن بالخصائص الطبيعية.

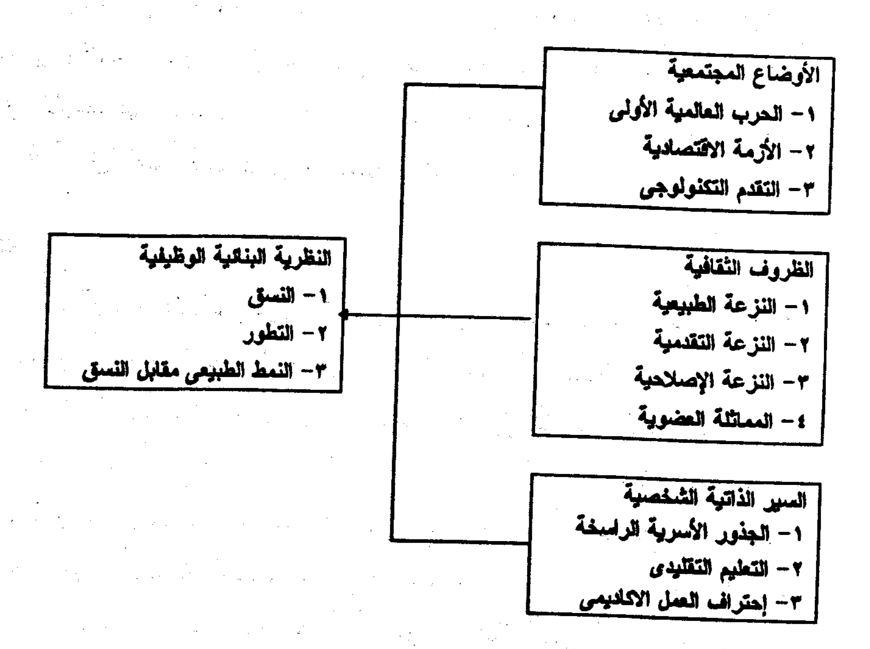
ولا يلتزم كل منظرى البنائية الوظيفية بتفسيرات مماثلة عما يجب أن تكون عليه الوظائف الأساسية فى المجتمع، فثمة فئة تنظر إلى المجتمع باعتباره يحمل خصائص عامة ومشتركة مع الأنساق العضوية وخاصة مبدأ المحافظة على التوازن العضوى أو المحافظة على الاتزان بين عناصر الكائن الحى المختلفة. وثمة فئة أخرى ترى المجتمع من منظور اجتماعى أوسع وترى المجتمع نسقاً معيارياً يوجد فى عقول أفراد المجتمع لا خارجها، وكما هو الحال فى النظرية العضوية نواجه نمطين أساسيين داخل الإتجاه البنائى الوظيفى، النمط الاول هو النمط الطبيعى والنمط الآخر هو النمط المعيارى أو النمط المهتم بالنسق المتكامل، وكلاهما ينظر إلى المجتمع باعتباره نسقاً كبير الحجم متطور يحافظ على التوازن يؤدى وظائف أساسية معينة محددة. والفرق الأساسى بين الرؤية الطبيعية والرؤية المعيارية التى ترى البناء كنسق يكمن فى طبيعة هذه الوظائف لا فى شكل أو نمط النظرية.

وبإيجاز ظهرت النزعة البنائية الوظيفية وهى النمط الأول للنظرية الاجتماعية الامريكية، وتطورت إستجابة للحاجات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع الامريكى. وقد ساهم فى إثراء هذه النظرية مجموعة من المفكرين الامريكان يميلون إلى استقرار المجتمع وتوطيد النظام الرأسمالى،

وحاولوا تطبيق قضايا علم الاجتماع التى إزدهرت فى أوربا القرن التاسع عشر على بيئة جديدة تؤمن بالقيم النفعية والمصلحة وتكفر بالمثالية. وكانت النتائج الأساسية لكل هذه العوامل ظهور نمط من النظرية الاجتماعية يتصف بالنزعة المحافظة ويميل إلى التفسير الطبيعى للمجتمع أو التفسير المعيارى لأنساق المجتمع. وإذا كان ثمة خلاف بين منظرى النزعة البنائية الوظيفية فيرجع إلى تباين موقفهم من التفسير الطبيعى أو التفسير المعيارى للنسق الكلى. ويلخص شكل رقم ٥٢ العوامل الاساسية التى تكمن وراء النزعة البنائية الوظيفية. وسندرس أولا النمط الطبيعى للنزعة البنائية كما يتجلى فى أعمال بارسونز وبكلى.

شكل رقم ٥٢

العوامل الأساسية وراء النزعة البنائية الوظيفية



النمط الطبيعى فى النزعة البنائية الوظيفية :

يعد بارسونز وبكلى مثالين هامين لهذا النمط من النظرية. فالأول يعد مثالاً مفيداً لإستخدام المماثلة العضوية فى التفسير الاجتماعى بينما الآخر يعتبر مثالاً رائعاً لمدى الإستفادة من مدخل السيبرنطيقا أو نظرية النسق عند دراسة المجتمع.

تالكوت بارسونز: ١٩٠٢ - ١٩٧٩

النشأة:

ولد بارسونز -فى ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٠٢ ودرس علم الاحياء فى كلية أمهرست، وتعرف على النزعة الوظيفية فى الانثربولوجيا أثناء دراسته فى مدرسة الاقتصاد العليا بجامعة لندن، وتأثر بفكر فيبر أثناء دراسته فى جامعة هيد لبرج، حيث أعد رسالته لنيل درجة الدكتوراه فى علم الاجتماع والاقتصاد. وتمثل نظريته العامة فى المجتمع محاولة للتركيب بين علم الاحياء والانثربولوجيا والخطوط الأساسية فى فكر فيبر. بدأ حياته الأكاديمية منذ عام ١٩٢٧، إذ بدأ العمل فى جامعة هارفارد، وعايش سنوات الكساد الإقتصادى وسنوات الازدهار والرخاء فى مجتمع يحقق باستمرار معدلاً مرتفعاً من الانتاج الصناعى. وكانت أهم أعمال بارسونز «بناء الفعل الاجتماعى» ونشر ١٩٣٧ «النسق الاجتماعى» وصدر ١٩٥١، «ونحو نظرية عامة فى العقل» وصدر ١٩٥١ «وأنساق المجتمعات الحديثة» صدر عام ١٩٧١.

الأهداف:

كان الهدف الأساسى من اهتمام بارسونز بالتنظير صياغة نظرية عامة عن المجتمع، أى وضع نظرية تطبق على المجتمعات عامة باعتبارها جزءاً من كل أنساق الحياة. وتستند مثل هذه النظرية فى التنظيم الاجتماعى على رؤيته للكائن الإنسانى باعتباره فاعلاً يصنع القرار. ويخضع لضغوط معيارية وعوامل الموقف، وعوامل الموقف هذه هى التى تحدد وتعرف حاجات النسق أو وظائفه لفهم السلوك الاجتماعى، وعلاوة على ذلك وحسب هذه الرؤية فالمجتمعات تتصف بخصائص عامة، ومن ثم فبالإمكان أن نضع نظريات تطبق على كل المجتمعات، وتفسر نموها وتطورها.

الافتراضات:

وضع لنا بارسونزعدداً من الافتراضات الأساسية التى تتعلق بالمجتمع، وأهم هذه الافتراضات:

١- افترض بارسونز أن النسق الاجتماعي يوجد وجوداً قائماً بذاته، أى أنه افترض أن المجتمع يمتلك حقيقة مستقلة عن وجود الأفراد كنسق للتفاعل.

٢- يعبر البناء الاجتماعى أو الأنساق الجزئية فى المجتمع عن عدد من الوظائف الرئيسية (البناء يمثل الوظيفة) أو عن عدد من مشكلات النسق الأساسية، وتتكون هذه الوظائف من التكامل (يقوم النسق الاجتماعى على المعايير التى تربط الفرد بالمجتمع من خلال التكامل المعيارى)، والمحافظة على النمط (النسق الثقافى للقيم وتعميم القيم) وإدراك الهدف (نسق الشخصية أساس التباين) والتوافق (الكائن العضوى الذى يؤدى السلوك هو أساس نسق الأدوار والنسق الاقتصادى).

٣- يتكون النسق الاجتماعى بدوره من أربعة أنساق فرعية:

أ - الجماعة الاجتماعية(معايير التكامل).

ب - نسق المحافظة على النمط (قيم التكامل).

ج - النسق السياسى (ادراك الهدف).

د - النسق الاقتصادى (التكيف).

وعلى العموم، فإن المحور الأساسى للنسق الاجتماعى تحقيق التكامل بين المعايير حسب رأى بارسونز، بينما يعد مستوى الإكتفاء الذاتى فى مختلف البيئات هو الأساس الذى يقوم عليه المجتمع.

٤- وهذه الرؤية للمجتمع تمتد جذورها إلى الطبيعة الأساسية للأنساق الحية على كافة مستويات التنظيم والنمو المتطور، مع افتراض أنه يوجد إتصال قوى بين مختلف فئات الأنساق الحية، ومن ثم تعد فكرة المماثلة العضوية فكرة أساسية فى نموذج بارسونز عن المجتمع.

٥- وتمشياً مع فكرة المماثلة العضوية هذه، (أى رؤية المجتمع باعتباره يماثل الأنساق الاحيائية والطبيعية) افترض بارسونز أن المحور الأساسى للمجتمع يميل إلى تحقيق التوازن أو المحافظة على الاتزان بين جميع أعضاء الكائن الحى، وثمة عمليات أساسية لتحقيق التوازن، أى أن ثمة عمليات

تربط الأنساق الفرعية للفعل، وهذه العمليات هى:
التساند والتداخل بين الأنساق الفرعية، وتوحد الشخص بالظواهر الاجتماعية والثقافية، وتنظيم المكونات المعيارية باعتبارها أبنية أساسية. وهكذا نظر بارسونز إلى النسق الاجتماعى باعتباره نسقاً على أعلى مستوى من التكامل والتوازن.

٦- لاينظر إلى هذا النسق باعتباره نسقاً جامداً، فعلى العكس من ذلك يمتلك النسق القدرة على التطور ليتكيف بطريقة تؤدى إلى زيادة إدراك أهداف المجتمع ككل وزيادة النشاط الداخلى، وتتكون العمليات الأساسية التى تهدف تحقيق التطور من التباين (زيادة تقسيم العمل وتخصص الأبنية الوظيفية)، والتوافق (تزايد حرية الوحدات الاجتماعية واستقلالها عن محدودية الموارد)، وإندماج الأبنية الجديدة فى النسق المعيارى، وتعميم القيم (تطور أنساق القيم إلى أعلى مستوى من العمومية من أجل المحافظة على التكامل أثناء التطور).

٧- يرى بارسونز أن الثقافة المسيحية أو القيم الغربية لمذهب الجهاد السياسى هى الدافع الأول وراء عملية تطور المجتمع الحديث، وأن تطور المجتمع يتحقق أثناء تقدمه فى مراحل تاريخية، ليصل إلى امريكا الحديثة كما نراها اليوم.

ويمكن أن نلخص ما سبق بأن بارسونز نظر إلى المجتمع باعتباره نسقاً مستقلاً له خصائص عامة يشارك فيها الأنساق الحية الأخرى، وتبعاً لذلك يعبر البناء عند بارسونز عن وظائف أساسية ضرورية، ويتكون من أنساق جزئية مميزة فى حالة محافظة على التوازن والتعادل ويتطور هذا البناء بطريقة تحقق التوافق ويعتبر هذا النموذج مثالاً هاماً للمدخل العضوى المعاصر، ويجتهد فى تفسير التطور التاريخى للمجتمع الغربى الأكثر معاصرة ويعبر عن تطبيق نموذج علم الاحياء على المجتمع تطبيقاً آلياً.

المنهج:

افترض بارسونز أن نموذجه يتحول فى مستوى معين إلى نسق من القضايا الإستدلالية، ويقوم هذا النسق على نظرية الأنساق الحية عامة ونظرية

الضبط الذاتى (السيبرنطيقا)، وعلاوة على ذلك افترض بارسونز أنه من المناسب عند بناء مثل هذا النموذج، دراسة الأنساق الأكثر تعقيداً فى حدود ارتباط العناصر الاولية على مستويات مختلفة متباينة، ومن ثم يأخذ النموذج فى جمع وضم الحقائق الاجتماعية. ثالثاً: يتكون المنهج الذى استخدمه بارسونز للبرهنة على وصول المجتمع إلى حالة التكيف أثناء تطوره من المضاهاة بين المنهج النظرى وأحكام الحقيقة التجريبية التى أختيرت لإثبات صحة التفسير النظرى، وعندما تجمع هذه النقاط سوياً يصبح فى الإمكان النظر إلى منهج بارسونز باعتباره استدلالاً لصيغ العلاقات الاجتماعية. ويقوم هذا الاستدلال على التاريخ والمماثلة الاحيائية، وتعززه المضاهاة بين الفكر النظرى والحقائق التجريبية. وعلى هذا النحو وصل بارسونز إلى صياغة محكمة للنموذج البنائى الوظيفى فى المجتمع استناداً على الاستدلال التاريخى والمنطقى الذى يقوم على قبول التعريف الاحيائى للحقيقة الاجتماعية.

النمط:

ولقد تضمنت نظرية بارسونز فى التحديث، نمطاً من أهم أنماطه الأساسية وصف فيه مراحل معينة من التطور الاجتماعى إبتداء من عصور المسيحية الأولى مروراً بالثورة الصناعية وإنتهاء بالوضع الحالى فى أمريكا المعاصرة، وبرهن من خلاله على الآثار المفيدة للثقافة المسيحية. ولقد أوضح نمط بارسونز أن المجتمع الإنسانى يتحرك نحو التحديث (البيروقراطية والعقلانية والتصنيع والديمقراطية) وقد إعتمد بارسونز على تحليل نمط المجتمع الكبير الحجم والاستدلال التاريخى لإثبات النموذج البنائى الوظيفى للمجتمع، وكان الاتجاه العام فى كل مرحلة على النحو الآتى:

١- بداية المسيحية (التخصص الوظيفى للبناء التنظيمى للكنيسة).
٢- العصور الوسطى (مساهمة الكنيسة فى المعرفة).
٣- عصر النهضة والإصلاح الكنسى (ظهور الثقافات العلمانية والنزعات الفردية والإصلاح الدينى البروتستانتى).
٤- حركات الإصلاح المضادة (التى اكدت تعدد القيم وشرعية المجتمع العلمانى).

٥- ظهور الدولة العلمانية (تنظيم المجتمع العلمانى).
٦- الثورات الصناعية والديمقراطية (التصنيع والمناداة بالديمقراطيه).
٧- نشأة المجتمع الامريكى الحديث (النزعات العلمانية القوية والتصنيع والديمقراطية).

وقد حاول بارسونز أن يبرهن الكيفية التى أدت بها الكنيسة المسيحية إلى تفكك وحدة العصور الوسطى، مما أدى إلى التطور الوظيفى للمجتمع الحديث. وقد حاول من خلال هذا الاسلوب التاريخى المهتم بالوحدات الاجتماعية الكبيرة أن يثبت صواب نموذجه البنائى الوظيفى عن المجتمع، كما لخص ذلك شكل رقم (٥٣) والذى برهن فيه برهاناً واضحاً على تطور بناء المجتمع.

الخاتمة:

يتبين لنا من تحليل أراء بارسونز أنه تفاعل مع الحاجات الكلية للمجتمع فى عصره متأثراً بتعاليم علم الاحياء والانثربولوجيا الوظيفية ونظرية علم الاجتماع عند فيبر مما كان له أثره فى صياغة نموذجه الخاص عن المجتمع والتطور الاجتماعى، وتعبر نظرية بارسونز عن صياغة محكمة غير مثالية للنموذج العضوى القديم، وهى أساس علم الاجتماع الأمريكى، وتثير هذه القضية عدداً من التساؤلات والقضايا التى يدور حولها الجدل، وأهمها:

١- أثارت قضية مدى ملاءمة تطبيق مبادئ علم الاحياء فى مجال الدراسات الاجتماعية تساؤلات كثيرة.

٢- هاجم كل من الصفوة والمحافظين بارسونز بسبب تفسيره المجتمع باعتباره كلا متوازناً، يقلل من مسائل الهيمنة والقوة.

٣- ورغم أن النظرية البنائية الوظيفية فى هيكلها المعاصر تبدو كنظرية تؤمن بالتطور، فإنها تميل إلى الاستاتيكية.

٤- تثير فكرة بارسونز عن المجتمع الغربى باعتباره مجتمعاً حديثاً وأن المجتمعات الأخرى أقل تقدماً من المجتمع الغربى، تثير هذه الفكرة قضية التعصب العرقى.

شكل رقم ٥٣

النمط عند بارسونز

المسيحية الاولى ← العصور الوسطى ← النهضة والاصلاح الكنسى ← الحركات المضادة للاصلاح ← ظهور الدولة ←

- **المسيحية الاولى**
  - ١ - التخصص الوظيفى للكنسية
  - ٢ - المجتمع الحضرى
- **العصور الوسطى**
  - ١ - الحرف والمساواة
  - ٢ - مساهمة الكنيسة فى المعرفة
  - ٣ - الرهبانية
- **النهضة والاصلاح الكنسى**
  - ١ - ظهور الثقافة العلمانية
  - ٢ - الفردية
- **الحركات المضادة للاصلاح**
  - ١ - تعدد القيم
  - ٢ - شرعية المجتمع العلمانى
- **ظهور الدولة**
  - ١ - رسوخ الديمقراطية
  - ٢ - الملكية المركزية
  - ٣ - الحياة البرلمانية
  - ٤ - العقلانية
  - ٥ - الثقافة العلمانية
  - ضعف مكانة الكنيسة

← الثورة الصناعية والديمقراطية ← امريكا المعاصرة

- **الثورة الصناعية والديمقراطية**
  - ١ - التصنيع
  - ٢ - والديمقراطية
- **امريكا المعاصرة**
  - ١ - الجمهورية
  - ٢ - الثورة التعليمية
  - ٣ - الاتحادات
  - ٤ - بلوغ مستوى عالى فى التصنيع
  - ٥ - التجانس اللغوى التحديث

التطور

التحديث

(أى المجتمع الصناعى والديمقراطى)

٥- لنا أن نعتبر منهجه فى المضاهاة التاريخية عبارة عن محاولة لتحقيق الذات تثير مشاكل هامة عند اثبات صحتها.

وعلى العموم تثير النزعة البنائية الوظيفية عند بارسونز كثيراً من المشكلات التى ترتبط بالمماثلة العضوية ومثال التوازن، والإيمان بحكم الصفوة، والتعصب العرقى، وصلاحية المنهج، ورغم ذلك فهذا النموذج يمثل أساس النظرية الاجتماعية المعاصرة. ويلخص شكل رقم ٥٤ إطار العمل النظرى عند بارسونز.

شكل رقم ٥٤

ملخص اطار العمل النظرى لبارسونز

تالكوت بارسونز ١٩٠٢

النشأة :

١- درس علم الاحياء والانثروبولوجيا الوظيفية وعلم الاجتماع عند فيبر

٢- عايش الكساد الاقتصادى والحربين العالميتين والتصنيع

٣- عمل أستاذاً جامعياً

الأغراض:

صياغة نظرية عامة عن المجتمع

الافتراضات:

١- النسق الأجتماعى يوجد وجوداً مستقلاً متميزاً فى حد ذاته

٢- كل بناء يؤدى وظيفة

٣- يتكون النسق من أنساق فرعية

٤- يرتبط المجتمع إرتباطاً وثيقاً بالأنساق الحية الأخرى

٥- المجتمع متجانس ومستقر

٦- المجتمع يمتلك القدرة على التطور المتوافق

٧- الثقافة المسيحية هى الدافع الأول وراء التحديث

المنهـج:

يقوم الاستدلال التاريخى على المماثلة العضوية

النمـط:

أطوار التحديث

القضايا:

- تطبيق المماثلة العضوية
- رؤية المجتمع فى حالة اتزان
- المظاهر الساكنة الثابتة للنزعة البنائية الوظيفية
- رؤية المجتمع الغربى كمجتمع حديث
- مشكلات المقارنة التاريخية

والتر بكلى ١٩٢٧

ولد بكلى عام ١٩٢٧ – وتعلم فى جامعة براون. وحصل على درجة الليسانس ١٩٥٢، ثم درس فى جامعة ويسكونس ماديسون وشغل وظائف اكاديمية فى جامعات عديدة، منها جامعة كاليفورنيا. وركز اهتماماته الفكرية الاولى حول نظرية علم الاجتماع والحراك. ونشرت مقالاته وكتاباته فى المجلات الاجتماعية، ونشر له كتاب تحت عنوان «علم الاجتماع ونظرية الأنساق الحديثة» عام ١٩٦٧.

الأهداف:

كان هدف بكلى تطبيق منظور نظرية الأنساق الحديثة فى مجال علم الاجتماع، محاولاً من ذلك اكتشاف وتطوير إطار تصورى ديناميكى عن الحقيقة الاجتماعية الثقافية، وهو يرى أن النظرية الاجتماعية السائدة تعتمد على نماذج عضوية وميكانيكية متوارثة عن الماضى، ولذا حاول بكلى الإستفادة من ديناميكية إرسال المعلومات – أساس مدخل السيبرنطيقا – ليكشف عن ويطور رؤية موجهة لعملية التنظيم الاجتماعى، ويرتبط هذا المدخل بصور مشتركة مع النزعة البنائية الوظيفية.

الافتراضات:

١- رأى بكلى أن مدخل الأنساق ينبغى أن يركز أساساً على العمليات الهامة الكلية بوصفها دالة للمعلومات المرتجعة الممكنة فى صور سلبية وإيجابية وتتوسط هذه العمليات القرارات الانتقائية أو اختيارات الأفراد والجماعات المعنيين بها سواء مباشرة أو لا مباشرة. وحسب هذه الرؤية فالتنظيم يعبر عن حالة وقتية تعتمد على خصائص المعلومات المرتجعه واتخاذ القرارات فى فترة زمنية معينة.

٢- عندما طبق هذا المدخل فى مجال علم الاجتماع، قسم بكلى المجتمع إلى جزئين كبيرين، البناء والعملية، ويتكون البناء من نسقين أولهما النسق النفسى والآخر النسق الاجتماعى الثقافى.

٣- يتكون النسق من أربعة عناصر أساسية:

أ - الفرد الحى.

ب - موضوعات البيئة ذات المصلحة عند الشخص.

ج - الفرد الآخر.

د - الاتصالات وتبادل المعلومات ويمثل نسقاً معقداً لتحقيق التوافق والتكيف.

وتكون هذه العناصر الأربعة نسقاً يضم عناصر مترابطة، تمثل نسقاً ديناميكياً هاماً لتبادل المعلومات، وهى أساس التنظيم الاجتماعى على المستوى النفسى.

٤- يرى بكلى أن المستوى الاجتماعى والثقافى محاولة للوصول إلى المستوى الأقصى من الاستقرار والمرونة للتكيف مع بيئة النسق. وثمة عناصر خمسة لتحقيق عملية التكيف هذه: وهذه العناصر هى: أ) ثمة مصدر لإيجاد التباين داخل النسق، ب) المحافظة على المستوى الأقصى لإزالة توتر النسق وإرضاء كافة أعضائه ج) شبكة اتصال فى اتجاهين مع البيئة لتحقيق الهدف، وتتكون هذه الشبكة من النظم الأساسية للنسق (العلم والتكنولوجيا والسحر والدين)، د) نسق إتخاذ القرار هـ) أساليب خاصة لنشر وبث المعانى المقصودة وأنساق الرمز ونظم المعلومات (أى نسق البيئة الاجتماعية الداخلية). وفى مثل هذا البناء يتبين أنه كلما ارتفع المستوى، زاد الاعتماد على رابطة الإتصال بدلاً من الطاقه، وعلاوة على ذلك يمثل التنظيم الاجتماعى حالة قيد وقتى على التفاعلات الممكنة بين الوحدات الاجتماعية، أى أن التنظيم الاجتماعى يقوم على مجموعة خاصة من القرارات تعتمد على تبادل وارجاع المعلومات إلى فترة زمانية معينة.

٥- تتكون العملية داخل نموذج الأنساق من الإنفتاح وتبادل المعلومات ودوائر المعلومات المرتجعة وتوجيه الاهداف وعمليتين أساسيتين هما (أولاً) استقرار الشكل أى عمليات المحافظة على الشكل القائم والعملية الأخرى تعديل وتجديد شكل النسق وهى عملية تهدف إلى تحسين شكل النسق أو تغييره. وهذه العمليات كلها تعتمد على عناصر فى عملية التوافق على المستوى الاجتماعى والثقافى (أى التباين والتوتر والنظم).

٦- أخيراً استخدم بكلى عمليات مثل «نظـام التفـاوض» «وحـل مشـكلة الاجهـاد» الـذى يفرضـه الأداء، و«الاعـداد لأداء أدوار جديـدة» كأمثلـة علـى ديناميكية النسق.

بإيجـاز رأى بكلـى أن التنظيـم الاجتمـاعى علـى المسـتويين النفسـى والاجتماعى الثقافى يقوم علـى عمليـة المعلومـات المرتجعـة ويبنـى علـى أنسـاق الاتصالات وعمليتى ثبات الشـكل وتجديده. ومثل بارسـونز رأى بكلـى المجتمـع باعتباره نسقاً يتكون من أنساق فرعية والبناء والعملية والتوازن والتطور. ويـرى بكلى أن الوظائف الاساسـية هـى مبـادئ التنظيـم الذاتـى والمراقبـة (السـيبرنطيقا) لا الوظائف الاحيائية. وهنا يكمن الخلاف بينه وبين بارسونز.

المنهج:

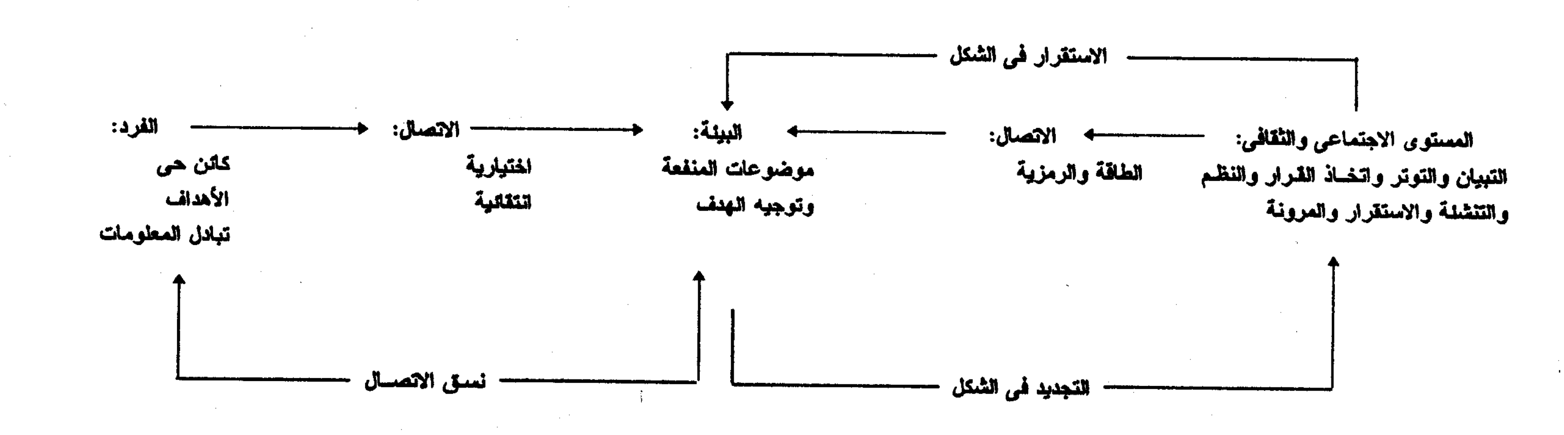
يتكون المنهج عند بكلـى مـن تطبيـق مبـادئ علـم السـيبرنطيقا ونظريـة الأنساق عند تحليل التنظيم الاجتمـاعى. وهـى عمليـة تمـاثل إستخدام بارسـونز للمماثلـة العضويـة، ومـن ثـم وعلـى نحـو نموذجـى يشـبه بكلـى النزعـة البنائيـة الوظيفية فى اعتمادها على تطبيق نماذج غريبة عن علـم الاجتمـاع عنـد تحليـل النظام الاجتماعى تحليلاً اجتماعياً علمياً.

النمط:

يكمن نمط بكلى فى نموذج أنساق المجتمع الذى يركز على دوائر تبادل المعلومات بين الأنساق النفسية والاجتماعية الثقافية من جهة وبيئاتها التى تتـأثر بعمليات الثبات والتغير فى الشكل مـن جهـة أخـرى. وتبعـاً لذلـك يعبر التنظيـم الاجتماعى على كل مستويات المجتمع عن مجموعة من القرارات الوقتية تعتمد على المعلومات المرتجعة بين الأنساق الجزئية وبيئاتها التى توجد فيها فى فـترة زمنية محددة ويلخص شكل رقم ٥٥ هذا النمط.

شكل رقم ٥٥

نمط المجتمع عند بكلى



خاتمة:

ويعبر بكلى عن أنماط البنائية الوظيفية متأثراً بمبادئ التنظيم الذاتى والمراقبة. وبتطبيق نظرية الأنساق فى مجال علم الاجتماع رأى بكلى أن المجتمع يتكون من نظام من أنساق فرعية نفسية اجتماعية ثقافية تقوم على عمليات تلقين المعلومات المرتجعة، وهذه الأنساق التى تمثل أنساق اتصال هامة وديناميكية تتكون من البناء والعملية والتوازن والتطور والتجدد والثبات والتغير. وتنزع هذه الأنساق الجزئية إلى التوافق وتحاول الوصول إلى أقصى مستوى من الاستقرار والمرونة. ويتطابق هذا النموذج مع نموذج بارسونز إذ أنه يؤكد على الفرد الحى، وإدراك الهدف والاتصال والتكيف والاستقرار والتنظيم واساليب التنشئة الاجتماعية ونسق المحافظة ونسق التطور، بيد أن ثمة تباين يكمن فى أن الوظائف الأساسية عند بكلى هى وظائف السيبرنطيقا لا الوظائف الاحيائية، كما أنه نظر إلى التنظيم الاجتماعى باعتباره حالة وقتية وديناميكية وليست حالة مستقرة وساكنة.

وقد أثار عمل بكلى عدداً من القضايا:

١- إلى أى مدى تختلف نظرية بكلى عن نظرية بارسونز.

٢- إلى أى مدى يساهم استخدام دوائر المعلومات المرتجعة فى صياغة نظرية اجتماعية أكثر ديناميكية، وإلى أى مدى يثير استخدام دوائر المعلومات مشكلات أكثر فى النظرية.

٣- العمليات على مستوى المجتمع الكبير مثل إستقرار الشكل وتجديده لم تحددا تحديداً واضحاً ولم يؤيدا بأدلة قاطعة.

٤- معظم الأمثلة التى ساقها بكلى عن الديناميكا على مستوى الفرد لا الجماعة.

ومع ذلك فإن نظرية الأنساق تعد محاولة هامة لتجعل النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع أكثر ديناميكية ويلخص شكل ٥٦ إطار العمل النظرى عند بكلى.

شكل رقم ٥٦
ملخص اطار العمل النظرى عند بكلى

النشأة :

١- تعلم فى جامعة براون وجامعة ويسكنسن.
٢- عمل استاذاً فى الجامعة

الأغراض:

تطبيق نظرية الأنساق الحديثة فى علم الاجتماع

الافتراضات:

١- التنظيم حالة وقتية تعتمد على المعلومات المرتجعة.
٢- المجتمع عملية وبناء
٣- النسق النفسى
٤- النسق الاجتماعى والثقافى
٥- استقرار الشكل وتغيير الشكل

المنهج:

تطبيق مبادئ السيبرنطيقا عند دراسة المجتمع

النمط:

نموذج أنساق المجتمع

القضايا:

١- مدى التباين عن بارسونز
٢- ديناميه دورات المعلومات المرتجعه
٣- غموض التعريفات
٤- الامثلة مستمدة من الوحدات الصغيرة

ملخص النمط الطبيعى للنزعة البنائية الوظيفية:

ثمة عدد من مظاهر الإتفاق الواضحة بين نظرية بارسونز ونظرية بكلى. وهذه المظاهر هى:

١- حاول كل منهما صياغة نظرية عامة فى التنظيم الاجتماعى.
٢- رأى كل منهما أن أنساق صنع القرار تعد أنساقاً أساسية فى التنظيم الاجتماعى.
٣- تهتم نظريتا بارسونز وبكلى بالنسق الكلى المعيارى الذى تتساند اجزاؤه. وأكدا أن النسق الاجتماعى ينقسم إلى أنساق فرعية.
٤- نظر كل منهما إلى الفرد ككائن حى.
٥- حدد كل منهما عدداً من العمليات باعتبارها أساسية لإستمرار النسق الاجتماعى، مثل إدراك الهدف والتكيف والإستقرار والنظم وأساليب التنشئة والمحافظة على النسق والتطور.

ويتميز هذا النمط من البنائية الوظيفية بأنه يهتم بالوحدة الكبيرة والنسق الكلى والتطور، ويعبر عن محاولة لصياغة نظرية عامة عن المجتمع بالإشارة إلى حاجات النسق الأساسية. ويلخص شكل رقم ٥٧ الخصائص الاساسية لهذا النمط فى التفسير.

نمط التفسير المهتم بالنسق المعيارى فى البنائية الوظيفية

ورغم أن هذا الإتجاه فى النزعة البنائية الوظيفية يماثل فى الشكل الاتجاه الطبيعى، باعتبار أن النمطين يهتمان بالوحدة الاجتماعية الكبيرة الحجم والنسق الكلى المتكامل والتطور، فإن نمط نسق المعايير يختلف عن النمط الطبيعى فى المضمون أى أنه يهتم بأساس وأنماط وظائف المجتمع باعتبارها وظائف معيارية وداخلية تكمن فى الفرد، ويرفض النظر إلى وظائف المجتمع باعتبارها وظائف احيائية وخارجية عن الفرد.

وسنحاول أن نعرض لأعمال كل من أتزيونى الذى إهتم بالقدرة على تكوين الإجماع فى المجتمع وتيرياكيان الذى تبنى رؤية الفلسفة الظاهراتية لتفسير البناء الاجتماعى، ويكمل هذا المدخل المهتم بالنسق المعيارى النماذج الآلية عند رواد النزعة الوظيفية.

شكل ٥٧

بناء النزعة البنائية الوظيفية الطبيعية

رد فعل:
للمشكلات السياسية والاقتصادية فى أمريكا

أساس التسفير:
الوظائف المجتمعية والعمليات السيبرنطيقية هى أساس البناء الاجتماعى

النموذج:
المجتمع نسق متجانس مستقر متطور له علاقات مترابطة: البناء والعملية

التنبؤ
تطور المجتمع – التحديث – السيبرنطيقا – الديناميكية

أميتاى أتزيونى ١٩٢٩

النشأة:

ولد أتزيونى فى عام ١٩٢٩، وتخرج فى الجامعة العبرية وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة باركلى فى ١٩٥٨، إرتقى فى وظائف أكاديمية حتى شغل وظيفة رئيس قسم علم الاجتماع بجامعة كولومبيا. وعضو منظمة دراسات الحرب والسلام، وأهم أعماله دراسة «مقارنة للتنظيمات المعقدة» صدر فى عام ١٩٦١ ثم كتاب «التوحيد السياسى» ونشر فى عام ١٩٦٥ وأخيراً كتاب «المجتمع الفعال» وصدر عام ١٩٦٨، وتتركز أهم اهتماماته الفكرية حول التنبؤ الاجتماعى والمستقبلية(*) - الدعوة إلى طرح التقاليد - والنظرية الاجتماعية والتغير الاجتماعى.

الأهداف:

يكمن الهدف الأساسى من نظرية أتزيونى كما ظهر فى كتابه المجتمع الفعال فى اكتشاف علم اجتماع الوحدات الكبيرة أى دراسة الخصائص الطبيعية الهامة للوحدات الاجتماعية الكبيرة التى تفسر الجانب الهام لتباين البيانات الاجتماعية من أجل بلوغ أقصى حد من الأهداف الاجتماعية. ونواجه هنا من جديد نظرية تؤكد النسق الكلى وتهتم بالوحدة الاجتماعية الكبيرة وهدفها الأساسى الضبط الاجتماعى والتطور الاجتماعى.

الافتراضات:

١- يكمن الفرض الأساسى فى إثبات أن الوحدات الكبيرة الحجم تمتلك خصائص منطقية بارزة ونتائج تؤثر على المجتمع الكبير، ومن ثم يركز أتزيونى على الظواهر الكلية الكبيرة الحجم باعتبارها مستقلة وقابله للتفسير.

(*) مدهب فنى يدعو إلى ترك الماضى والدعوة إلى طرح التقاليد ويعنى بالحاضر والمستقبل المترجم.

٢- يمكن تصنيف هذه الظواهر إلى وحدات (أدوار) ووحدات جزئية (الأسر) ووحدات كبيرة (الجوار) ويمكن تقسيم البناء إلى مجتمعات كبيرة شاملة ومجتمعات فرعية.

٣- تنقسم العلاقات داخل النسق الاجتماعي إلى أنواع ثلاثة: المواقف (علاقات متبادلة بين وحدات)، والأنساق (التساند والتفاعل بين الوحدات) والمجتمعات المحلية (الوحدات المتكاملة).

٤- تحتل الحكومة مركز الأهمية في النسق؛ وتتمثل في القوة العليا التي تحكم التنظيم الذاتي والضبط في المجتمع (السيبرنطيقا) وتزود النسق بأساليب اتصال وتغذية مرتجعة تشكل عملية اتخاذ القرار، واستناداً على هذه الطريقة في تفسير المجتمع، حاول أتزيوني التوفيق والتركيب بين نظرية إرادية ونسق للتوجيه مركزي ونموذج للتنظيم الذاتي والضبط (سيبرنطيقا) وذلك في شكل نظرية للتنظيم الذاتي ومراقبة إرادية لتوجيه المجتمع.

٥- وثمة عاملان أساسيان في نموذج هذا المجتمع. العامل الأول ويتمثل في الضبط وهو قدرات النسق على التنظيم الذاتي والمراقبة (أبنية تغذية المعرفة واتخاذ القرار) والسلطة (مصادر القوة والتعبئة) والعامل الآخر ويتمثل في القدرة على تكوين توافق الأراء والإجماع (أبنية داخلية تساهم على تحقيق وتكوين إجماع داخلي على الأراء).

٦- يؤدي استخدام بعدي الضبط وتكوين الاجماع إلى تكوين أنماط من المجتمعات، ويمارس المجتمع الفعال المملوء بالنشاط أعلى مستوى من الضبط واجماع الاراء. وعلينا أن نحدد الشروط والأوضاع التي تشجع أو تعوق ظهور المجتمعات الفعالة المنتجة.

ويمكن أن نلخص مساهمة أتزيوني في محاولته صياغة نظرية تجمع بين الإرادة والضبط السيبرنطيقي لتحقيق التوجيه الاجتماعي. وقد إحتلت الحكومة باعتبارها ممثلة للتنظيم الذاتي للقوة الضابطة في المجتمع أعلى الدرجات وتوجه

هذه القوة نسق الوحدات والوحدات الجزئية والوحدات الكبيرة، التى تعتمد كلها على الضبط والقدرات على تكوين الإجماع وتوافق الآراء ويتميز هذا المدخل باهتمامه بالوحدات الكبيرة الحجم والنسق الكلى والتطور والتنظيم الذاتى والضبط (السيبرنطيقا) والتفسير البنائى الوظيفى عند تفسير المجتمع باعتباره يمتلك خصائص بارزه هامة ويعتمد على قوة الضبط الخارجية وعوامل معيارية داخلية.

المنهج:

طبق أتزيونى منهجين هامين:

١- تطبيق النموذجين الإرادى والسيبرنطيقى على تطور المجتمعات.

٢- صياغة مجردة لنمط تاريخى للمجتمعات يقوم على هذين البعدين، وترتب على ذلك صياغة نظرية ديناميكية سيبرنطيقية عن تطور المجتمعات تعتمد على الوظائف الخارجية والداخلية، وللمرة الثانية تشمل مناهج البنائية الوظيفية تطبيق نماذج مقتبسة من خارج علم الاجتماع على دراسة تطور المجتمعات على المستوى الكبير الحجم.

نمط المجتمع:

صاغ أتزيونى ٤ أنماط للمجتمعات ويتحدد شكل كل مجتمع ووضعه وموقفه بين قطبى الضبط والقدرة على تكوين إجماع الاراء: ١) المجتمع الفعال نسبياً (يتميز بارتفاع معدل الإجماع والضبط) ٢) مجتمع هائم يتميز بانخفاض معدل الضبط وارتفاع معدل الإجماع. ٣) مجتمع تديره قوة عليا ويتميز بارتفاع معدل الضبط وانخفاض معدل الإجماع. ٤) مجتمع سلبى يتميز بانخفاض معدل الضبط والإجماع ويلخص لنا شكل رقم ٥٨ هذا النمط.

الخاتمة:

وانطلاقاً من افتراضاته الأساسية عن الإرادية وضبط التطور الاجتماعى، حاول أتزيونى صياغة نظرية بنائية وظيفية لتوجيه المجتمعات، تتناسب مع إنجاز أهداف المجتمع، ويماثل هذا المدخل مدخل بارسونز فى

إتفاقهما معاً على تأكيد أهمية الأنساق الكبرى والأنساق الجزئية وأساليب التنظيم الذاتى والمراقبة والتطور على المستوى الكبير والضبط الخارجى والتكامل المعيارى الداخلى.

شكل رقم ٥٨

النمط عند اتزيونى

الضبط

	مرتفع	منخفض	
مرتفع	مجتمع نشط نسبياً	مجتمع هائم فى فترة انتقال تدريجى	مرتفع
منخفض	مجتمع تتزايد فيه الادارة	مجتمع سلبى	منخفض

تكوين إجماع الآراء

مرتفع الضبط منخفض

وتثير نظرية أتزيونى عدداً من التساؤلات أهمها:

١- تركيزه على أن الحكومة والضبط بعدان أساسيان ومركزا الاهتمام يثير مخاطر الإتهام بأنه يتجه نحو الصفوة.

٢- يميل هذا المدخل إلى الإقلال من شأن مشكلات القوة والهيمنة.

٣- يبدو أن تطبيق المدخل الإرادى والسيبرنطيقى كان غامضاً وينزع إلى التعميم.

٤- أدى اكتشاف أنماط مجردة ونظريات التطور للمجتمعات الكبيرة إلى اثارة مشكلات تتعلق بمدى الصلة مع السياسة العامة.

ورغم تلك المشكلات قدم اتزيونى مساهمة كبيرة فى تطور علم الاجتماع الوحدات الكبيرة. ويلخص شكل رقم ٥٩ إطار العمل النظرى عند أتزيونى.

شكل رقم ٥٩

ملخص إطار العمل النظرى عند أتريونى

النشأة :

١- تعلم فى الجامعة العبرية وجامعة باركلى

٢- مارس التدريس فى الجامعة

٣- اهتمامه بالتخطيط الاجتماعى والتغير الاجتماعى

الأغراض:

وضع علم اجتماع الوحدات الكبيرة لبلوغ أقصى حد من الأهداف المجتمعية

الافتراضات:

١- تمتلك الوحدات الكبيرة خصائص طارئة

٢- وجود وحدات يؤدى إلى ظهور وحدات فرعية لها ووحدات فوقية تعلوها

٣- العلاقات والمواقف والأنساق والمجتمعات المحلية

٤- الحكومة فوق الطبقات تحكم المجتمع حكماً ذاتياً

٥- بعد الضبط وتكوين توافق الاراء.

المنهج:

تطبيق المدخل الإرادى والسيبرنطيقى عند تفسير تطور المجتمعات

النمط:

مقارنة أنماط المجتمعات حسب بعدى الضبط وتكوين الاجماع

القضايا:

١- مشكلات الصفوة

٢- قلل من تأكيد أهمية مشكلات السلطة والهيمنة

٣- غموض المدخل الإرادى السيبرنطيقى

٤- مستوى عال من التجريد

إدوارد تيرياكيان ١٩٢٩

النشأة:

تعلم فى جامعة برنستون ومنها حصل على درجة الليسانس عام ١٩٥٢. ثم إلتحق بجامعة هارفارد. ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٥٦، وشغل وظيفة عضو هيئة تدريس بأقسام الاجتماع بجامعات برنستون وهارفارد وديوك، وركزت اهتماماته الفكرية حول العلاقة بين الوجودية وعلم الاجتماع، وتطور وتغير الأنساق الاجتماعية والنظرية الاجتماعية ومنهج دراسة المعانى الاجتماعية عند الشعوب المختلفة (اثنوميتودولوجى). وسنحاول أن نعرض لتطور نمط الظاهراتيه[1] داخل النزعة البنائية الوظيفية. أهم أعماله «النزعة الاجتماعية العلمية وعلم الاجتماع» وصدر عام ١٩٦٢.

أهدافه:

حاول تيرياكيان أن يكتشف نظرية ظاهراتية عن النظام الاجتماعى من أجل اكتشاف الأبعاد الكاملة للمنهج الثقافى للحقيقة الاجتماعية، وليتسنى امكانية ضبطها ضبطاً ملائماً نسبياً ليتحقق بما يكفل إمكانية ضمان التغير المنظم الذى يحقق تقدماً ثقافياً واجتماعياً، ويمكن أن نقول أننا نواجه تطبيق نموذج من خارج علم الاجتماع لتحليل تطور المجتمع ولتفسير التغير الاجتماعى المنظم.

الافتراضات:

١- وعلى خلاف الوظيفيين الآخرين تبنى تيرياكيان رؤية داخلية ظاهراتية لتفسير الأبنية الاجتماعية والتى درسها باعتبارها ظواهر معيارية

---

(١) يترجم مصطلح الفينومولوجى بالانجليزية إلى كلمة ظاهريات بالعربية والفكرة العامة التى يقوم عليها مذهب الظاهريات هى الرجوع إلى الأشياء نفسها أى الرجوع إلى الوقائع المحضة دون التأثر بالاحكام السابقة المتعلقة بها. وعلى هذا الاساس تعارض الظاهريات المذهب التجريبى. وتعارض المذهب العقلى لانه يجرد عالم الحياة ويضعه فى صيغ شكلية ويعارض المثالية لانها لا تستند إلى رؤية واقعية. أنظر:
د. عبد الرحمن بدوى موسوعة الفلسفة ج ٢، بيروت - المؤسسة العربية ١٩٨٤ ص ٦٠ المترجم.

للوعى الذاتى الداخلى. والذى يشكل الأفعال الاجتماعية فى المكـان الاجتمـاعى. وهكذا يأخذ البناء الاجتمـاعى طابعـاً داخليـاً وجوديـاً ومعياريـاً، ويقدم الأسـاس الذى تقوم عليه تعريفات الحقيقة عند الفرد والجماعة.

٢- تأخذ الظواهر الاجتماعية مظهر الصيرورة وهى وقـائع حقيقيـة، وتعكس مظاهره، وهى مظاهر للأساس الوجودى للممكنات. ولنا أن نطلق على هذا الأساس مصطلح البناء الاجتماعى، وهو بناء ديناميكى يقبل التحول والتغير وهو بناء مؤقت وليس بناء استاتيكيا.

٣- يعبر التنظيم أو التشكيل الرسمى عن العمليـة التـى بهـا تظهـر الظواهر الاجتماعيـة مـن أرضيـة الممكنـات وتصبـح مرئيـة ومنظمـة فـى البناء الاجتماعى.

٤- وعلاوة على ذلك ينقسم أساس الممكنات إلى مجـالين: الأول مجـال العناصر المقدسة ذات الطابع الدينى والمجال الآخر مجال العناصر ذات الطـابع العلمانى، والتوازن بين هذين النقيضين هو أساس النظام الاجتماعى.

٥- ويترتب على ذلك، أن يظهر النظـام الاجتمـاعى باعتبـاره محصلـة تنظيم اللا معقول، أى محصلة تكوين البناء الاجتماعى.

٦- وأخيراً تمثل الثقافـة علـى المستوى الكبـير الحجم مجموعـة مـن الرموز المتكاملة، والتى تتأثر ديناميكياً بعمليـات البنـاء والهدم، وعندمـا تظهـر على السطح عنـاصر جديدة مـن أرضيـة الممكنـات أثنـاء حركـة المجتمـع مـن مرحلة العصور الوسطى إلى المرحلة العقلانية.

وبإيجاز قدم لنا تيرياكيـان نظريـة بنائيـة فـى علـم الاجتمـاع تعبر عن مدخل نظرى يحاول أن يحلل من خلاله أنساق المجتمـع علـى المسـتوى الكبـير تحليـلاً ديناميكيـاً. ونقطـة البدايـة فـى هذه النظريـة تحليل العنـاصر الجوهريـة الأساسية فى أنساق المجتمع، تلك العناصر التى تكمن فى إطـار ثقافـة المجتمـع

ثم تتقدم هذه النظرية لتدرس تحول هذه الممكنات إلى وقائع، ومن ثم فالمجتمع نسق ثقافى ديناميكى رمزى له طابع وجودى داخل الفرد، ويتحول من مرحلة التفكير الغيبى إلى مرحلة التفكير العلمى ساعياً إلى تحقيق التوازن بين النقيضين. ويمكن أن نرى مرة أخرى أن هذا المدخل يؤمن بالنسق الكلى المتطور الذى يتكون من أجزاء متساندة، وإمكانية دراسة هذا المجتمع على المستوى الكبير، كما أن أساس الوظائف عند تيرياكيان أساس ظاهراتى وليس أساساً احيائياً أو سيبرنطيقيا، ولذا قرر تيرياكيان بوضوح أننا نفسر هذا المدخل باعتباره تجديداً للتحليل البنائى.

المنهج:

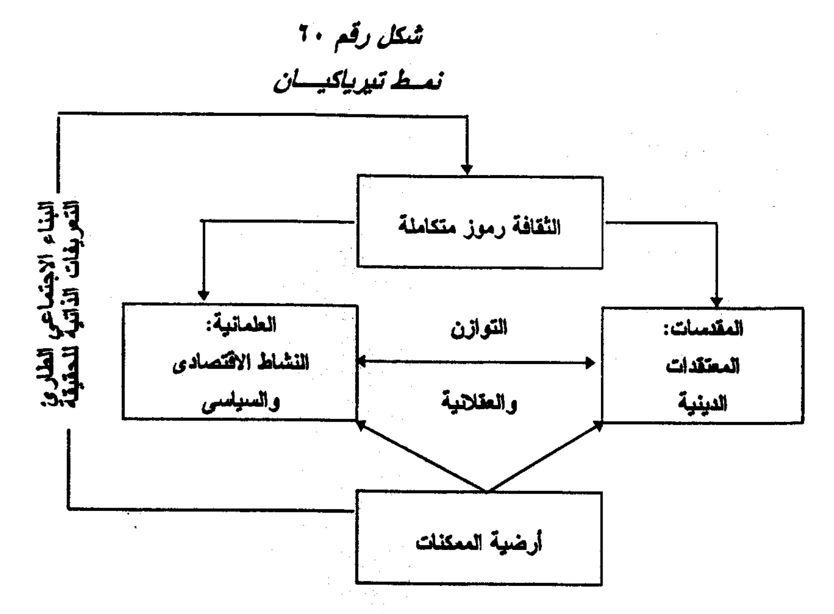
يتكون منهج تيرياكيان مثل منهج كل البنائيين الوظيفيين من تطبيق نماذج من خارج علم الاجتماع لدراسة مشكلة التغير الاجتماعى المنظم. وفى حالة تيرياكيان استخدم منهج الظاهريات (الفينومولوجى) وإستعان أيضاً بمنهج الاستقراء التاريخى، وترتب على ذلك صياغة نظرية على المستوى الكبير الحجم لفهم المجتمع باعتباره يتكون من نسق يشتمل على أجزاء متساندة، ويتطور هذا المجتمع دائماً ويتجه إلى تحقيق التوازن.

النمط:

ورغم أن تيرياكيان لم يضع لنا نمطاً محدداً، لكن لنا أن نستنبطه من خلال تفرقته بين المجالين الدينى والعلمانى داخل المجتمع. فالمجتمع الدينى تعبر عنه المعتقدات والممارسات الدينية، بينما تظهر الأعمال والممارسات الدنيوية خلال ممارسة الأنشطة الاقتصادية والسياسية والنشاط من أجل إدراك الهدف، ويتضمن المجال الأول الأوامر الإلهية التى تدفع إلى الخير وقوىَ شيطانية تغرى بالشر، وينظم هذا التضارب نوعاً من التوازن داخل النسق الاجتماعى، والمجال العلمانى فى هذا النسق يخضع لتأثير البناء الاجتماعى والأخلاق والعقلانية، وكلها متضمنة على تخوم النسق الثقافى المتكامل. ويلخص شكل رقم ٦٠ هذا النمط عند تيرياكيان.

شكل رقم ٦٠

نمـط تيرياكيـان



الخاتمة:

تصور تيرياكيان المجتمع نسقاً ظاهراتيا يتكون من نسقين جزئيين: نسق دينـى ونسق علمانى. ويعيش هذا النسق فى حالة توازن بين النقيضين، وتحقق الثقافة التكامل فى هذا النسق، كما يخضع هذا المجتمع باستمرار لعمليات البناء والهدم والعقلانية، ويقف هذا النموذج موقف التناقض والتعارض مع النماذج البنائية الوظيفية الأخرى، ويثير قضايا أساسية هامة يدور حولها الجدل والحوار وأهم هذه القضايا محور الخلاف:

١- يبدو أن غرض المفهومات الظاهراتية مثل أساس الممكنات العلمانيه والدينية، والبناء والهدم كان غير واضح.
٢- لم يعرف أحداث المجتمع الطارئة الممكنة الحدوث التى تحدد عملية هذه الظواهر تعريفاً واضحاً.
٣- تبدو خصائص التوازن بين المتناقضات غير واضحة.
٤- ثمة غموض يحيط بعملية البناء والعقلانية.

وعلى العموم، فرغم أن نموذج تيرياكيان يعد نموذجاً هاماً فإنه يحتاج إلى شئ من التوضيح. لكنه يقدم موقفاً مخالفاً للأنماط البنائية الوظيفية التقليدية التى تقدم تفسيرات سطحية خارجية. ويلخص لنا شكل رقم ٦١ إطار العمل النظرى عند تيرياكيان.

شكل رقم ٦١
ملخص اطار العمل النظرى عند تيرياكيان

النشأة :

١- تعلم فى برنستون وهارفارد
٢- مارس التدريس فى الجامعة
٣- إهتم بتحليل الأنساق الاجتماعية

الأغراض:

صياغة نظرية ظاهراتيه عن النظام الاجتماعى لتأكيد التغير الاجتماعى والثقافى المنظم

الافتراضات:

١- الرؤية الظاهراتيه للبناء الاجتماعى
٢- الظواهر الاجتماعية تحمل طابع الصيرورة
٣- بزوغ التنظيمات من أرضية الممكنات
٤- العناصر العلمانية فى مقابل العناصر المقدسة
٥- النظام الاجتماعى تنظيم لا معقول
٦- الثقافة مجموعة من الرموز المتكاملة

المنهج:

تطبيق منهج الظاهراتية على مشكلات التغير الاجتماعى المنظم

النمط:

المثال الظاهراتى للبناء الاجتماعى

القضايا:

- وضوح المفهومات
- عرض الأحداث الاجتماعية الطارئه
- غموض التوازن بين المتناقضات
- غموض عمليات تكوين الابنية الاجتماعية

ملخص لنمط النسق المعيارى فى النزعة البنائية الوظيفية:

نشأ نمط النسق المعيارى فى النزعة البنائية الوظيفية كما عبرت عنه أعمال تيرياكيان وأتزيونى رد فعل إزاء الحاجات التكنولوجية فى المجتمع الصناعى الكبير المعاصر ولمواجهة مشكلة التغير المنظم.

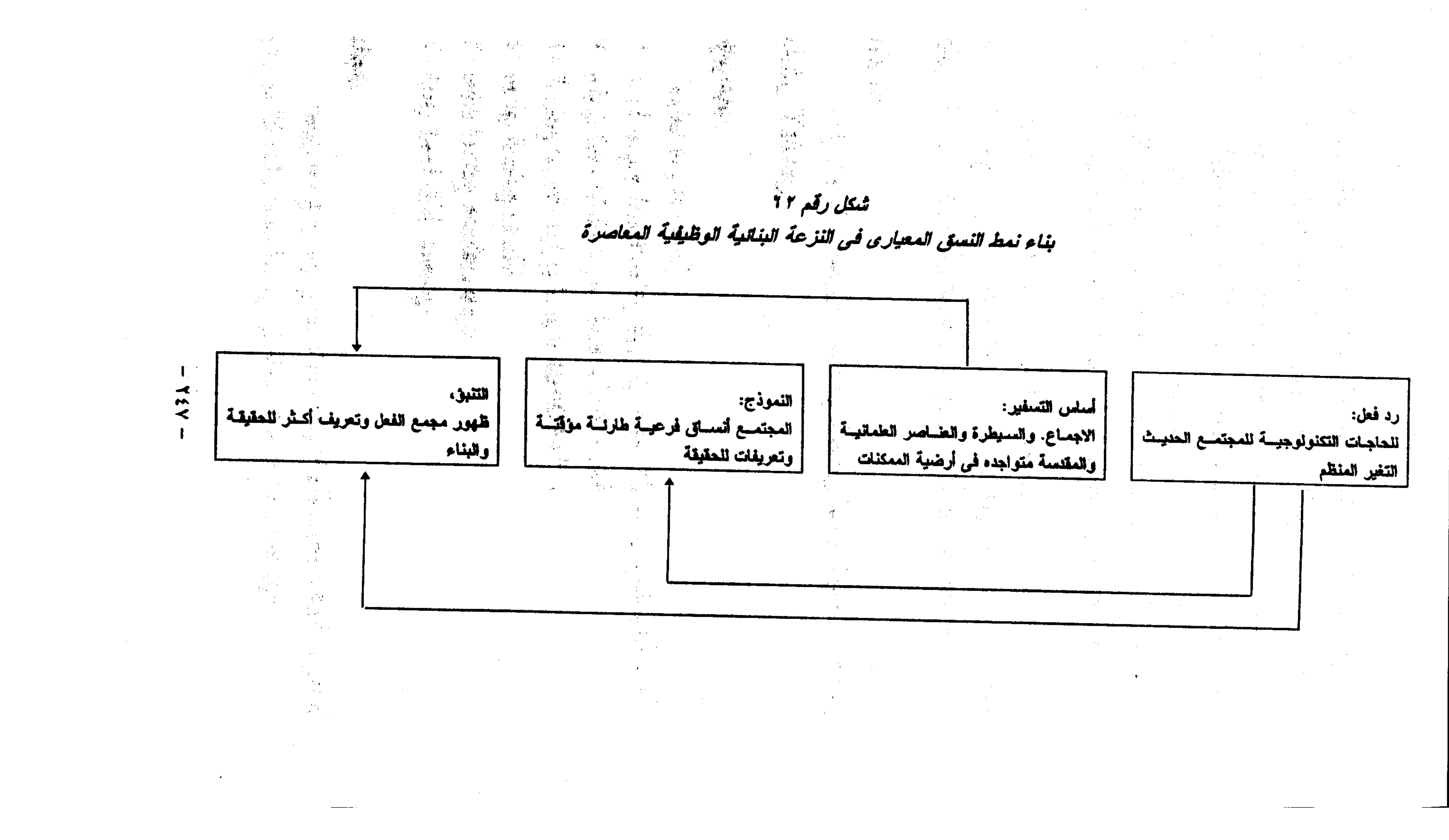
ويتكون هذا النموذج من القضايا الآتية:

١- صياغة نظريات عامة عن التطور الاجتماعى لتفسير التغير الاجتماعى المنظم والتأكيد على مظاهر الإتفاق والضبط وتحقيق التوازن بين العناصر العلمانية والدينية.
٢- تطبيق نماذج من خارج علم الاجتماع لتفسير التطور الاجتماعى.
٣- تقسيم المجتمع إلى أنساق، وتقسيم هذه الأنساق إلى أنساق فرعية.
٤- نمط الوظيفيه عند تيرياكيان كان ظاهراتياً مقابل النمط البنائى المعيارى عند اتزيونى.
٥- افترض كلاهما أن النسق الاجتماعى يحمل خصائص عارضة.
٦- ظهور نمطين لتطور المجتمع.

ومن ثم يؤمن هذا الاتجاه البنائى الوظيفى بأهمية دراسة المجتمع على مستوى الوحدات الكبيرة الحجم، وأن هذا المجتمع عبارة عن نسق يتكون من أجزاء متساندة مترابطة وظيفياً، وأن هذا النسق يتطور وتضبطه عناصر معيارية ويلخص شكل رقم ٦٢ الخصائص الأساسية لهذا النمط فى التفسير البنائى الوظيفى.

ملخص للنظرية البنائية الوظيفية

تعبر النظرية البنائية الوظيفية المعاصرة فى حالة من التواصل والاستمرار للنموذج العضوى القديم فى صورة رد فعل لمفكرين يميلون إلى الاستقرار للحاجات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى المجتمع المعاصر، وقد ظهرت ردود الأفعال هذه إستجابة للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والسياسية التى يعانى منها المجتمع المعاصر فى فترة ما بعد



شكل رقم ٦٢

بناء نمط النسق المعيارى فى النزعة البنائية الوظيفية المعاصرة

الحرب العالمية الثانية وما بعد الكساد العالمى. وتعكس الاهتمامات الفلسفية لهؤلاء المفكرين تأثرهم بالفكر الاوربى فى القرن التاسع عشر، وذلك عندما أكدوا أهمية القوانين الطبيعية والتغير الاجتماعى الذى يهدف إلى تحقيق التقدم والإصلاح الاجتماعى والمماثلة العضوية داخل المجتمع فى سياق نسق القيم التى لا تؤمن بالمثالية والنفعية، ويترتب على هذه العوامل تفسير المجتمع باعتباره نسقاً كلياً ويتكون من أجزاء متساندة وظيفياً ويتطور هذا المجتمع ككل ويتجه إلى تحقيق التوازن ويمثل الحاجات الأساسية للمجتمع أو وظائفها.

وتكشف دراسة أعمال كبار الوظيفيين المعاصرين تأكيدهم على تنظيم حاجات المجتمع، وأن التغير الاجتماعى يحدث ويتحقق على مستوى الوحدة الكبيرة الحجم. وعلاوة على ذلك فثمة عناصر متماثلة بين هذه النماذج:

الأغراض:

محاولة صياغة نظرية عامة عن المجتمع لتفسير أهداف المجتمع والتغير الاجتماعى.

الإفتراضات:

١- المجتمع له وجود مستقل.
٢- يقوم المجتمع أو البناء الاجتماعى على نسق للحاجات الأساسية أو الوظائف الأساسية.
٣- يتكون البناء الاجتماعى من أنساق وأنساق فرعية.
٤- المجتمع فى حالة توازن أو يوجه لتحقيق التوازن.
٥- يتوافق المجتمع مع بيئته.
٦- يمتلك المجتمع خصائص طارئة.
٧- تحقق الثقافة تكامل المجتمع.

المنهج:

تطبيق نماذج من خارج علم الاجتماع أى (المماثلة العضوية والسيبرنطيقا والنزعة الإرادية والمنهج الظاهراتى) لتفسير عمليات تطور المجتمع.

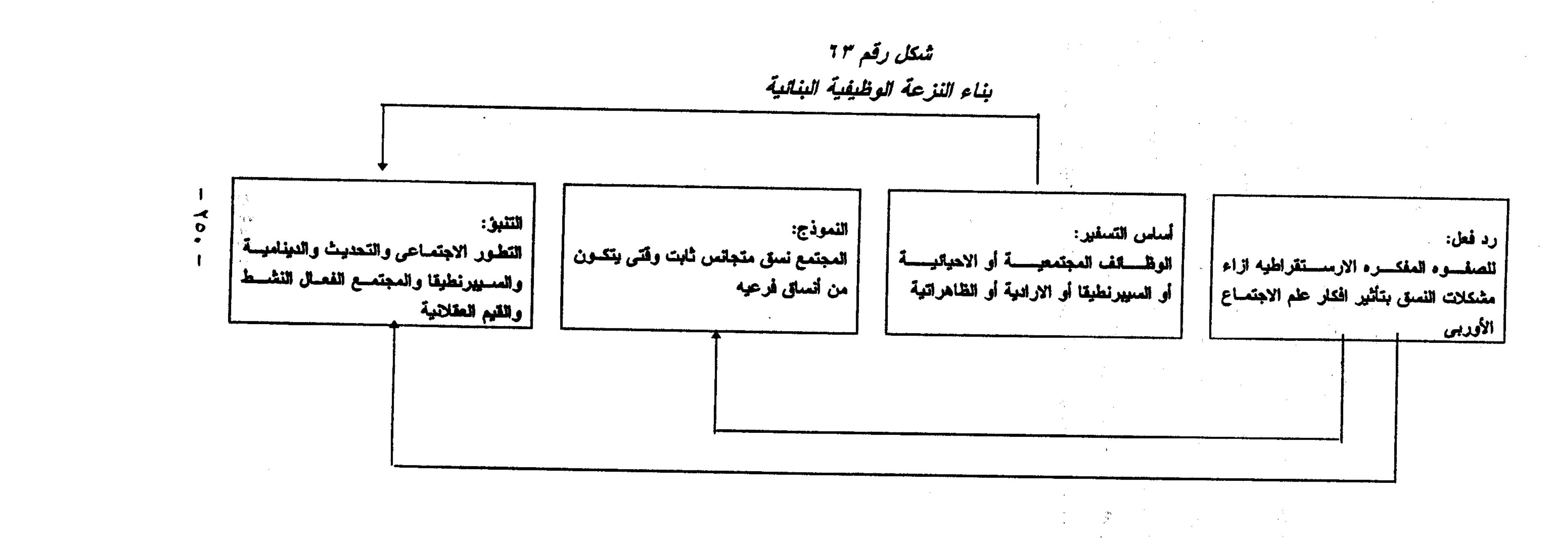
النمط:

نماذج للبناء الاجتماعى ومراحل التطور الاجتماعى:

ونستخلص مما سبق أن النزعة البنائية الوظيفية تمثـل رد فعل شـمولى ومنهجـى يؤمـن بـالتطور وتـوازن حاجـات المجتمـع تكوّن عند مجموعـة مـن المفكرين اصحاب النزعات المحافظة فى بيئة تسودها الثقافة النفعية، وتشير إلى الارتباط الواضـح بيـن النمـوذج العضـوى فـى بدايتـه، ثـم تطـوره عنـد البنائيـة الوظيفية المعاصرة، مما يؤكد استمرارية وتواصل نظرية علم الاجتمـاع خـلال التاريخ، ولكنها تعدل من نفسها وتتغـير وفـق البيئـات الثقافيـة المتغيرة. ورغـم تباين أنواع الوظائف فى النظرية المعاصرة فإن شكل البرهان البنائى الوصفـى لازال فـى جوهره كمـا هـو، ويلخص شـكل رقـم ٦٣ العنـاصر الأساسـية لهذا المدخل.

شكل رقم ٦٣

بناء النزعة الوظيفية البنائية



الفصل الثانى عشر

نظرية الصراع المعاصرة

استمرارية نموذج الصراع

الموضوعات الأساسية:

- نمط النسق المعيارى فى النظرية المعاصرة للصراع دارندورف ورايت ميلز
- نمط التفسير الطبيعى فى النظرية المعاصرة للصراع كوزر وريزمان
- ملخص لنظرية الصراع المعاصرة

إن الأساس الذى قامت عليه النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع الأمريكى، ولو من الناحية الشكلية، تغلب عليه النزعة البنائية الوظيفية، بيد أن نظرية الصراع الأوربية القديمة قد لاقت بعض القبول فى علم الاجتماع الامريكى من خلال رد الفعل للصراع الطبقى المعاصر والآثار السلبية للتصنيع والبيروقراطية. وسنحاول أن نعرض للنظرية المعاصرة فى الصراع كما وضحت فى أعمال دارندورف ورايت ميلز ولويز كوزر ودافيد ريزمان. ويعبر العالمان الأولان عن نمط النسق المعيارى فى نظرية الصراع، بينما يمثل الآخران النمط الطبيعى فى تفسير الصراع ولكن قبل الإفاضة فى الشرح يتعين شرح الأوضاع الاجتماعية والفكرية والسير الشخصية التى أدت إلى ظهور نظرية الصراع المعاصرة.

وتعكس نظرية الصراع المعاصرة مثلها فى ذلك مثل نظرية الصراع القديمة رد فعل مجموعة من المفكرين إطلعوا على قضايا علم الاجتماع الأوربى وتأثروا بالأوضاع التى يمر بها مجتمعهم، وتتضمن هذه الأوضاع فى المجتمع الامريكى تزايد مظاهر الصراع الاجتماعى والصراع بسبب اللون بين البيض والسود، والآثار السلبية التى ترتبت على البيروقراطية والتصنيع، وتطبيق الاتجاهات التى تنادى بالإصلاح على المشكلات المعاصرة التى نجمت عن التصنيع وزيادة معدل التحضر، والنزعة الفلسفية وراء النظرية الحديثة فى الصراع تمثل تطبيق مثالية القرن التاسع عشر، وأفكار النزعات التقدمية لحل مشكلات المجتمع الحديثة والإستفادة من الأفكار الماركسية الجديدة لتفسير الصراع الاجتماعى الحديث باعتباره ظاهرة معقدة والتأثير المباشر للفكر الأوربى على نظرية الطبقات الحديثة كما هو الحال مع دارندورف، ومن ثم فالنظرية الحديثة فى دراسة الصراع تمثل تطبيق النموذج التقليدى فى الصراع من قبل بعض الصفوة المفكرة الملمة بالفكر الأوربى لتفسير مشكلات المجتمع المعاصر.

ويرى هذا المدخل الجديد فى تفسير الأحداث التى طرأت على المجتمع الأمريكى المعاصر، أن المجتمع باعتباره نسقاً كلياً يتكون من أجزاء تبادل التأثير فيما بينها. وأن هذا النسق يتطور باستمرار، ويضم مجموعة من الجماعات التى

تتنافس على الموارد الطبيعية التى تسيطر عليها جماعة الصفوة المهيمنة على مصادر الثروة. وتحدد مجموعة من الأوضاع الاجتماعية والسكانية المختلفة فترة دوام هذا الصراع وشكله ومدى قوته، كما يعكس ويعبر البناء الاجتماعى عن نمط السيطرة السائدة فى المجتمع فى فترة معينة من تطوره، ومن ثم يحدد المجتمع طبيعة وشكل التنافس الرئيسى على الموارد، مما يؤدى إلى شكل خاص من أشكال القهر أو الهيمنة، وبعبارة أخرى كما تبين النظرية الماركسية، فإن البناء الفوقى أو البناء الاجتماعى، يعبر عن بناء فرعى أو شكل خاص من أشكال الهيمنة الاقتصادية (البناء يمثل السيطرة)، وتطبق النظرية المعاصرة فى الصراع هذا النموذج على المجتمع الحديث، وفى البداية يتعين تحديد الأوضاع الاجتماعية التى تحدد الصراع والبناء التنظيمى للسيطرة وآثار الصراع وما يترتب على نشوب الصراع من أثار على المستوى الاجتماعى والمستوى النفسى. ومن ثم يمكن وصف النظرية المعاصرة فى الصراع بأنها تحمل فى مضمونها تأثيرات الفكر الماركسى الجديد، أما من حيث الشكل، فتهتم بدراسة المجتمع ككل أى كنسق كلى، ومن ثم تبدو النظرية المعاصرة فى الصراع فى صورة تماثل البنائية الوظيفية ولو من حيث الشكل، وإن اختلفت عنها إختلافاً جذرياً فى المضمون الايديولوجى.

ويمكن أن نصنف النظرية المعاصرة فى الصراع إلى إتجاهين أساسيين كبيرين، أولهما الأتجاه الذى يفسر المجتمع باعتباره نسقاً معيارياً يتقصى ويؤمن بالعوامل الاجتماعية التى تفجر الصراع، ومن أنصار هذا الإتجاه دارندورف ورايت ميلز، والاتجاه الآخر هو الاتجاه الطبيعى فى تفسير الصراع ويهتم بالاسباب اللا اجتماعية والسكانية الكامنة وراء تفجير الصراع. ويعتبر كوزر الذى تأثر بفكر زيمل والمماثلة العضوية وريزمان الذى أكد على العوامل السكانية أهم من شرح التفسيرات الطبيعية للصراع فى المجتمع الأمريكى، وهنا يتعين أن نؤكد أن هذا التصنيف هو تصنيف شكلى. يقوم على مدى التباين فى اهتمام كل منهما بالعناصر الاجتماعية، إذ لا يوجد عند كليهما النزعات الطبيعية الصرفه فى تفسير الصراع، والفرق بينهما يتعلق بنوع العوامل التى أكد عليها كل منهما باعتبارها العوامل الأساسية فى فهم الصراع الاجتماعى.

وبإيجاز تمثل النظرية المعاصرة فى الصراع موقف مجموعة من المفكرين الامريكان تأثروا بالنظرية الاوربية فى الصراع، وكان هذا الموقف رد فعل لإحساسهم بمشكلات السيطرة والصراع فى المجتمع الامريكى المعاصر من منظور مثالية القرن التاسع عشر والنزعات التقدمية.

نمط النسق المعيارى للنظرية المعاصرة فى الصراع:

حدد كل من دارندورف وميلز الأسباب الاجتماعية وطبيعة البناء الذى يتفجر داخله الصراع داخل المجتمع الصناعى الحديث، وإهتم دارندورف بالأوضاع الخاصة وراء تفجير الصراع الطبقى، بينما إشتهر رايت ميلز بتحليل صورة طبقة الصفوة الأمريكية التى تمسك بزمام القوة والسلطة وطبقة أصحاب الياقات البيضاء. وكلاهما مثالان مفيدان لمنظرى دراسة الصراع المعاصر.

رالف دارندورف ١٩٢٩

النشأة:

تلقى دارندروف دروسه الشخصية فى جامعة هامبورج وحصل على درجة الدكتوراه مرتين. المرة الأولى فى عام ١٩٥٢ والمرة الأخرى فى عام ١٩٥٦ من جامعة لندن. وخلال عمله الاكاديمى، شغل وظيفة استاذ كرسى علم الاجتماع فى عدد من الجامعات الالمانية كما عمل فى مدرسة الاقتصاد العليا بجامعة لندن من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤، وجامعة ستانفورد من ١٩٥٧ - ١٩٥٨، وأهم أعماله المنشورة بالانجليزية «الطبقة والصراع الطبقى فى المجتمع الصناعى» عام ١٩٥٩ وعكس هذا العمل إتصاله بدافيد لوكوود وبندكس وسيمور ليبست.

الأهداف:

إهتم دارندورف فى كتابه الهام «الطبقة والصراع الطبقى فى المجتمع الصناعى» بحقيقة مؤداها أن الأبنية الاجتماعية قادرة على أن تنتج من نفسها العناصر التى تدمرها أو العناصر التى تغيرها، وتبعاً لذلك حاول تحديد

الجماعات والعمليات التى تدخل فى إحداث هذه الظاهرة تحديداً نظرياً، وتحليلها تجريبياً، وقد حاول دارندورف أن يصيغ نظرية عامة عن الصراع الاجتماعى والتغير الاجتماعى مستفيداً من نظرية القهر.

الإفتراضات:

١- إستند مدخل دارندورف على نظرية القهر فى المجتمع، والتى تفترض التغير الاجتماعى الشامل والصراع الاجتماعى والقهر ومساهمة كل عنصر فى المجتمع على تفكك هذا المجتمع وتغييره، ويعتبر هذا الافتراض افتراضاً أساسياً فى نموذج الصراع داخل المجتمع.

٢- بعد ما قبل دارندورف هذا النموذج عن حقيقة المجتمع تقدم خطوة إلى الأمام، وافترض أن الجماعات تتوافق توافقاً قهرياً لا يمكن تجنبه (أى أن اعضاء الروابط يخضعون لعلاقات السلطة) وإن ثمة وضعين ينظمان هذه الروابط هما الهيمنة والخضوع.

٣- يوجد داخل كل تكتل فى المجتمع مصالح كامنة مشتركة (أى الإتجاهات اللا شعورية الكامنة فى أوضاع اجتماعية خاصة) والتى تعد الأساس الذى يقوم عليه تكتلات تكون جماعات غير منظمة يتقاسم أفرادها مصالح كامنة مشتركة.

٤- وقد تتحول هذه المصالح الكامنة إلى مصالح واضحة محددة (إتجاهات واعية تعارض مصالح الجماعات الأخرى) وتتحول الجماعات غير المنظمة إلى طبقات اجتماعية (جماعات تشترك فى المصالح الكامنة أو الواضحة وترتبط ببناء السلطة التى تحكم الجماعة المتوافقة قهرياً).

٥- يعتمد وضوح المصالح وتحديدها على وجود عدد من العوامل الخاصة أو ظروف التنظيم: الظروف التقنية (مجموعة الموظفين وعقود العمل) والأوضاع السياسية (حرية تكوين اتحادات) والأوضاع الاجتماعية (الإتصال والتعبئة) والأوضاع النفسية (التوحد بمصالح الدور).

٦- وعندما تتواجد هذه الظروف فإن شدة الصراع الطبقى تعتمد على مدى وجود هذه الأوضاع، ومدى السيطرة على الجماعات والصراعات الطبقية، ومدى توزيع السلطة والمكافآت، ومدى انفتاح النسق الطبقى.

٧- يعتمد عنف الصراع الطبقى على مدى تواجد الاوضاع السابقة، ومدى تحول الحرمان المطلق الذى يعم المجتمع كله ولا يشعرون به إلى حرمان نسبى، ومدى تنظيم الصراع تنظيماً فعالاً.

وبإيجاز فقد قبل دارندورف تفسير المجتمع استناداً إلى نظرية القهر، ورأى أن الجماعات الفرعية تتناسق تناسقاً قهرياً، كما تقيمها وتشيدها المصالح الكامنة الأساسية، وتظهر هذه المصالح الفرعية فى صورة واضحة ظاهرة فى ظروف معينة، فينشأ الصراع الطبقى. ويرى دارندورف أن المجتمع مجموعة من الجماعات المتوافقة قهرياً، والتى تتنازع فيما بينها فى الوقت نفسه، وتقوم هذه الجماعات على المصالح الأساسية والأوضاع الإجتماعية البيئية. وهكذا فالمجتمع منبع التغير، ومصدر الديناميكية المستمرة. ويرى بعض شراح النظرية الاجتماعية أن مدخل دارندورف يحاول أن يوفق ويركب بين آراء ماركس وفيبر فى محاولة منه لدراسة الصراع والتغير الاجتماعى فى المجتمع الصناعى الحديث.

المنهج:

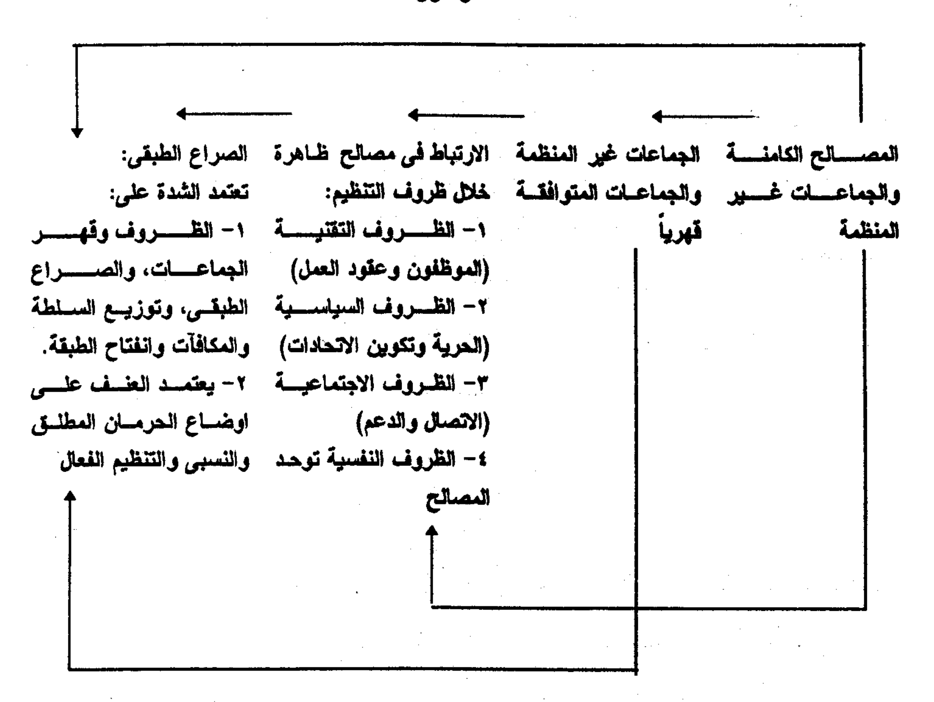
بدأ دارندورف دراسته بتحليل نظرية الطبقة عند ماركس ونقدها، وحاول أن يدرس مشكلات الطبقة بتفسير الصراع الصناعى والسياسى داخل المجتمع الصناعى الحديث. وعندما صاغ لنا نظريته الخاصة فى الصراع الطبقى إستخدم أيضاً مفهومات فيبر عن السلطة والروابط المتوافقة توافقاً قهرياً، ومن ثم يمكن أن ننظر إلى منهج دارندورف باعتباره تطبيقاً وتفسيراً وتطويراً لأراء فيبر وماركس فى الصراع الطبقى داخل المجتمع الصناعى الحديث، ومن ثم تتميز نظرية دارندورف بأنها نمط لتطبيق الأراء العامة عند ماركس وفيبر عند تحليل موقف محدد.

النمط:

يكمن نمط دارندورف داخل نظريته عن الصراع الاجتماعى والصراع الطبقى، ويحدد هذا النموذج عدداً من العناصر الأساسية داخل منظور القهر وبناء الطبقة والمصالح الأساسية والأوضاع التى تحدد اشكال الصراع الطبقى ومستوى شدته وعنفه. ويلخص لنا شكل رقم ٦٤ نموذج الصراع فى المجتمع والتغير الاجتماعى عند دارندورف.

شكل رقم ٦٤

نمط دارندورف



الخاتمة:

وترتب على تأثر دارندورف بنظرية القهر قيامه بمحاولة لتفسير مشكلة الصراع فى المجتمع الصناعى الحديث، وبالتركيب بين فكر كارل ماركس وأراء ماكس فيبر لتفسير ظهور الصراع الطبقى، ولقد نظر إلى المجتمع باعتباره مجموعة من الروابط والجماعات المتنافسة والتى تستند على ضبط

ملزم، وتنظمها مجموعة من المصالح الكامنة المتعارضة، ولذا شرح ارتباط هذه المصالح بالصراع الاجتماعى فى إطار أوضاع معينة من التنظيم والشدة والعنف، تلك الأوضاع التى تعتمد كلية على الموقف، ويرى المفسرون أن مدخل دارندورف ينظر إلى الصراع باعتباره نسقاً ديناميكياً يتكون من أجزاء مترابطة، ونظر إلى أساس الصراع الطبقى وتطور هذا الصراع من منظور نظرية القهر.

ولقد قدم لنا دارندورف نظرية هامة عن الصراع داخل المجتمع والصراع الطبقى. ولكن ثمة تساؤلات كثيرة تطرح حول هذه النظرية أهمها:

١- يبدو أن تعريفه للمفهومات الأساسية التى تربط بين الطبقة والصراع كانت غير واضحة.

٢- أثارت محاولة دارندورف التركيب بين أراء ماركس وفيبر وإقامة رابطة أساسية بين نظرية الصراع والنظرية السلوكية الاجتماعية سؤالاً هاماً مؤداه: إلى أى مدى يتعارض فكر هذين المفكرين فى الواقع، وإلى أى مدى يمكن التوفيق بينهما؟

٣- تحاول نظرية دارندورف تفسير ظهور وكمون الصراع الطبقى، وهى محاولة جادة لتفسير فكر ماركس الذى يحاول دراسة الصراع فى ضوء المتغيرات المعقدة فى المجتمع الصناعى.

٤- أخيراً فقد أقر دارندورف نفسه بأنه نظريته مؤقتة وغير كاملة، وتحتاج إلى مزيد من التطبيق والتطوير.

وعلى العموم يعد دارندورف واحداً من أشهر علماء الاجتماع المعاصرين فى دراسة الصراع الاجتماعى. ويلخص لنا شكل رقم ٦٥ إطار العمل النظرى عند دارندورف.

شكل رقم ٦٥
ملخص اطار العمل النظرى عند دارندروف

النشأة :

١- تعلم فى جامعة هامبورج وجامعة لندن
٢- مارس التدريس الجامعى على نطاق دولى
٣- إهتم بالتحليل الطبقى

الأهداف:

صياغة نظرية عامة عن الصراع الطبقى والتغير الاجتماعى

الافتراضات:

١- نظرية القهر فى المجتمع
٢- الجماعات تتوافق قهرياً
٣- تملك كل جماعة مصالح عامة كامنة
٤- يمكن أن تتحول المصالح الكامنة إلى مصالح محددة ظاهرة فى ظروف معينة
٥- يعتمد التحول على أوضاع التنظيم
٦- يعتمد عنف وشدة الصراع الطبقى الناتج على أوضاع اجتماعية جديدة

المنهج:

تطبيق اراء ماركس وفيبر فى الصراع الطبقى على المجتمع الصناعى

النمط:

نموذج الطبقات والصراع الطبقى

القضايا:

- وضوح المفهومات
- التوفيق بين ماركس وفيبر
- نظرية الكمون والظهور
- النظرية مؤقتة وغير كاملة

رايت ميلز ١٩١٦-١٩٦٢(*)

النشأة:

نال ميلز درجة الدكتوراه ١٩٤١، من جامعة ويسكنسن، وإشترك في العمل مع جيرث – عالم الاجتماع الالماني – وهوارد بيكر، وترجم الكثير من أعمال ماكس فيبر الأساسية من الألمانية إلى الإنجليزية في عام ١٩٤٦، ومنذ عام ١٩٤٦ شغل وظيفة أستاذ علم الاجتماع بجامعة كولومبيا، وتعمق رايت ميلز في دراسة علم الاجتماع الأوربي، حتى أنه تملك القدرة على فهمه فهماً جيداً. وقد إهتم رايت ميلز بدراسة الصراع والإتجاه الراديكالي. وقد نال ميلز شهره واسعة ترجع إلى تحليله النقدي للمجتمع الأمريكي الرأسمالي. وكانت أهم أعماله كتاب «أصحاب الياقات البيضاء» وصدر عام ١٩٥١ وكتاب «الصفوة ذات السلطة» صدر عام ١٩٥٦ وكتاب «المخيلة الاجتماعية»(**) وصدر عام ١٩٥٩.

الأهداف:

إهتم رايت ميلز إهتماماً أساسياً بتطور ما أسماه «المخيلة الاجتماعية» ويعني به فهم الحدث التاريخي الشامل، كما يتجلى معناه في الحياه الداخلية عند مجموعة متباينة من الأفراد، وفي سيرهم ومهنهم الخارجية. وتتضمن مناهج هذا النمط من الفهم المساهمة في القضايا العامة والوعي الأكبر بالعلاقة بين التاريخ والسيرة الشخصية والوعي بفكرة البناء الاجتماعي والفهم المنظم للناس والمجتمعات.

وعلاوة على ذلك يطرح هذا النمط ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: ما بناء المجتمع الخاص في صورته الكلية؟

السؤال الثاني: أين يقع مكان هذا المجتمع من المجتمع الإنساني؟

(*) كتب الأستاذ الدكتور عبد الباسط حسن مقالاً طيباً عن تشارلز رايت ميلز وفلسفة البحث في علم الاجتماع في مجلة عالم الفكر، الكويت – العدد الثاني – المجلد السادس سبتمبر ١٩٧٥.

(**) قام الاستاذ الدكتور احمد ابو زيد بترجمة المصطلح Sociological imagination إلى المخيلة الاجتماعية بدلاً من المصطلح «الخيال السوسيولوجي» ونحن نأخذ بهذه الترجمة لدقتها.

السؤال الثالث: ما تشكيلات الرجال والنساء السائدة الآن فى ذلك المجتمع، وفى تلك الفترة؟

وأخيراً فقد أعطى هذا المدخل اهتماماً أكبر للفهم المقارن للأبنية الاجتماعية التى ظهرت وتوجد الآن، وتحتل مكانها الآن فى تاريخ العالم، وقد حاول ميلز أن يستعمل هذا المنظور لفهم القوة والتدرج الطبقى فى المجتمع الأمريكى فهماً اجتماعياً علمياً من أجل أن يفهم ماذا يحدث فى العالم، ويمكن أن يقال أن اهتماماته كانت عملية ونظرية.

الافتراضات:

صاغ لنا ميلز عدداً من الافتراضات التى تتعلق بطبيعة الحقيقة الاجتماعية والتأثيرات الاجتماعية للرأسمالية الصناعية.

١- يرى ميلز أن الحقيقة الاجتماعية تعبر عن ارتباط كل من السيرة الشخصية والتاريخ وارتباطاتهما داخل الأبنية الاجتماعية، وينبغى فهم هذه الحقيقة على المستوى الكبير والمستوى الصغير، فالحقيقة الاجتماعية هى خلاصة التجربة اليومية للأفراد، والتى ينبغى أن يبحث عنها المجتمع الحديث.

٢- قبل ميلز رأى فيبر بأن التصنيع يؤدى إلى تزايد العقلانية الاجتماعية، بيد أن التأثيرات السلبية لهذه العقلانية أكثر من التأثيرات الايجابية.

٣- وثمة تأثير كبير للعقلانية يبدو فى تزايد المركزية وحكم الصفوة، وقد وصف ميلز فى كتابه «الصفوة ذات السلطة» تلك الصفوة باعتبارها تتكون من الأشخاص الذين يحتلون قمة الشريحة العليا فى الشركات الرأسمالية والنظام السياسى والمؤسسة العسكرية. ويمتلك اعضاء تلك الصفوة خصائص محددة متماثلة: أولها الأصل الاجتماعى المتماثل، وتبادل الادوار فيما بينهما، والقدرة على العمل فى سرية. والانتماء إلى مكانة اجتماعية عليا، والثقة بالنفس، وإنكار سلطتهم، وهدم وإعادة بناء المؤسسات الأقل شأناً، والتى يتزايد إعتمادهم عليها واعتمادها عليهم. وعلاوة على ذلك يفترض أن المجتمع الذى يخضع

لسيطرتهم يأخذ شكلاً خاصاً (أ) الصفوة (ب) توابع للصفوة تمارس سلطة محدودة (حالة منظمة لمحلك سر) (ج) مجتمع الجماهير على مستوى قاع المجتمع، ويمثل سوقاً تتحكم فيه وسائل الإعلام تحكماً دقيقاً أكثر تنظيماً. ومن ثم فعواقب زيادة العقلانية ظهور مستويات عالية للطبقة الوسطى من مركزية التنظيم وسيطرة الصفوة أى هيمنة المؤسسات.

٤- تؤثر العقلانية على البناء المهنى المأجور، فالمنظمون يتضاءل عددهم، وتنهار المؤسسات المهنية الفردية إنهياراً سريعاً، وتتزايد النسبة المئوية للموظفين الذين يعتمدون على الغير، وهذا بدوره يؤدى إلى انحسار الدور المهنى وظهور فكرة الرجل صغير الشأن داخل العقل الأمريكى، وفى هذه الحالة تطبق السيطرة المتزايدة على كل مستويات البناء الاجتماعى.

٥- وتتمثل عواقب هذه العمليات على مستوى الأفراد فى تضاؤل الحرية وتزايد الإغتراب حيث تتعرض الطبقة الوسطى خاصة للقلق وتشعر بالإغتراب عن العمل والإغتراب عن الذات والحرمان من عقلانية الفرد، والبلادة السياسية، وهكذا تؤدى العقلانية إلى التحكم فى نفسيات الأفراد إلى جانب سيطرة المؤسسات على هؤلاء الأفراد، ومايترتب على ذلك من تضاؤل الحرية على كل مستويات المجتمع.

ويمكن أن نلخص أهم إفتراضات ميلز على النحو الآتى: رأى ميلز أن الرأسمالية الصناعية تقود إلى العقلانية الاجتماعية المتزايدة، وأن ثمة آثاراً كبرى لهذه العقلانية الاجتماعية المتزايدة ، وأن ثمة آثاراً كبرى لهذه العقلانية تنعكس على المجتمع، وهذه الآثار هى:

على مستويات المؤسسات التنظيمية يتزايد حكم الصفوة والمركزية، أما على المستوى المهنى فيتضاءل عدد المنظمين، ويتزايد الإعتماد على عدد الموظفين المأجورين، أما على المستوى الفردى فتتضاءل الحرية ويتزايد الشعور بالإغتراب، ومن ثم فالهيمنة الرأسمالية تؤثر على كل أجزاء النسق الاجتماعى.

المنهج:

رأى رايت ميلز أن أساليب الحرفى القديم هى أساس المخيلة الاجتماعية، وهذا يتضمن مستوى عال من الوعى التاريخى والمرونة ووضوح التصورات، وتلازم المنهجين الاستقرائى والاستدلالى فى وقت واحد، والتوفيق بين النظرية والبحث التجريبى ، ومحاولة الفهم المقارن للبناء الاجتماعى والتركيز على التجارب الفردية باعتبارها انعكاساً لخصائص المجتمع، وبإيجاز يتضمن هذا الاسلوب محاولة إنسانية مرنة وخلاقة لفهم التاريخ والسيرة الشخصية والعلاقات بينهما داخل المجتمع، ولا ترتبط هذه المحاولة بوقت أو ضغوط التجريبية أو مستويات التحليل، وأعمال ميلز هى «دراسة حالات» عند تطبيق هذا المنهج، إذ استخدم معلومات تاريخية وبيانات تجريبية متنوعة وكثيرة لاعطاء صورة اجتماعية علمية كاملة وواضحة عن الصفوة القوية والطبقة الوسطى فى امريكا.

النمط:

صور لنا ميلز نمطين من المجتمعات:

النمط الأول: الابنية الرأسمالية وتقوم على الاقتصاد الصناعى وتنظمها مستوى عال من العقلانية وتتزايد فيه المركزية وحكم الصفوة وظهور بناء مهنى يعمل فيه مستخدمون مأجورون، وإنتشار الإغتراب، ويقل فى هذا المجتمع الاستمتاع بالحرية الفردية ويختفى منه المنظمون اصحاب المشروعات الفردية.

النمط الآخر: المجتمع اللارأسمالى، أو المجتمع اللاصناعى، وتختفى من هذا المجتمع خصائص المجتمع الرأسمالى ولا يقوم هذا المجتمع على الاقتصاد الصناعى، ويقل فيه التفكير العقلانى، وتضعف فيه السلطة المركزية، وتتضاءل فيه قوة الصفوة الحاكمة، ولا يعتمد النظام المهنى على الموظفين المأجورين بقدر ما يعتمد على المنظمين والمهنى الحر، وتتزايد فيه الحريات الشخصية وتقل فيه مظاهر الإغتراب.

ويعد هذا النمط إستعاده وإحياء لأراء المنظرين الرواد مثل ماركس وفيبر وسبنسر وتونيز ودور كيم ويعتبر مثالا هاماً للتأثيرات الرأسمالية المعاصرة على علم الاجتماع ويلخص شكل٦٦ هذا النمط.

شكل رقم ٦٦

نمط المجتمع عند ميلز

نمط المجتمع	المجتمع اللا رأسمالي	المجتمع الرأسمالي
الأبعاد		
الاقتصاد	اللاصناعي	صناعي
التنظيم	تدني المستوى العقلاني	تزايد العقلانية
المركزية	ضعف المركزية	تزايد المركزية
الصفوة	ضعيفة	قوة الصفوة
البناء المهني	الفرد المنظم	الموظف المأجور
الحرية	تزايد الحرية	تتضاءل فيه الحرية
الاغتراب	ضعيف	تزايد الاغتراب

الخاتمة:

لقد إستفاد رايت ميلز من الأفكار التى أبدعها كل من ماركس وفيبر، ووضع تحليلاً لطبيعة نظام القهر فى المجتمع الأمريكى الرأسمالى الحديث، الذى برزت فيه آثار العقلانية المتزايدة - وهى النتيجة الكبرى للصناعة - مما أدى إلى تزايد الادارة المركزية وحكم الصفوة وادوار الموظفين المأجورين، والضبط وإغتراب الفرد ولذا قدم لنا ميلز وصفاً لطبيعة الصراع فى المجتمع الأمريكى، إستفاد فيه من كتابات ماركس وفيبر.

وتثير هذه النظرية تساؤلات كثيرة أهمها:

١- إلى أى مدى تعد هذه البيانات بيانات تعبيرية لا منهجية ووصفية وتؤدى إلى نتائج سهله.

٢- قد يـرى البعض أن نظريـة ميلز تعكس ايديولوجيتـه الشخصية بدلاً من كونها اسقاطات علم اجتماع موضوعى.

٣- أشار ميلز إلـى النتـائج السلبية الشـاملة للعقلانيـة مستبعداً كـل وظائفهـا الإيجابية.

٤- يرى البعض أن منهجه أقرب إلى المنطق اللا صورى وأبعد ما يكون عن المنهج العلمى.

ورغم هذه الانتقادات فإن إسهام رايت ميلز فى إثراء النظرية المعاصرة فى الصراع واضح لاينكر، مما جعل منه منظراً عظيماً، ساهم فى توجيه علم الاجتماع إلى الإهتمام بموضوع اجتماعى خطير. ويلخص لنا شكل رقم ٦٧ إطار العمل النظرى عند رايت ميلز.

شكل رقم ٦٧

ملخص اطار العمل النظرى عند ميلز

النشأة :

١- تعلم فى جامعة ويسكنسن

٢- كان ملماً بإعمال فيبر

٣- كان أستاذاً اكاديمياً متطرفاً فى ارائه

الأغراض:

تطبيق المخيلة الاجتماعية لفهم البناء الاجتماعى

الافتراضات:

١- الحقيقة الاجتماعية ارتباط بين السيرة الشخصية والتاريخ

٢- يؤدى التصنيع إلى زيادة العقلانية

٣- تزيد العقلانية من المركزية والصفوة

٤- تزيد العقلانية من النسبة المئوية للموظفين المأجورين

٥- تقلل العقلانية من الحرية وتزيد من الإغتراب

المنهـج:

تطبيق منهج الحرفى القديم

النمـط:

نمط البناء الاجتماعى

القضايا:

١- نتائج مبسطة

٢- مشكلة الموضوعية

٣- الإتجاه السلبى

٤- المناهج اللا صورية

ملخص لنمط النسق المعيارى فى النظرية المعاصرة للصراع

يبدو أن ثمة خصائص مشتركة تجمع بين رايت ميلز ودارندورف أهمها:

١- تأثر كل منهما بعلم الاجتماع الأوربى وخاصة أعمال ماركس وفيبر.

٢- إهتم كل منهما بفهم الصراع والهيمنة داخل المجتمع الصناعى الحديث.

٣- يؤيد كل منهما نظرية القهر.

٤- يرى كل منهما السلطة والهيمنة بعدين أساسيين فى البناء الاجتماعى.

٥- استفاد كل منهما من الإستقراء التاريخى.

٦- حاول كل منهما التوفيق بين أراء ماركس وفيبر لتحليل الصراع والهيمنة.

٧- حدد كل منهما أنماط الابنية الاجتماعية.

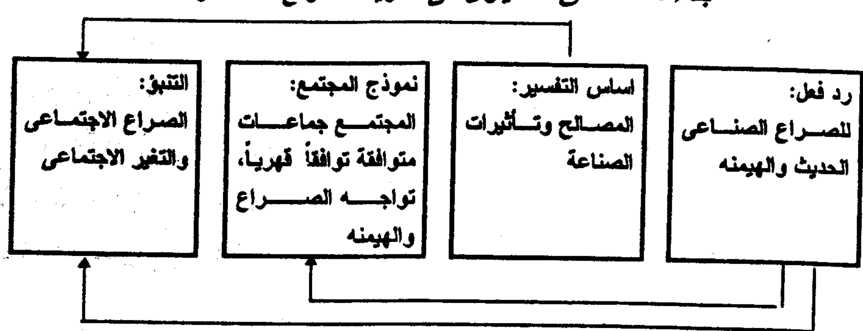
ولذا إهتم هذا الاتجاه فى نظرية الصراع المعاصر بالأوضاع الاجتماعية التى تؤدى إلى تفجير الصراع والخصائص الاجتماعية للهيمنة فى أطوار مختلفة من التطور، ويمثل هذا المدخل محاولة أساسية تسعى إلى وضع تحليل ديناميكى للصراع والهيمنة فى المجتمع المعاصر وفق تعاليم الفكر الأوربى. ويلخص لنا شكل رقم ٦٨ الصور الأساسية لهذا النمط فى التفسير.

الاتجاه الطبيعى فى النظرية المعاصرة للصراع

علينا الآن أن ندرس شكل ونمط نظرية الصراع الذى وضعه لويز كوزر وريزمان. ولقد إهتم كوزر بوظائف الصراع التى تؤدى إلى توافق أكثر، وقد إستند كوزر على بعض القضايا الأساسية التى عالجها زيمل، ومن هذه الناحية يمكن أن ينظر إلى مدخل كوزر باعتباره مدخلاً طبيعياً بقدر ما يعتمد هذا المدخل على المماثلة العضوية عند زيمل، كما يمكن أن يصنف ريزمان باعتباره من أصحاب النزعة الطبيعية لتفسيره الصراع الاجتماعى والهيمنة والتغير باعتبارها كلها وظائف للعوامل السكانية المتغيرة، وخاصة اتجاهات تكاثر السكان. وكان استخدام كل منهما التفسير الطبيعى للصراع أقل من استخدام النظرية التقليدية لهذا التفسير الطبيعى.

شكل رقم ٦٨

بناء نمط النسق المعيارى فى نظرية الصراع المعاصرة



لويز كوزر ١٩١٣

النشأة:

ولد كوزر فى المانيا، نال درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا فى عام ١٩٥٤، وشغل وظائف اكاديمية بارزة، وشغل فى السبعينيات وظيفة استاذ علم الاجتماع فى جامعة نيويورك، وكان لويز كوزر من تلاميذ روبرت ميرتون. وأهتم بنظرية علم الاجتماع وعلم اجتماع المعرفه وعلم اجتماع العلم، وأهم أعماله وظائف الصراع الاجتماعى وصدر عام ١٩٥٦، والاستمرارية فى دراسة الصراع الاجتماعى ونشر عام ١٩٦٧ ثم رواد الفكر الاجتماعى العلمى وصدر عام ١٩٧١.

الأهداف:

كان الهدف الأساسى عند كوزر صياغة منهج صورى واضح يتلائم مع المعلومات التى تتعلق بالصراع الاجتماعى، ويركز على وظائف الصراع الاجتماعى بدلاً من الوظائف السلبية للصراع، أى بدلاً من الأحباط الوظيفى للصراع، وتؤدى الوظائف الايجابية للصراع إلى تزايد التكيف أو توافق مجموعة من العلاقات الاجتماعية الخاصة بدلاً من التفكك أو الانحلال، وهكذا فالصراع عند كوزر يعنى النضال فى سبيل قيم معينة والصراع على مراكز ومكانات محددة فى سبيل بلوغ السلطة، والاستيلاء على موارد نادرة، وتكمن أهداف المتنازعين فى تحقيق التعادل والتوازن بين المتنافسين أو الإضرار بهم أو القضاء عليهم.

الافتراضات:

١- يؤكد الفرض الأساسى عند كوزر أن الصراع يمكن أن يزيد من التوافق والتكيف والإحتفاظ بالحدود بين الجماعات ولا يؤدى إلى التفكك أو الانحلال الاجتماعى، أى أن الصراع يؤدى وظيفة ايجابية، كما يؤدى إلى الاحباط الوظيفى، ومن ثم استطرد إلى تعريف مصدر الصراع والمواقف الطارئة للصراع ووظائفه الممكنة.

٢- يتفجر الصراع حسب رأى كوزر عندما يتزايد عدد المطالبين على عدد الفرص المتاحة المجزية، ومن ثم يتحدد نمط البناء الاجتماعى الذى يتفجر فيه الصراع وأنماط نتائج هذا الصراع، ويؤثر النمط الاجتماعى والاقتصادى على وظائف الصراع داخل المجتمع الكبير.

٣- تختلف أنماط الحراك الاجتماعى من بناء اجتماعى لآخر، كما يختلف وجود الأنظمة التى تسمح بالتعبير لأعضاء المعارضة (ديموقراطية حرية التعبير) وتنظيم الصراع أو مدى تقبله أو مقاومته، ودرجة ترابط الجماعات فيما بينها، ومستوى المشاركة بين الجماعات فى إتخاذ القرارات، ومدة الصراع، وهكذا فكلما إنغلق النسق الطبقى على ذاته قلت النظم التى تسمح بالتعبير والتنفيس عن الغضب، وقلت فرص التنظيم ومدى تقبل الصراع، وكلما تزايد ترابط الجماعات تزايدت المشاركة بين الجماعات، وكلما طال نضال الجماعة إزدادت شدة الصراع الاجتماعى وإتخذ الصراع مظهر التخريب والتدمير.

٤- وتعد أنماط القضايا التى يثار حولها الصراع عاملاً أساسياً فى تحديد الآثار التى تترتب على الصراع. فالقضايا التى تهتم بالشرعية الاجتماعية وتتضمن تباين الأراء بشأن الإفتراضات الأساسية تميل إلى تصعيد الصراع على أعلى مستوى. وعلاوة على ذلك، فالقضايا موضوع الصراع قد تكون واقعية (إحباط عدد من المطالب الخاصة) أو قد تكون غير واقعية (القضايا التى تتضمن الحاجة إلى السماح بالتعبير عن الغضب والمعارضة). وهذا النمط الأخير قد يؤدى إلى صراع أكثر شدة.

٥- أخيراً فثمة إرتباط إيجابى بين العوامل السابقة قد يؤدى إلى جعل الصراع وظيفياً داخل النسق الاجتماعى على النحو الآتى: يؤدى الصراع إلى استقرار العلاقات وإحياء المعايير السائدة، والمساهمة فى نشوء وظهور معايير جديدة، وإيجاد أساليب جديدة لإعادة التوافق المستمر الضرورى لتحقيق توازن القوة والسلطة ونشوء اتحادات وتكوين جبهات وإئتلافات جديدة وضمور العزلة الاجتماعية والمساهمة فى المحافظة على حدود فاصلة بين الجماعات، وعلى العموم ففى ظروف معينة يؤدى الصراع إلى تكوين نسق اجتماعى متكامل ومرن وأكثر إستقراراً.

وبإيجاز فالصراع حول قضايا واقعية داخل البناء الاجتماعى المفتوح قد يساهم فى تحقيق تكيف اجتماعى على أعلى مستوى، وأيضاً يساهم فى تحقيق المرونة والتكامل بدرجة أكبر داخل البناء. بينما يؤدى الصراع غير الواقعى فى المجتمع المغلق، وفى البيئة الجامدة إلى اشتداد العنف وتزايد مظاهر التفكك الاجتماعى، ومهما كانت الحالة فإن وظائف الصراع داخل المجتمع كانت هى المحور الأساسى للدراسة عند كوزر.

المنهج:

يتضمن المنهج عند كوزر إستخلاص مجموعة قضايا أساسية من نظريات الصراع الاجتماعى، وخاصة قضايا زيمل ثم توسيع نطاق هذه القضايا، بربطها بنتائج أبحاث أخرى ذات طابع تجريبى أو نظرى، مما أدى به فى النهاية إلى إبداع وإبتكار نظرية جديدة عن الصراع الاجتماعى تتلائم مع البيئة الجديدة وتعد امتداداً وتطبيقاً لأراء المنظرين الرواد فى دراسة الصراع الاجتماعى.

النمط:

حدد لنا كوزر نمطين من المجتمعات:

النمط الأول: نمط المجتمع المفتوح وبناؤه الاجتماعى مفتوح يتميز بالمرونة حيث يتفجر الصراع حول قضايا حقيقية ويؤدى إلى مرونة أكبر وتكامل أكثر، والنمط الآخر: المجتمع المغلق وبناؤه الاجتماعى جامد ومغلق. حيث يسود الصراع حول قضايا غير حقيقية وهمية، مما يؤدى إلى العنف والتفكك.

ويعد مدخل كوزر مثالاً هاماً لنظرية الصراع المعاصرة حيث طور أعمال الرواد، ودرس مظاهر اشتباك الصراع فى المجتمع الحديث، وتكشف لنا فكرة المماثلة العضوية عند لويز كوزر مدى الارتباط بينه وبين البنائية الوظيفية ويلخص شكل رقم ٦٩ نمط أوضاع الموقف وتأثيرات الصراع الاجتماعى.

شكل رقم ٦٩
النمط عند كوزر

نمط المجتمع	مغلق	مفتوح
الأبعاد		
النسق الطبقى	مغلق	مفتوح
أنظمة التعبير عن الغضب والمعارضة	لا يوجد	نعم موجودة
تنظيم الصراع	لا يوجد	نعم موجودة
تقبل الصراع	لا يوجد	نعم موجودة
انماط الجماعات	علاقات وثيقة	ترابط غير وثيق
مشاركة الجماعات فى إتخاذ القرارات	عالية	قليلة
وظائف الصراع	التفكك	التكامل

الخاتمة:

بعد أن افترض لويز كوزر أن الصراع الاجتماعى يؤدى إلى نتائج تحقق وظائف، قادة هذا الافتراض إلى وصف الأوضاع الاجتماعية التى تؤدى إلى ظهور آثار معينة للصراع فى ظل أوضاع المجتمع المفتوح الذى يتميز بواقعية الصراع والأوضاع التى تؤدى إلى تفجير الصراع فى مقابل أوضاع المجتمع المنغلق الذى يتميز بالجمود وعدم واقعية قضايا الصراع. وتعد هذه المحاولة التى تهدف توضيح وتطوير وصياغة نظرية تحدد أوضاع ونتائج تلك العملية الديناميكية فى المجتمع المعاصر مساهمة أساسية لإثراء النظرية الاجتماعية المعاصرة. بيد أن هذا العمل يثير بعض التساؤلات الهامة وبعض القضايا محل الخلاف:

١- رغم أن كوزر حاول أن يعوض الرؤية الأحادية الجانب للنزعة البنائية الوظيفية، فإنه يمكن أن يتهم بالسقوط فى المصيدة نفسها عندما رأى أن الصراع يؤدى وظيفة التكيف والتكامل.

٢- ينظر إلى القضايا التى عرضها باعتبارها قضايا عامة أكثر مما ينبغى، وتعرض على المستوى الكبير الحجم، مما يجعل منها قضايا لا صلة لها بفهم المواقف الخاصة.

٣- تعد هذه النظرية أقرب إلى البنائية الوظيفية منها إلى نظرية الصراع.

ورغم هذه الانتقادات فإن إسهام كوزر فى دراسة الصراع يعد إسهاماً كبيراً ومكملاً لأعمال رايت ميلز ودارندورف. ويلخص شكل رقم ٧٠ مدخل كوزر فى دراسة الصراع.

شكل رقم ٧٠
اطار العمل النظرى عند كوزر

النشأة :

١- تعلم فى كولومبيا
٢- ألم باراء زيمل
٣- مارس التدريس بالجامعة

الأغراض:

حلل وظائف الصراع الاجتماعى

الافتراضات:

١- يمكن أن يزيد الصراع من التوافق الاجتماعى
٢- ينبع الصراع تبعاً لنسبة المطالبين وفرص المكافآت
٣- قد تكون الابنية الاجتماعية مفتوحة أو منغلقه
٤- تهتم انماط القضايا بتأثير الصراع
٥- قد يكون للصراع وظائف ايجابية ووظائف سلبية

المنهج:

تطبيق وتوضيح أفكار زيمل من خلال تحليل الصراع

النمط:

ثمة نمطان للبناء الاجتماعى

القضايا:

- علاقة نظريته مع النزعة البنائية الوظيفية
- منبع الصراع غامض لا يعطى فكرة واضحة
- القضايا عامة على المستوى الكبير
- مساهمة قليلة فى اثراء نظرية الصراع

دافيد ريزمان ١٩٠٩

تلقى ريزمان تعليمه فى جامعة هارفارد وحصل على درجة الليسانس عام ١٩٣١، وإرتقى فى الوظائف الاكاديمية حتى وصل إلى درجة استاذ فى القانون فى جامعة بفالوا، وشغل هذه الوظيفة من عام ١٩٣٧ إلى ١٩٤٢، ثم وظيفة استاذ العلوم الاجتماعية فى جامعة شيكاغو ثم شغل هذا المنصب فى جامعة هارفارد ابتداء من ١٩٥٨. ودارت اهتماماته الفكرية حول علم اجتماع التربية، ودراسة الطابع الاجتماعى للشخصية. وأهم مؤلفاته كتاب الجماهير المنعزلة الذى صدر عام ١٩٥٠ ثم كتاب «إعادة النظر فى المذهب الفردى» وصدر عام ١٩٥٤. ويرجع اهتمامنا به إلى وصفه للشخصية الاجتماعية والصراع الاجتماعي والأنماط المتغيرة للتوافق الاجتماعى باعتبارها تعتمد على التغير السكانى. قد شرح لنا ذلك فى كتابه الجماهير المنعزلة. ومن الأهمية أن نشير إلى تعريفه للتغير السكانى باعتباره أساس التغير الاجتماعى مما جعل منه مساهماً كبيراً فى تطوير الرؤية الطبيعية فى تفسير نظرية الصراع الاجتماعى.

الأهداف:

إهتم ريزمان اهتماماً أساساً بالطريقة التى حلت بها شخصية امريكية جديدة لها طابعها المميز محل الشخصية الاجتماعية التى سادت المجتمع الأمريكى فى القرن التاسع عشر، ومن ثم فالتغير الاجتماعى الذى طرأ على نمط الشخصية الاجتماعية السائدة فى المجتمع، هو محور اهتمامه الأساسى.

الإفتراضات:

١- كان الفرض الأول عند ريزمان تعريفه للشخصية الاجتماعية باعتبارها ذلك الجزء من شخصية الفرد والذى يشترك فيه مع أفراد جماعات اجتماعية هامة، وهو محصلة تجارب هذه الجماعات.

٢- تكمن الرابطة بين هذه الشخصية والمجتمع فى الطريقة التى يؤكد بها المجتمع درجة ما من التوافق بين الأفراد الذين يكونون هذا المجتمع، ومن ثم تعبر الشخصية الاجتماعية عن التوافق المعيارى.

٣- وتعتمد أساليب التوافق بدورها على عوامل سكانية[١] والتغيرات السكانية المحددة فى المجتمع الغربى منذ العصور الوسطى، وقد أخذت هذه التحولات عند ريزمان شكلاً متعرجاً لولبياً (S) ويعبر الخط الأفقى الاسفل للحرف (S) عن المجتمعات التقليدية والتى تتعادل فيها معدلات المواليد والوفيات، وهى مجتمعات تمر بمرحلة امكانية نمو متزايد لعدد السكان، وعندما يتحقق هذا التكاثر السكانى، تبدأ مرحلة النمو الإنتقالى، ويمثلها الخط الرأسى المائل من الحرف S، حيث يتزايد فيه معدل المواليد عن معدل الوفيات حتى يصل إلى مرحلة ثالثة، حيث ينخفض معدل التكاثر السكانى تدريجياً، حتى يصل المجتمع إلى مرحلة تنخفض فيها معدلات الوفيات والمواليد معاً، ويمثل هذه المرحلة الخط الأفقى العلوى.

٤- بعد أن حدد ريزمان منحنى هذا النمو الذى أخذ شكلاً لولبياً (S). حدد قضيته الأساسية ومؤداها أن كل مرحلة من المراحل الثلاث فى المنحنى السكانى، يسود فيها شكل مجتمع معين يدعمه التوافق، وتشكل الشخصية الاجتماعية فى كل مرحلة بطريقة مختلفة تماماً. ويصف لنا ريزمان العلاقة بين الشخصية ونمط المجتمع على النحو الآتى:
أ) أشخاص تحكمهم التقاليد، وهم نموذج المجتمع الذى يتصف بإمكانية التكاثر فى عدد السكان. ب) أشخاص تحكمهم القيم التابعة من داخل الذات. وهم جزء من مرحلة التكاثر الانتقالى. ج) أشخاص يوجههم قيم الغير، وهم يعبرون عن مرحلة بداية الانخفاض فى المواليد، ومن ثم عدد السكان. والنمط الأول من المجتمعات يتميز بسلوك اجتماعى تقليدى متوارث تحكمه التقاليد وعلاقات القرابة. والنمط الثانى من المجتمعات الذى يسود فيه التكاثر السكانى المرتفع

---

(١) تستبدل بمصطلح ديموجرافيا. مصطلح عوامل سكانية، ونقصد به الدراسة العلمية للمجتمعات البشرية من حيث حجمها وتركيبها وتطورها. المترجم.

فهو نمط موجه من الداخل. وهذا النمط توجهه أهداف داخلية يتوحد بها أفراد المجتمع كلهم لكنهم لا يتوحدون بالوسائل. أما النمط الثالث فهو المجتمع الذى توجهه قيم الصفوة والسادة، وهو مجتمع يتكون من أفراد يغلب عليهم الخضوع لحكم الآخرين لأن الأفراد الخاضعين غير واثقين من قيمهم الاساسية ويتجهون نحو معايير الصفوة والحكام. وقد ساد النمط الأول فى المجتمعات البدائية والمجتمعات الأوربية فى العصور الوسطى، وإنتشر النمط الثانى فى العصر الفيكتورى. وسيطر النمط الثالث على الولايات المتحدة الامريكية.

٥- وتكمن الرابطة العلية لهذا النموذج من نماذج التفسير الاجتماعى داخل العلاقة التفاعلية بين السكان والبناء الاجتماعى أى كلما حدثت انحرافات فى التكاثر السكانى ولا سيما نسبة المواليد والوفيات طور المجتمع أشكالاً جديدة للتوافق لتأكيد الإستمرار فى إشباع الحاجات، ومن ثم وتبعاً لذلك يصبح الصراع الاجتماعى والأشكال المتغيرة للتوافق والتواؤم والهيمنة وظائف لعوامل تغير السكان، وتتميز مجتمعات المرحلة الانتقالية بالعنف، وفصم الروابط التقليدية التى تحقق تكامل الوجود فى المجتمعات. حيث كانت التقاليد هى الطريقة الأساسية لتأكيد التواؤم، ويفرض عدم التوازن بين معدلات المواليد والوفيات ضغوطاً على الأساليب التقليدية السائدة فى المجتمع، وتظهر الحاجة إلى أشكال جديدة لأبنية الشخصية. وهكذا يعتمد كل من الصراع الاجتماعى والهيمنة على نسبة المواليد إلى الوفيات فى المجتمع، التى تعبر عن ضغوط سكانية خاصة تؤدى إلى أشكال خاصة من الأبنية الاجتماعية وأنماط من السيطرة والتوافق.

وهكذا يمكن أن نقول أن ريزمان رأى أن البناء الاجتماعى يتمثل فى فكرة الشخصية الاجتماعية التى تعتمد على نسبة المواليد إلى الوفيات فى المجتمع. وحدد الشكل الأول من أشكال البناء الاجتماعى بالزيادة الكبيرة فى عدد السكان وسيطرة التقاليد أما المجتمع الثانى فيسوده فى المرحلة الانتقالية وتوجهه القيم المتوحدة من جميع السكان وأخيراً المجتمعات التى تتميز بانخفاض واضح فى معدلات المواليد والوفيات، والتى يسود فيها الأنماط التى تخضع لحكم وأراء الآخرين، وفى هذه الحالة يحدد بناء السكان الأساسى طبيعة الصراع الاجتماعى وأنماط التوافق والهيمنة.

المنهج:

تتضمن أساليب ريزمان فى البحث تطبيق النظريات السكانية والاقتصادية فى التمية عند دراسة التغير الاجتماعى وأنماط الأبنية الاجتماعية أو التوافق مستفيداً فى دراسته من الإستقراء التاريخى. ومن جديد نجد أن هذا المنهج يتضمن تطبيق إطارات عمل من خارج علم الاجتماع لدراسة مشكلة الصراع الاجتماعى والتغير.

النمط:

وضع لنا ريزمان نموذجاً واضحاً عن جماعات التوافق الاجتماعى:

١- الفرد الذى توجهه التقاليد، يعبر عن نمط مجتمعات تقليدية تتميز بامكانية ارتفاع معدل التكاثر، يقوم هذا المجتمع على العلاقات القرابية، ويتصف هذا المجتمع بالجمود والتأخر والتجانس وتحكمه التقاليد.

٢- المجتمعات التى يتوحد فيها الأفراد بالقيم المحكمة، وتسود فى مرحلة التطور الإنتقالى، وتتصف هذه المجتمعات بالمرونة والإنتشار والتوسع والحركة.

٣- النمط الثالث، نمط الأفراد الذين يحكمهم رأى الآخرين، ويعكس هذا النمط المجتمعات التى تتميز بانخفاض معدل تكاثر السكان، ونمو المدن، وإنتشار مظاهر التحضر والبيروقراطية وزيادة الاتصال بين الجماعات، وظهور طبقات وسطى جديدة. ويلخص لنا شكل ٧١ هذا النمط.

الخاتمة:

أدرك ريزمان عند تفسيره للصراع الاجتماعى والتغير الكامن فى الأنماط المتباينة للشخصية الاجتماعية أن هذه الظواهر تعتمد على نسبة المواليد إلى الوفيات، فالمجتمع الإنسانى يتحرك من مرحلة تتميز بالتكاثر فى المواليد وكثرة الوفيات، وتسود فيه التقاليد التى توجه سلوك الناس إلى مرحلة النمو الإنتقالى وتتميز بارتفاع معدل المواليد وانخفاض الوفيات، وتسود فيها انماط السلوك التى يتوحدها الافراد ثم أخيراً المجتمعات المعاصرة التى تتصف بانخفاض معدل تكاثر السكان. وتظهر فى هذا المجتمع نمط الشخصية الذى

شكل رقم ٧١

نمط المجتمع عند ريزمان

انماط التوافق / العوامل	المجتمع الذى تحكمه التقاليد	مجتمع تحكمه قيم متوحدة	مجتمع تتحكم فيه اراء الصفوة
السكانية الاقتصادية	التكاثر المرتفع استقرار النسبة بين الانسان والأرض	النمو التقليدى التوسع الاستعمارى	ضمور التكاثر السكانى التحضر والتصنيع
التنشئة الاجتماعية	التقليد فى نظام اجتماعى ثابت. الشعور بالقلق ازاء الانحراف	توحد مثل الكبار والشيوخ. الشعور بالذنب فى حالة عدم التوفيق	معايير الصحبة والخجل والخوف من العزلة
أمثلة لهذه المجتمعات	المجتمعات البدائية اوربا فى العصور الوسطى	العصر الفيكتورى	الطبقة المتوسطة فى المدينة الكبيرة فى الولايات المتحدة

يوجهه حكم وأراء الآخرين. ويصبح هو النمط السائد والبارز والمتوافق، وهكذا يحدد بناء السكان أساس الصراع الاجتماعى والهيمنة. ويثير هذا المدخل عدداً من القضايا:

١- العلاقة بين العوامل السكانية والعوامل الاجتماعية علاقة عامة غير واضحة.

٢- حدد ريزمان أنماط الشخصية الاجتماعية على مستوى المجتمع فى صورة فضفاضة مما يجعل من العسير تطبيقها على عوامل محددة.

٣- يوجد تناقض واضح بين الدقة والوجود الفعلى لانماط ريزمان وخاصة فى نمط الشخصية الذى تحكمه آراء الغير.

٤- يحمل مدخل ريزمان مثل كوزر تشابها يوتوبيا مع البنائية الوظيفية، من حيث تأكيد كل منهما على تطور المجتمع المتوافق، ومن ثم ففائدة مدخل ريزمان فى نظرية الصراع محدودة.

ورغم تلك المشكلات، فإن نظرية ريزمان لا زالت تعد تحليلاً أساسياً للصراع الاجتماعى والتغير والثقافة المعاصرة، ويلخص شكل رقم ٧٢ إطار العمل النظرى عند ريزمان.

شكل رقم ٧٢
ملخص إطار العمل النظرى عند ريزمان

النشأة:

١- تعلم فى هارفارد
٢- مارس المحاماة والعمل الاكاديمى فى الجامعة
٣- الاهتمام بالتربية والطابع الاجتماعى للشخصية

الأغراض:

تحليل التغيرات فى الطابع الاجتماعى للشخصية فى الولايات المتحدة

الافتراضات:

١- الشخصية الاجتماعية مشتركة بين جماعات اجتماعية هامة.
٢- تمثل الشخصية الاجتماعية اساليب التوافق الاجتماعى.
٣- وتعتمد الشخصية الاجتماعية على كل من نسبة المواليد إلى الوفيات وتأخذ هذه النسبة شكل الحرف اللوبى S.
٤- تأخذ أنماط المجتمعات فى الشكل اللوبى ٣ أشكال.
أ - مجتمع تحكمه التقاليد.
ب - مجتمع يتوحد بقيم الكبار.
ج - مجتمع يحكم سلوكه اراء الآخرين.
٥- التغير الاجتماعى دالة للتغيرات السكانية

المنهج:

تطبيق النظريات السكانية والاقتصادية فى التنمية لتفسير التغير الاجتماعى والصراع الاجتماعى.

النمط:

أنماط التوافق الاجتماعى.

القضايا:

١- غموض العلاقات بين التفسيرات السكانية - الإجتماعية.
٢- الإنماط الفضفاضه للشخصية الاجتماعية.
٣- قصور المعلومات وقلتها.
٤- ارتباطه بالنزعة البنائية الوظيفية.

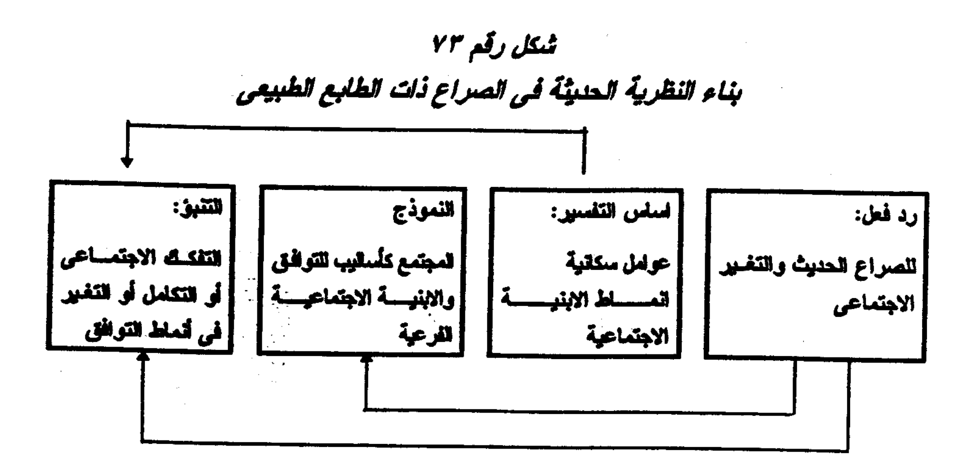
ملخص للنزعة الطبيعية فى النظرية المعاصرة للصراع

ثمة بعض مظاهر للتماثل والاتفاق بين كل من كوزر وريزمان اللذين تبنيا المدخل العضوى أو الطبيعى عند تحليل الصراع الاجتماعى أو التغير.

١- تحليل العلاقة بين البناء الاجتماعى وأنماط الصراع والهيمنة داخل المجتمع.
٢- رؤية الصراع باعتباره وظيفياً بالنسبة إلى عمليات التطور الاجتماعى والتغير.
٣- رؤية الصراع باعتباره وظيفياً بالنسبة للعلاقات الاجتماعية والبيئة.
٤- تحديد أنماط البناء الاجتماعى.
٥- الإستفادة من إطارات عمل من خارج مجال علم الاجتماع عند تحليل الصراع الاجتماعى.

يعبر هذا النمط فى دراسة الصراع عن شكل من أشكال التعبير الشمولى عند تحليل المجتمع على المستوى الكبير الحجم. ويؤمن هذا المدخل بالنزعة العضوية والتطورية والبنائية، ويلخص شكل رقم ٧٣ خصائص هذا النمط.

شكل رقم ٧٣
بناء النظرية الحديثة فى الصراع ذات الطابع الطبيعى



ملخص النظرية المعاصرة فى الصراع

ظهر الاهتمام بالصراع بين مجموعة من مفكرى علماء الاجتماع الامريكان المعاصرين رد فعل للاحداث التى ترتبت على الصراع الاجتماعى والصراع بين البيض والسود، والأثار القهرية للبيروقراطية والصناعة، والرغبة فى تطبيق اتجاهات الإصلاح على المشكلات الجديدة للبيروقراطية والصناعة والتحضر. وقد درست هذه المجموعة من علماء الاجتماع الامريكان علم الاجتماع الأوربى، وكانت النتيجة الحتمية لتفاعلهم مع الواقع الأمريكى ظهور تفسيرات ترى المجتمع باعتباره نسقاً شمولياً متطوراً يضم جماعات تتنازع سوياً على الموارد، ويحكم هذا المجتمع صفوة حاكمة من نوع خاص، وقد بينت هذه التفسيرات أن ثمة ظروفاً اجتماعية وسكانية متباينة تحدد شدة وفترة وشكل الصراع الاجتماعى، ورأت أن البناء الاجتماعى يمثل هيمنة صفوة معينة فى المجتمع الحديث على مرحلة خاصة فى تطوره.

وثمة مظاهر للتقارب بين علماء الاجتماع المهتمين بالصراع، فقد ولدوا جميعاً باستثناء دارندورف فى العقد الأول من القرن العشرين وتأثروا جميعاً بالفكر الأوربى كما شغلوا جميعاً مناصب جامعية، وإنغمسوا فى السياسة واهتموا بملاحظة الصراع الاجتماعى داخل المجتمع الامريكى الذى خبر وجرب الأثار التى ترتبت على تحقيق أعلى معدل من النمو الصناعى والتحضر، ولذا تركزت اهتماماتهم الفكرية حول الصراع والهيمنة فى المجتمع الصناعى المعاصر.

ويمكن لنا أن نقول أن الجذور الفكرية والاجتماعية والنشأة الشخصية لأصحاب المدرسة المعاصرة متقاربة، كما أن عملهم الاكاديمى كان متماثلاً.

الأهداف:

تهدف نظرية الصراع تحليل مظاهر الصراع والهيمنة التى ظهرت فى المجتمع الصناعى الامريكى المعاصر تحليلاً اجتماعياً علمياً.

الافتراضات:

١- يعبر المجتمع عن نسق من الجماعات المتنازعة والمتصارعه والمصالح المتضاربة.

٢- يظهر الصراع الاجتماعى فى ظروف تنظيمية واجتماعية محددة.

٣- ساهمت الصناعة فى ظهور أشكال الهيمنة الرأسمالية والمركزية وحكم الصفوة.

٤- بزغ الصراع الاجتماعى نتيجة ندرة الموارد والاحتكارات.

٥- يساهم الصراع الاجتماعى فى تحقيق التطور والتوافق.

المنهج:

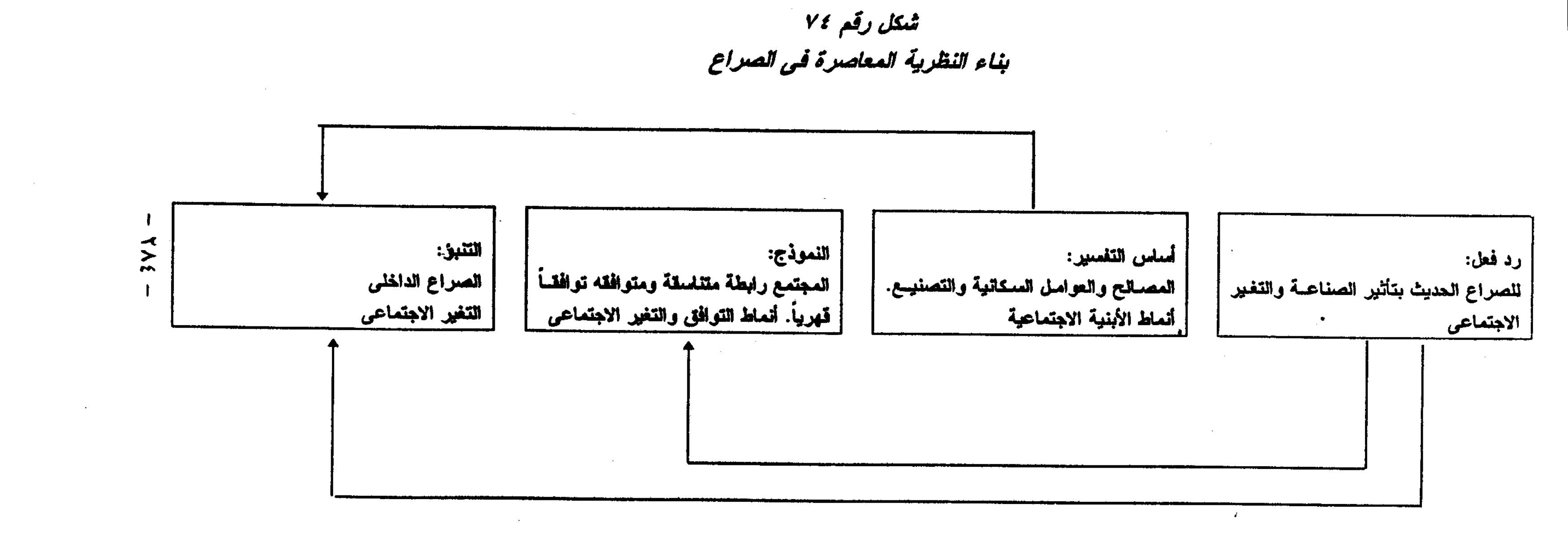
محاولة تطبيق النماذج السابقة مثل صيغ ماركس وفيبر على تحليل الصراع فى المجتمع المعاصر.

النمط:

أنماط من البناء الاجتماعى والروابط وأنماط من الصراع الاجتماعى.

ويمكننا أن نرى أن النظرية المعاصرة فى الصراع نظرية شمولية، تؤمن بالتطور والنسق الكلى ولا تخرج عن كونها رد فعل راديكالى للأشكال المعاصرة للصراع والهيمنة، كما أن القراءة المتأنية تبين لنا أن ثمة استمرارية بين النظرية التقليدية فى الصراع والنظرية الامريكية المعاصرة فى الصراع، ويتضح هذا الاتصال اكثر عند عرض أفكار ماركس ومناقشتها، ويلخص لنا شكل رقم ٧٤ العناصر الاساسية لهذا النمط من النظرية.

شكل رقم ٧٤
بناء النظرية المعاصرة فى الصراع



الفصل الثالث عشر

النظرية الاجتماعية النفسية

استمرارية النزعة السلوكية الاجتماعية

الموضوعات الأساسية:

- نمط النسق الشمولى المعيارى فى النظرية الاجتماعية النفسية
- بلومر وجوفمان
- النمط الطبيعى فى النظرية الاجتماعية النفسية

  بلاو وجارفينكل
- ملخص النظرية الاجتماعية النفسية

ورغم أن الكثير مما كتب فى نظرية علم الاجتماع المعاصر، يأخذ شكل الدراسات الاستدلالية التى تهتم بالمستوى الكبير الحجم فإن النزعة السلوكية الاجتماعية الأوربية القديمة – وجذورها الأمريكية فى أعمال ميد وكولى وسمنر – استمرت حتى الآن فى فرع جديد من فروع علم الاجتماع أطلق عليه الاتجاهات الاجتماعية النفسية، وقد أثر هذا الفرع تأثيرا قوياً على علم الاجتماع المعاصر، ولما كانت النزعة السلوكية الاجتماعية هى الأساس الذى قامت عليه النظرية الاجتماعية النفسية، فإنها تعكس الاهتمام المتزايد بالأفكار الفردية فى الثقافة الامريكية والاراء التى تهتم بالوحدات التى تتكون من عدد صغير من الأفراد، ولقد ظهرت هذه النزعة السلوكية الاجتماعية فى أعمال فيبر ثم ميد، ولذا تحول هذا الإتجاه فى الدراسات الاجتماعية من دراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة إلى الاهتمام بالوحدات الاجتماعية المكونة من عدد صغير من الأفراد معتمداً فى ذلك على المنهج الاستنباطى الاستقرائى كما يهتم بالعمليات التى تحدث فى المجتمع ولقد أعطى هذا الإتجاه إهتماماً أكبر للعمليات الاجتماعية، ولذا ظهر التباين والاختلاف بين هذا الاتجاه والاتجاه الوظيفى ومدرسة الصراع.

وقبل أن نعرض جهد بعض منظرى المدرسة الاجتماعية النفسية نعرض للبيئة الاجتماعية والثقافية والسير الشخصية التى أفرزت هذا النمط من التفسير الاجتماعى، ولقد أنقسمت هذه المدرسة إلى تيارين؛ أولهما النمط الشمولى المعيارى والآخر النمط الطبيعى. وسوف نعرض جهد أربعة من علماء الاجتماع هم هربرت بلومر وايرفنج جوفمان وبيتر بلاو وهارولد جار فينكل- اسهموا فى إثراء وتطوير نموذج السلوكية الاجتماعية مما ترتب على ذلك من إسهام المدرسة الاجتماعية النفسية فى تغيير إهتمامات علم الاجتماع الأوربى.

مقدمة:

ولنا أن نرى أن المقابل العصرى المكمل والمتمم للنزعة السلوكية القديمة يمكن أن ندركه باعتباره رد فعل لمجموعة خاصة من المفكرين الامريكيين- وهم الذين تعلموا وتدربوا وتوحدوا بفكر جورج ميد فى مدرسة شيكاغو- الذين إستجابوا وتأثروا بعدد من الأوضاع الخاصة السائدة فى أمريكا: مثل تطبيق مفهومات النزعة

الفردية السائدة فى أوربا القديمة على المجتمع الامريكى المعاصر، والتأكيد القوى على الفردية المتأصل فى الأخلاق البروتستانتية المسيحية(وهو الأساس الذى تقوم عليه الثقافة الامريكية) والتأثير الفكرى لبعض المفكرين الاوربيين أمثال دور كيم وفيبر، والإيمان بإمكانية تطبيق أفكار التطور والتى نادى بها داروين على المجتمع والآثار السلبية للصناعة والبيروقراطية التى إنعكست على الفرد.

وعلى العموم فإنه يمكن أن ينظر إلى النزعة السلوكية الاجتماعية (أو النزعة الاجتماعية النفسية) باعتبارها تطبيقاً للأفكار القديمة عن الفردية والتطور الاجتماعى على الأحداث التى تقع فى المجتمع المعاصر بقدر ما تمس الفرد، وينظر هذا المدخل إلى المجتمع باعتباره كامناً داخل الفرد، يتكون من أفراد يدركون المجتمع من خلال ادراكهم لذواتهم بصفتها ذواتاً ديناميكية ومؤقتة تتجلى خلال التبادل والتفاعل الاجتماعى، ومن ثم فتفسير المجتمع يكتشف من خلال عمليات الاستبطان الذاتى والملاحظة، ويعطى هذا الاتجاه تأكيداً على أهمية ومعنى الظاهرة الاجتماعية والمحتوى الاجتماعى للتفاعل الاجتماعى، والحالة التى تستند بها الأبنية الاجتماعية على العمليات الاجتماعية، والكيفية التى ينظم بها التفاعل الاجتماعي ويرشد على مستوى الفرد فى حياته اليومية. فهذا الاتجاه يركز على المجتمع باعتباره نسقاً ديناميكياً عرضياً طارئاً يتكون من تفسيرات فردية ومترابطة تكون كلها الحقيقة، وهو نسق يخضع لعمليات تغير، وإعادة تنظيم دوماً، فبدلاً من كون المجتمع نسقاً خارجياً يتكون من شكل بنائى له طابع ثابت، فالمجتمع يكمن داخل الفرد اثناء محاولته الاجتماعية تفسير الحقيقة، ومن ثم فهذا المجتمع له طابع متغير توجهه العمليات.

وتكشف الأنماط المختلفة للنظرية الاجتماعية السلوكية عدداً من جوانب هذا النمودج هى: المظاهر الرمزية للتفاعل وبنائه ومضمونه واعتماده على التبادل والطريقة التى ينظم بها ويرشد عقلانياً على مستوى الفرد، وهذا يعنى مزيداً من التطبيق والتخصيص لمفهومات النزعة السلوكية الاجتماعية فى بدايتها.

ويمكن أن نصنف النزعة الاجتماعية النفسية المعاصرة إلى نمطين أساسيين:

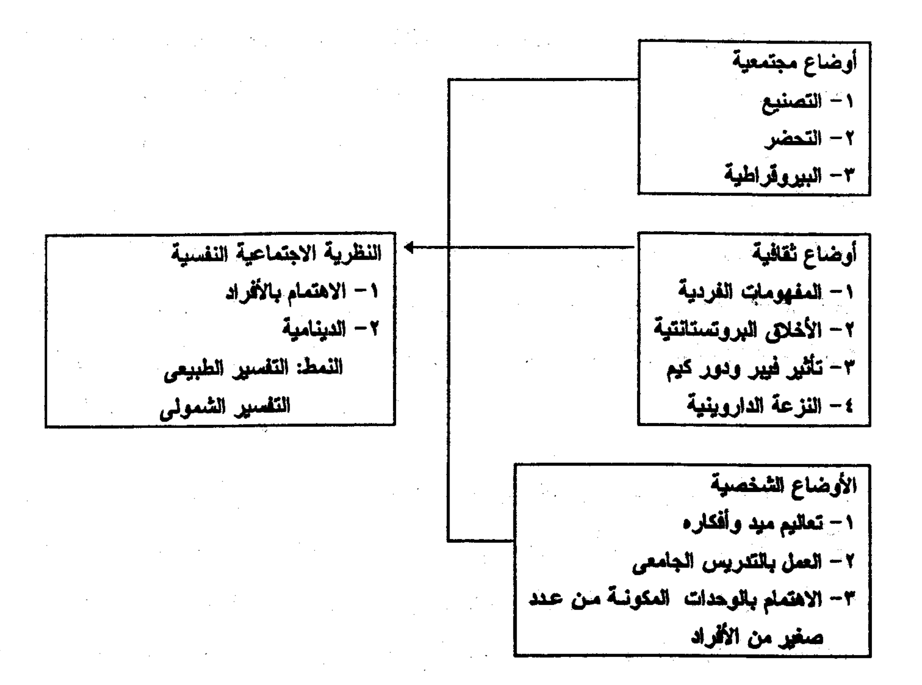
(أ) الأتجاه الشمولى المعيارى ويؤكد على المظاهر الاجتماعية للذات الاجتماعية وتحليل التفاعل فى المواقف وتحليل المواقف الاجتماعية الطارئة.

(ب) أما النمط الطبيعى فيرى أن أساس التفاعل يكمن فى عناصر التكوين البشرى أو الطبيعة الإنسانية. ولقد إهتم بلومر وجوفمان بالمظاهر البنائية والرمزية للتفاعل، بينما إتجه بلاو إلى دراسة العمليات الاجتماعية باعتبارها عمليات كامنة فى العمليات النفسية البدائية وخاصة الجذب والإنجذاب ودوافع إدراك الهدف، ومن جهة أخرى رأى جارفينكل الدوافع الأساسية عند الكائن الإنسانى باعتبارها دوافع تهدف إلى تحقيق التوافق مع النظام الاخلاقى، وينتمى كل من بلومر وجوفمان إلى الأتجاه الشمولى الذى يؤكد على فكرة النسق، وقد إتجه الأخران إلى الاتجاه الطبيعى وهذا الفرق بين المدخلين ليس فرقاً جذرياً بل فرق فى الدرجة. لأن المنظرين الأربعة اهتموا اهتماماً خاصاً وأساسياً بصياغة نظريات علم الاجتماع عن التفاعل.

وبإيجاز تنزع النظرية الاجتماعية النفسية إلى التعبير عن محاولة تطبيق الأفكار الرائدة عن الفردية والتطور الاجتماعى على الأحداث التى تقع فى المجتمع المعاصر بقدر ما تمس الفرد وتؤثر عليه، والنتيجة الأساسية هى صياغة نظرية تهتم بالوحدات الصغيرة والاستقراء والجوانب الذاتية والاستبطان وتحديد الأساس والحالات الطارئة التى تقوم عليها عمليات التفاعل الاجتماعى، كما إنقسمت النظرية الاجتماعية النفسية إلى اتجاهين أحدهما يهتم بالتفسير الطبيعى والآخر بالتفسير الشمولى الذى يؤكد على النسق. ويلخص الشكل رقم ٧٥ هذا النمط من التنظير.

شكل رقم ٧٥

العوامل الرئيسية وراء ظهور النظرية الاجتماعية النفسية



النمط الشمولي في النزعة الاجتماعية النفسية:

ونبدأ بعرض أفكار بلومر وجوفمان باعتبارهما أكبر المؤيدين للنمط الشمولي في النزعة الاجتماعية النفسية، ولقد وصف كل من بلومر وجوفمان المظاهر الرمزية للتفاعل والحالات الطارئة البنائية. وقد اشتهر بلومر بتطوير التفاعلية الرمزية واشتهر جوفمان بنموذج يشبه فيه التفاعل بالتمثيل المسرحي، وكلاهما يعد مثالاً طيباً واضحاً للإستمرار بين النمودج التقليدى والنموذج المعاصر.

هربرت بلومر ١٩٠٠ - ١٩٨٦

النشأة:

تلقى تعليمه الجامعى فى جامعة ميسورى وحصل على درجة الليسانس فى عام ١٩٢١ والماجستير فى عام ١٩٢٢، ثم أنتقل إلى جامعة شيكاغو، وهناك تأثر تأثراً قوياً بفكر جورج ميد ، وأكمل رسالته لدرجة الدكتوراه فى عام ١٩٢٩. وإستقر فى جامعة شيكاغو عدة سنوات ثم إنتقل فى الخمسينيات إلى جامعة باركلى، وكانت اهتماماته الفكرية تدور حول علم النفس الاجتماعى والسلوك الجمعى ووسائل الاتصال الجماهيرية، وهو أول من نحت مصطلح «التفاعلية الرمزية» وأسهم إسهاماً كبيراً فى تطوير هذه النظرية فى مجال علم الاجتماع. وقد تضمنت أعماله عدداً كبيراً من المقالات عن العلاقات بين الأجناس والسلوك الجمعى ووسائل الاتصال الجماهيرية. وأهم مؤلفاته «التفاعل الرمزى، المنظور والمنهج» فى عام ١٩٦٢.

الأهداف:

إهتم بلومر بصياغة نظرية توضح بالتفصيل طبيعة التفاعل الرمزى فى المجتمع. ويدل مصطلح التفاعل الرمزى على الطابع المميز والخاص للتفاعل كما يحدث بين الكائنات الإنسانية، وتتضمن هذه الخصوصية التفسير المتبادل والرمزى للأفعال بين الناس بعضهم بعضاً. وتبعاً لهذا المنظور يهتم علم الاجتماع بالعملية التفسيرية التى هى أساس سلوك الكائنات الإنسانية سواء أكانوا أفراداً أو جماعات وبواسطتها يؤدون السلوك فى المجتمع الإنسانى. ويصور هذا النموذج المجتمع باعتباره نسقاً من العمليات التفسيرية التى تحكم السلوك.

الافتراضات:

انطلاقاً من فكر ميد، وضع لنا بلومر عدداً من الإفتراضات الأساسية التى تهتم بالحقيقة الاجتماعية وهذه الإفتراضات هى:

١- استعداد الناس سواء أكانوا فرادى أو مجتمعين لأن يسلكوا سلوكهم معتمدين على معانى الموضوعات التى تشكل عالمهم. فالسلوك يعتمد على المعانى الاجتماعية

التى تُضفى على موضوعات خاصة. وثمة أنماط ثلاثة لهذه الموضوعات (أ) الموضوعات الفيزيقية (مثل الأشجار) (ب) الموضوعات الاجتماعية (مثل رجال الدين والمدرسون والجنود والفلاحون) (ج) الموضوعات المجردة (مثل المبادئ الاخلاقية).

٢- ترمز الروابط إلى العملية التى فيها يتبادل الأفراد إشارات ورموزاً متفق عليها وعلى تفسيرها من الجانبين أى تمثل الروابط عملية تفسير وبناء السلوك الإنسانى.

٣- تتكون الأفعال الاجتماعية أثناء العملية التى يلاحظ بها الفاعلون المواقف التى تواجههم ويفسرونها ويقيمونها، وهكذا فالكائن الإنسانى كائن فعال يحمل ذاتاً تشارك فى أداء الدور، وهكذا يتفاعل الفرد مع نفسه أثناء عملية التفسير.

٤- وتوصف الروابط المعقدة للأفعال التى تشمل التنظيمات والنظام وتقسيم العمل وشبكة التساند المتبادل بأنها ديناميكية متحركة وليست جامدة، وتبعاً لذلك فلما كانت المجتمعات والجماعات تتكون أثناء عملية التفاعل، فإنها تتميز بالديناميكية والقدرة على التشكيل والتكوين من جديد. فالمجتمعات والجماعات ترتبط إرتباطاً مفصلياً بالفعل، وهى ليست كيانات مسبقة قبل الفعل ولا وجود لها مستقلة عن وجود المشاركين فى التفاعل. ومن جهة أخرى فإن الافعال السابقة لهؤلاء المشاركين تكون الأساس الذى يقوم عليه أى فعل مشترك.

وبإيجاز يتكون المجتمع من شبكة حية من الأفعال التى تتكون أثناء عملية التفاعل التفسيرى التى توجهها موضوعات خاصة وتحددها بيئات تضم جماعات معينة، وتبعاً لهذا المنظور، يمثل المجتمع عملية رمزية للتفاعل الداخلى والتفسير تكمن داخل الفرد ومن ثم فالمجتمع ليس نسقاً جامداً يوجد خارج الأفراد.

المنهج:

تتطلب الإفتراضات السابقة نوعاً خاصاً من المناهج، أى الاستفادة من أكثر من نمط طبيعى فى البحث والتفسير(منهج يدخل مباشرة فى العالم الاجتماعى التجريبى يناقض

النماذج المحددة من قبل) ويركز بلومر على الإستبار[1] والاستبطان والطابع الطبيعي والمستمر للعالم التجريبي. ويؤكد هذا المدخل على حاجة الفرد إلى أن يؤدى دور المشارك وأن يأخذ في اعتباره ديناميات التفاعل الاجتماعي، وأن يشكل في ذهنه صوراً للفعل الاجتماعي وأن يلاحظ العملية التي يبنى بها الفعل الاجتماعي، وأن ينظر إلى النظام والجماعات نظره ديناميكية (أى ينظر إلى اتفاقات الناس المرتبطين بالسلوك نظرة ديناميكية).

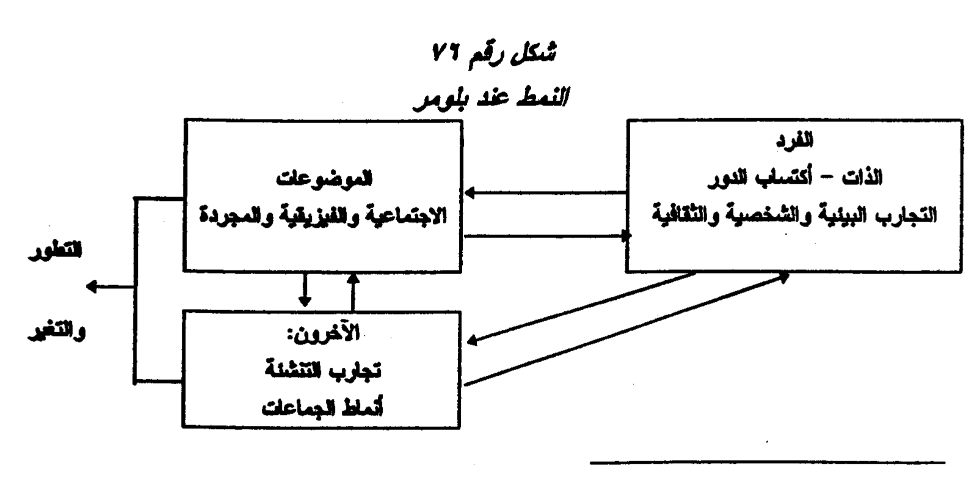
والمنهج الملائم مع التفاعلية الرمزية، هو المنهج التعاطفي والديناميكي والاستقرائي، ويناقض هذا المنهج الاستاتيكية والاستدلالية في علم الاجتماع التقليدي. وهذا المدخل يمثل مزيداً من التوضيح والتطبيق لأعمال جورج ميد.

النمط:

تتضمن النظرية الاجتماعية النفسية عدة نماذج للحقيقة الاجتماعية تواجدت في أنماط السلوكية الاجتماعية بدلاً من البناء الاجتماعي أو المجتمع. ومن هذه الناحية تختلف نظرية بلومر قليلاً، إذ أن النمط الذى صاغه بلومر عن الحقيقة الاجتماعية متضمن في الافتراضات التي عرضنا لها من قبل. ويتكون نموذجه من الفرد(جذوره وموضوع الذات وأداء الدور)، والموضوعات (الفيزيقية والاجتماعية والمجردة)، والغير(جذورهم وتجاربهم وبيئتهم) وكل هؤلاء يمثلون نسقاً متحركاً وديناميكياً ورمزياً وتفاعلياً وتفسيرياً يكمن داخل الأفراد الذين يتفاعلون سوياً. ويلخص شكل رقم ٧٦ هذا النمط.

شكل رقم ٧٦

النمط عند بلومر



---

(١) سبر الشئ خبره يعرف عمقه.

الخاتمة:

يختلف مفهوم المجتمع عند بلومر اختلافاً واضحاً عن مفهوم المجتمع لدى أنصار النظرية العضوية والنظرية البنائية الوظيفية ونظريات الصراع والنظريات الراديكالية. نظر بلومر إلى المجتمع باعتباره يتكون من شبكة حية من الأفعال تتكون أثناء عملية تفسير التفاعل وتوجهها موضوعات خاصة، وتحددها بيئات اجتماعية معينة، وهكذا يمثل المجتمع عملية رمزية تفاعلية تفسيرية تكمن داخل الفرد.

ويثير هذا المنظور عدداً من الانتقادات أهمها:

١- هل يعد هذا المنظور مثلا مجرد إطار عمل تصورى أم نظرية فى علم الاجتماع.
٢- فمن الواضح أن هذا المنظور ينقصه البناء التفسيرى.
٣- إلى اى مدى تجاوز بلومر فى عمله أعمال ميد وهذه مشكلة أخرى.
٤- رغم رفض بلومر البنائية الوظيفية والتعريفات الموضوعة عن الحقيقة الاجتماعية فإن المرء قد يدعى بأن التفاعل الرمزى يأخذ شكل النسق فى النهاية، ورغم أن مضمون التفاعل متباين فإن بناء وشكل التفاعل متجانس نسبياً.

ورغم تلك الانتقادات، فإن بلومر قدم إسهاماً كبيراً فى تطوير النموذج الاستقرائى الديناميكى على مستوى الوحدة المكونة من عدد صغير من الأفراد لدراسة المجتمع. ويلخص لنا شكل رقم ٧٧ إطار العمل النظرى عند بلومر.

شكل رقم ٧٧

إطار العمل النظرى عند بلومر

النشأة:

١- درس فى شيكاغو
٢- عمل أستاذاً فى جامعة باركلى
٣- إهتم بالتفاعلية الرمزية

الأغراض:

وضع منظور التفاعلية الرمزية، وفهم التفاعل الإنسانىعلى ضوئه.

الافتراضات:

١- الفعل يقوم على أساس المعانى والموضوعات
٢- يفسر السلوك أولا ثم بعد ذلك يؤدى السلوك
٣- يتضمن الفعل الذات وإكتساب الدور
٤- التنظيم الاجتماعى ديناميكى

النمط:

نموذج الحقيقة الاجتماعية

المنهج:

الشرح والتنقيب وتطبيق منهج ميد لتحليل التفاعل الاجتماعى.

القضايا:

١- إفتقاد النظرية
٢- توضيح فكر ميد
٣- الشكل الشمولى
٤- التحليل مفروض

إيرفنج جوفمان ١٩٢٢ - ١٩٨٢

النشأة:

حصل جوفمان على درجة الليسانس من جامعة تورنتو فى عام ١٩٤٥، وتحرك إلى الولايات المتحدة وإلتحق بجامعة شيكاغو، وحصل على درجة الماجستير فى عام ١٩٤٩ والدكتوراه فى عام ١٩٥٣ وشغل وظيفة عضو هيئة تدريس ابتداء من ١٩٥٧ فى جامعة باركلى ثم إنتقل إلى جامعة بنسلفانيا، تركز إهتمامه على اكتشاف إطار عمل لتحليل التفاعل الاجتماعى مستنداً على عملية الملاحظة إبتداء من الملاحظة المعملية الدقيقة وإنتهاء بالملاحظة المنطقية. أهم أعماله «حضور الذات فى الحياة اليومية» وصدر فى عام ١٩٥٩ ثم كتاب «المقابلات والوقائع» وصدر ١٩٦١ وكتاب «المقدسات» وصدر ١٩٦١.

الأغراض:

إهتم جوفمان إهتماماً أساسياً بالطريقة التى يقدم بها الفرد نفسه للآخرين فى مواقف العمل اليومية، وبالطريقة التى يوجه بها انطباعات الغير عنه، ويتحكم فيها، وأنواع الاشياء التى يغفلها أو يتجنبها، وقد ركز جوفمان على التحكم فى الانطباعات أثناء التفاعل، ومن ثم أكمل تأكيد بلومر على الجوانب الرمزية للتفاعل، عندما درس الحالة التى يسعى بها الفاعل إلى اعطاء أفضل صورة من التفسيرات تفسر سلوكه لدى الغير ومرة ثانية فقد كان التركيز على الجوانب الفردية للتفاعل الاجتماعى.

الافتراضات:

صاغ جوفمان عدداً من الافتراضات تتعلق بعملية الابداع. وهذه الإفتراضات هى:

١- تعد مصادر المعلومات أو الصور المتبادلة أساسية ككل عملية من عمليات التفاعل، وهكذا تحدد المعلومات عند الفرد الموقف كما تحدد المعلومات توقعات الادوار المتبادلة والأمر الذى له أهمية فى هذا الشأن هو الأساليب الخاصة التى يستعملها الأفراد لتقديم أنفسهم والأوضاع الخاصة التى تستخدم فيها هذه الأساليب.

٢- يحدث الأداء أثناء التفاعل فى شكل نمطى، ويستخدم نشاط الشخص المشارك فى مناسبة خاصة للتأثير على المشاركين الآخرين بطريقة ما، واثناء هذا الاداء قد يؤدى الفرد الدور المتوقع منه كله أو يؤدى دوراً غيره، أو يؤدى نمط فعل لم يتوقع منه.

٣- ويجوز أن يقنن هذا السلوك ويأخذ شكل الطابع المظهرى، أى ذلك الجزء من أداء الفرد الذى يؤدى وظائفه بانتظام بطريقة عامة وثابتة لتعرف الموقف عند من يلاحظ الاداء ، ويتأثر هذا الطابع المظهرى من السلوك بمكان وزمان المشهد - أى البيئة الطبيعية والمظهر الشخصى- والزى والعمر والجنس ...الخ والمظهر (وهى دلائل على مركز الفاعل) والعرف والشمائل (مؤشرات على السلوك المنتظر). ويتوقع الثبات والتماسك بين كل تلك العناصر.

٤- وعلاوة على ذلك، تنزع المظاهر الاجتماعية لأن تأخذ صورة التنظيم خاصة بالإشارة إلى الأدوار الراسخة رسوخاً معروفاً.

٥- يأخذ السلوك فى نطاق المظاهر الاجتماعية شكل الطابع المسرحى (عندما يكون من الضرورى إتخاذ قرارات فورية) وصورة الطابع المثالى (أداء السلوك محتذياً بأنماط اجتماعية مرتبطة بدور خاص).

٦- الاداء لا ينفصل عن سلوك الدور، ويرتبط مع سلوك الغير، فعندما يترابط ويتفاعل الأشخاص الذين يؤدون السلوك إرتباطاً داخلياً أو يتعاضدون سوياً، فإنهم يكونون فريقاً، أو مجموعة من الأفراد يتعاونون فى اخراج عمل متواتر مميز، ويتعاضد أعضاء الفريق سوياً فسلوك كل عضو منهم مألوف فى توجيه سلوك الآخرين إلى حداً ما.

٧- وعلاوة على ذلك يمارس الفريق السلوك فى مناطق معينة، أى يؤدى سلوكه فى اماكن طبيعية خاصة، وتشكل قواعد الآداب واللياقة والذوق واللباقة والنظام العام نمط السلوك أمام الآخرين، أما عندما ينفرد الإنسان بنفسه فقد يؤدى أشكالاً من السلوك تعبر عن الضجر والكلل والإعياء من التظاهر بالتمسك بقواعد الآداب والسلوك.

وبإيجاز فالتفاعل الاجتماعى، وخاصة الذى يأخذ الشكل المعيارى أو النمط الأخلاقى يعد وظيفة للسيطرة على الإنطباع تؤدى فى مواجهة خاصة، تقوم بها جماعات وفرق اداء خاص وفقا لقواعد بنائية فى اماكن خاصة. ووفقاً لهذا النمط من التحليل، يحدد تبادل المعلومات المتاحة التفاعل، الذى يصبح صيغة معيارية ترتبط بخصائص الموقف وأداء الدور، ويقنن هذا النموذج مدخل بلومر بتحديد عوامل الموقف التى تؤثر على العملية الحقيقية الواقعية للتفاعل الرمزى.

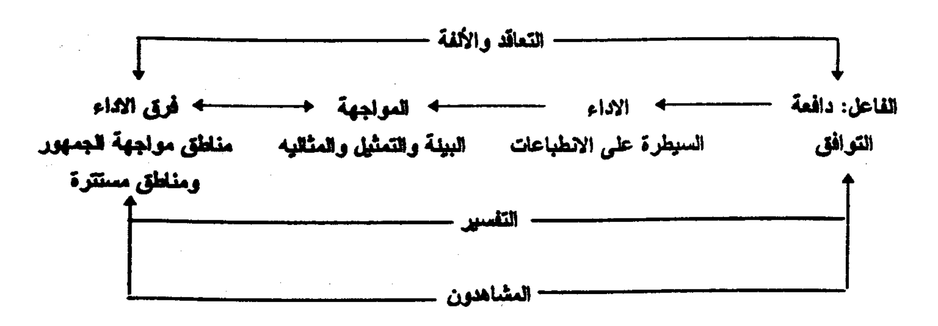
المنهج:

يعتمد منهج جوفمان على اسلوب فى التحليل لايخضع الأنماط المختلفة من أنماط التفاعل اليومى لقواعد المنطق، اذ يطبق هذا المنهج مبدأ المماثلة المسرحية أو الدراما، عند تحليل التفاعل الاجتماعى، أى أنه يرى أن التفاعل الاجتماعى يشبه أو يقابل ما يحدث على خشبة المسرح. وهذا توضيح آخر لدراسة مظاهر الادوار المرتبطة بالموقف، وهى مفهومات أكثر نمطية من مفهومات نظرية الدور التقليدى، وكما يحدث فى كثير من صيغ النظرية الاجتماعية فالمنهج هنا يطبق نماذج من خارج علم الاجتماع لتفسير ظواهر المجتمع موضوع البحث.

النمط:

ومثل نمط بلومر، يتكون نمط جوفمان النظرى من نموذج خاص للحقيقة الاجتماعية، وهذا النمط يتكون من عوامل أساسية تحدد التفاعل الاجتماعى، وهذه العوامل هى: الفاعل الممثل الذى يواجه الدافع والأداء أو التمثيل أى القيام بأداء الفعل بتأثير الانطباع والعمل على السيطرة على الانطباع، والمظهر الخارجى، وفريق الأداء لما لهم من تصرفات واضحة ظاهرة وتصرفات خفية، ويؤدى الاعتماد المتبادل والألفة إلى ارتباط الفرد مع الفريق، وتمثل هذه العناصر عوامل أساسية أو دعائم فى الأداء المسرحى أو الدرامى، ويقصد بذلك التفاعل الاجتماعى. ويلخص لنا شكل رقم ٧٨ هذا النمط.

شكل رقم ٧٨
نمط جوفمان



الخاتمة:

وتبعاً لأراء جوفمان ، فالتفاعل محصلة التحكم فى الانطباع الذى يؤديـه الأفـراد أو فريق الاداء فى المواقف الظاهرة، أو بتعبيره أمام النظارة على خشبة المسـرح، ومـن ثم يحدد ويعـرف التفـاعل بأنـه الاسـتفاده مـن أنـواع معينـة مـن المعلومـات المتاحـة وتبادلها، وتقوم خصائص الموقف وأداء الأدوار المرتبطة به بتحديد معايير الأداء.

وتثير أراء جوفمان قضايا هامة يدور حولها الخلاف:

١- إلى أى مدى يعد إطار العمل المسرحى مجرد مماثلة أو منظور بـدلاً مـن كونـه نظرية اجتماعية.

٢- إلى أى حد يصف إطار العمل المسرحى التفاعل ويفسره.

٣- لما كان جوفمان يعرف التفاعل بأنه التحكم فى الانطباعات فما الذى يمكننـا أن نعرفه عن الذات الحقيقيه للفرد إذا ما إستخدم هذا الإطار.

٤- لما كان هذا النموذج يعتمد على بيانـات لا تخضـع لقواعد المنطـق وانطباعيـة، فإنه يصبح نموذجاً مشكوكاً فيه، ورغم كل شيئ، فقد أسـهم جوفمـان فـى شـرح التفاعل الاجتماعى على مستوى الفرد.

ويلخص شكل رقم ٧٩ إطار العمل النظرى عند جوفمان.

شكل رقم ٧٩

ملخص إطار العمل النظرى عند جوفمان

النشأة:

١- درس فى جامعة تورنتو وجامعة شيكاغو
٢- مارس العمل الجامعى فى جامعة باركلى
٣- إهتم بالتفاعل الاجتماعى

الأغراض:

تحليل وإظهار الذات خلال التفاعل الاجتماعى

الافتراضات:

١- اهمية الصور المتبادلة
٢- يتم الأداء على شكل نمطى
٣- ظهور عملية الطابع المظهرى
٤- تنظيم عملية الطابع المظهرى
٥- التمثيل على مسرح الحياة فى طابع مثالى
٦- فرق الأداء
٧- مناطق الأداء

المنهج:

تطبيق المماثلة المسرحية عند تحليل التفاعل الاجتماعى

النمط:

نموذج الأداء المسرحى عند التفاعل الاجتماعى

القضايا:

١- افتقاد النظرية
٢- الوصف بدلاً من التفسير
٣- افتقاد التبصر فى الذات الحقيقية
٤- الأساس الذى تقوم عليه البيانات الإنطباعية

ملخص النمط الشمولى
للنظرية الاجتماعية النفسية

لقد كشف لنا بلومر وجوفمان أثناء اهتمامهما بتطوير مدخل التفاعل الرمزى عن عدد من القضايا المشتركة.

١- انتماؤهما سوياً إلى مدرسة شيكاغو والأفكار السائدة فى جامعة باركلى.

٢- تركيزهما على تحليل التفاعل الاجتماعى باعتباره موضوعاً أساسياً فى نظرية كل منهما.

٣- التركيز على تبادل المعلومات باعتباره أساس التفاعل الاجتماعى.

٤- التأكيد على أن التفسير الاجتماعى عملية تبادل أى عملية تسير فى اتجاهين بين الفاعل والغير.

٥- التأكيد على السلوك الاجتماعى باعتباره فكرة أساسية فى إطار عملهما.

٦- النظر إلى البناء الاجتماعى، باعتباره يقوم على التفاعل ومن ثم فالبناء مؤقت ديناميكى.

٧- طبق كل منهما المنهج الاستقرائى على مستوى الوحدة الصغيرة، عند تحليل الحقيقة الاجتماعية.

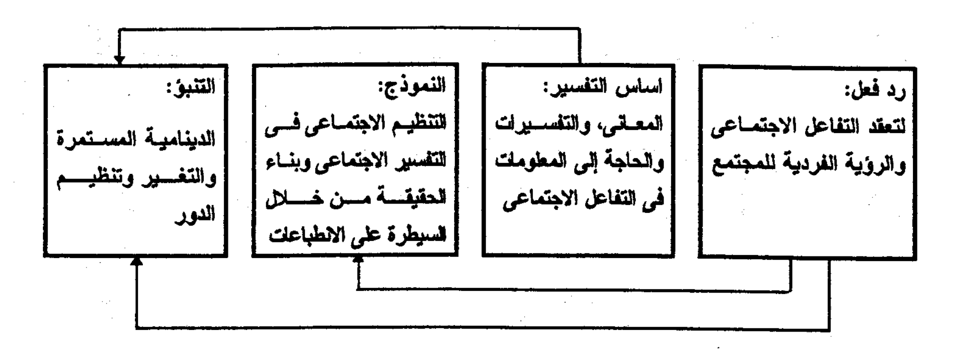
٨- عرض كل منهما واستخدم المناهج الاسقاطية والملاحظة لجمع البيانات وتحليلها.

٩- حدد كل منهما نماذج للحقيقة الاجتماعية على مستوى المدى المتوسط.

١٠-أثار كل منهما قضايا تتعلق بنمط النظرية التى إهتما بها، والمعلومات التى تستند عليها هذه النظرية.

وعلى العموم فهذا النمط من النظرية يعنى بالوحدات الاجتماعية المكونة من عدد صغير من الأفراد، ويؤمن بالديناميكية، ويهتم بفكرة النسق، ويعبر عن محاولة لاكتشاف رؤية جديدة للظواهر الاجتماعية تعكس عملية التفسير الكامنة فى ديناميكية التفاعل. ويلخص لنا شكل رقم ٨٠ الخصائص الاساسية لهذا النمط.

شكل رقم ٨٠
بناء النظرية الاجتماعية النفسية الشموليه



النمط الطبيعى فى النظرية الاجتماعية النفسية

يعكس هذا النمط مدى الإهتمام بدراسة الوحدة الصغيرة، وتطبيق المنهج الاستقرائى، ويهتم هذا المدخل بالحالات الداخلية وتطبيق المنهج الاستبطانى عند دراسة الظواهر الاجتماعية. بيد أن أعمال بلاو وجارفينكل يمكن أن ينظر إليها باعتبارها مدخلاً متطرفاً فى النزعة الطبيعية. بقدر ما رأى بلاو أن جذور هذه الظواهر الاجتماعية تمتد إلى العمليات النفسية البدائية بقدر ما رأى جارفينكل أن دوافع الفرد متطابقة مع النظام الأخلاقى . ورغم ذلك فقد صاغ كل من بلاو وجارفينكل نظرية جديدة فى علم الاجتماع عن الحقيقة الاجتماعية، ومرة أخرى نوضح أن الخلاف بين هذا النمط وأنماط التفسير الأخرى هو خلاف فى الدرجة وليس حول طبيعة التفسير، وعلى العموم فالنظرية المعاصرة فى علم الاجتماع تؤمن بالنسق وتحمل بضعة آثار للنزعة الطبيعية إذ أن نموذج «الإنسانية الاجتماعية» قد سيطر على كل الاراء الرائدة فى تفسير النظام الطبيعى، بيد أن هذه الآثار الطبيعية تظهر بوضوح وتتطلب الدراسة، وعلينا الآن أن نتحول لدراستها.

بيتر بلاو ١٩١٨

النشأة:

ولد بلاو فى النمسا، وشغل وظائف متباينة، وحصل على درجة الليسانس من جامعة أمهورست فى عام ١٩٤٢، ونال درجة الماجستير من جامعة كمبردج فى عام ١٩٥٠، وأنجز رسالته لنيل درجة الدكتوراه فى عام ١٩٥٢ من جامعة كولومبيا، وشغل وظيفة أستاذ فى جامعة شيكاغو من عام ١٩٥٣ إلى عام ١٩٧٠ ثم عاد للعمل فى الجامعة نفسها والتى تخرج فيها. أهم أعماله، «ديناميكية البيروقراطية» صدر عام ١٩٥٥ «والتبادل والقوة فى الحياة الاجتماعية» وصدر عام ١٩٦٤ ثم «بناء التنظيمات» ونشر عام ١٩٧١، وتبين كل هذه المؤلفات كيف أنه إهتم بصياغة نظرية عامة عن التبادل فى الحياة الاجتماعية.

الأهداف:

إهتم بلاو إهتماماً أساسياً بتحليل الروابط الاجتماعية والعمليات التى تحكم هذه الروابط وتشكلها، وعلاوة على ذلك رأى بلاو أن العملية التى تسيطر على هذه الروابط هى عملية التبادل الاجتماعى وتبدأ من المستوى الفردى ثم تتحرك إلى مستوى الجماعة الصغيرة فالمجتمع الأكبر. وقد حاول بلاو جاداً أن يضع لنا نظرية علمة عن التبادل الاجتماعى.

الإفتراضات:

تحاول كل إفتراضاته تطبيق عملية التبادل على التنظيمات الاجتماعية وصاغ لنا بلاو عدداً من الفروض الأساسية:

١- يفترض بلاو أن عمليات الروابط الاجتماعية الأكثر تعقيداً، تنبع من عمليات بسيطة، أى أن نشوء التنظيم الاجتماعى يستند على عملية استقرائية تبدأ من عمليات على مستوى الوحدات المكونة من عدد صغير من الأفراد.

٢- افترض بلاو أن قوى الجاذبية الاجتماعية هى التى تدفع إلى اجراء عمليات التبادل. وتمتد جذور هذه القوى، أى مشاعر الانجذاب والرغبات فى أنواع

مختلفة من المكافآت، إلى العمليات النفسية البدائية عند الإنسان، وهكذا يؤدى الجذب ودافع الثواب إلى تبادل الموارد، وهى الخطوة الأولى فى عملية الروابط الاجتماعية.

٣- وما أن يتحقق التبادل، حتى يبدأ تباين المراكز والقوة. وهكذا فالفرد الذى يمتلك الموارد التى يحتاج إليها الآخرون، والذى لايعتمد عليهم بأية حال من الأحوال، يكوّن موقفاً فيه يذعن الآخرون لمطالبة وأوامره لإشباع مطالبهم وفقاً لرغباته، وبهذه الكيفية يؤدى التبادل إلى تباين المراكز والقوة.

٤- إذا كانت مزايا الإذعان- حسب افتراض بلاو- تفوق مظاهر الصعاب التى تعترض سبيل الإذعان، فستظهر الموافقة الجماعية لموقف القوة مما يؤدى إلى الإجماع، وصدور التشريعات النهائية. وهكذا تصبح السلطة التشريعية أساس التنظيم، وتؤدى إلى إنجاز أهداف مختلفة والاستقرار التنظيمى، وتنظيم القيم والمعايير والمبادئ ونقل المعرفة.

٥- وقد يظهر الرضا وقبول السلطة من جهة، لكن ثمة أفراداً يشعرون بالاستغلال لأنهم يتقاضون مكافآت غير كافية، ومن ثم تنتقل بينهم مشاعر الغضب والإحباط والعدوان مما يؤدى إلى رفض جمعى للقوة، وظهور القوى المعارضة العدوانية إزاء الجماعة التى تمسك بزمام السلطة أو التى تسيطر على الموقف.

٦- ويترتب على ذلك، فإنه بينما تؤدى عملية التبادل إلى توازن القوى والضغط نحو تحقيق الإستقرار والتعادل فى العلاقات، فإن الإخلال فى نسبة الاجور مقابل العمل قد يؤدى إلى عدم التوازن فى العلاقات ويفضى إلى المعارضة والصراع والتغير الاجتماعى.

٧- ونتيجة لذلك فالاجراء الآنى للقوى المختلفة المتوازنة ينزع إلى توليد حالة من عدم الاستقرار وعدم التوازن فى الحياة الاجتماعية مما يؤدى إلى حالة جدلية مستمرة بين تبادل المنافع وعدم التوازن. وهذه الجدلية أساس ديناميكية المجتمع، ويقود التبادل إلى البناء والعملية والاستاتيكا والديناميكا.

ومجمل افتراضات بلاو أن مشاعر الجذب والانجذاب والرغبة فى أنواع معينة من الثواب يؤدى إلى ظهور عمليات التبادل، وهذه بدورها تؤدى إلى التباين فى المراكز والقوة وصدور التشريعات أساس التنظيم الاجتماعى، بيد أن تبادل المنافع يؤدى إلى حالة من عدم التوازن فى معدل النفقات والجزاءات، مما يؤدى إلى عملية جدل مستمرة بين التبادل وعدم التوازن - أساس الديناميكية الاجتماعية - وحسب تلك الرؤية يرى بلاو العملية على مستوى الوحدات الاجتماعية المكونة من عدد صغير من الأفراد، ويحاول تتبع تأثيراتها على النسق الاجتماعى مما يؤدى إلى صياغة نظرية استقرائية عن البناء الاجتماعى تهتم بما يحدث فيه من عمليات.

المنهج:

كانت الخطوة الأولى عند بلاو تحديد وتعريف عمليات التبادل وتأثيراتها على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغيرة، ثم تتبع تأثيرات هذه العمليات على الجماعة حتى مستوى التحليل الاجتماعى والتنظيمى. وينظر إلى هذا المنهج باعتباره منهجاً إستقرائياً يدرس الوحدة الاجتماعية الصغيرة، ويعارض منهج بارسونز الذى يسعى إلى وضع نظرية عامة عن المجتمع استناداً على عدد محدود من القضايا. ويؤدى إستخدام هذه الإفتراضات المبسطة إلى صياغة نتائج مبسطة وعامة.

النمط:

يعبر نمط بلاو عن نمط للواقع الاجتماعى، ويتكون هذا النمط من العناصر الآتية:

١- الفرد يتأثر بالتجاذب الاجتماعى ودوافع الاجور مقابل العمل.

٢- عملية التبادل الاجتماعى.

٣- ومحصلة ما سبق تباين المراكز والسلطة.

٤- يؤدى تنظيم وتشريع هذا التباين إلى التوازن.

٥- عدم التوازن يؤدى إلى المعارضة والتغير.

٦- تؤدى الجدلية الناشئة بين التبادل وعدم التوازن إلى الديناميكية الاجتماعية.

ويلخص لنا شكل ٨١ ذلك النموذج الاستقرائى للحقيقة الاجتماعية الموجه إلى دراسة العمليات.

شكل رقم ٨١

النمط عند بلاو

الفرد ← عملية التبادل ← تباين المركز والسلطة ← التنظيم والتشريع والتوازن ← عدم التوازن والمعارضة ← الجدلية والتبادل

مشاعر التجاذب والدافع إلى نيل الأجر مقابل العمل — تبادل الموارد

خاتمة:

ركز بلاو فى محاولته تحليل العمليات التى تحكم الروابط بين الناس على عملية التبادل الاجتماعى على مستوى الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم لتفسير عمليات لاحقة، وهى تباين المركز والسلطة وتنظيم هذا التباين وتشريعه، وعدم توازن هذا التباين وظهور المعارضة، ومحصلة ذلك كله الجدلية الناشئة بين التبادل وعدم التوازن – أساس الديناميكية الاجتماعية. ويعبر هذا المدخل عن محاولة لتفسير البناء إلى مستوى الوحدة الصغيرة ويهتم بالعمليات الاجتماعية، ويستخدم المنهج الاستقرائى مما يؤدى إلى محاولة فريدة لصياغة نظرية عامة عن العمليات الاجتماعية والبناء الاجتماعى، معتمداً فى ذلك على عمليات تدور حول مستوى الوحدة الاجتماعية الصغيرة الحجم.

وتثير آراء بلاو بعض القضايا التى لم تحسم بعد:

١- رغم أن بلاو كان واعياً بمشكلة المصادرة على المطلوب والنزعة التحليلية، فما زالت قضية اهتمامه بدراسة تلك التوجهات دراسة مقنعة باقية دون حل.

٢- قد ينظر إلى إطار عمله باعتباره فضفاضاً حتى يبدو أن الاستفادة منه لفهم المجتمع أو الموقف الاجتماعى محدودة.

٣- قد تبدو فكرته عن السعى نحو تحقيق التوازن مماثلة لاستخدام البنائية الوظيفية لهذا المفهوم.

٤- كانت مناقشته للشروط التى تؤدى إلى ظهور المعارضة والتغير فضفاضة جداً.

ورغم تلك الإنتقادات، تمثل محاولة بلاو جهداً طيباً لبناء نظرية استقرائية هامة عن المجتمع أساسها عمليات على مستوى الأفراد. ويلخص شكل رقم ٨٢ إطار العمل عند بلاو.

شكل رقم ٨٢

ملخص إطار العمل النظرى عند بلاو

النشأة:

١- تعلم فى جامعة كولومبيا

٢- مارس التدريس فى جامعة شيكاغو

٣- الاهتمام بالعمليات التنظيمية

الأغراض:

تحليل الروابط الاجتماعية وعمليات التحكم

الافتراضات:

١- عمليات معقدة للروابط تنجم عن عمليات بسيطة

٢- يحث التجاذب الاجتماعى على التبادل

٣- يفضى التبادل إلى تباين المراكز والسلطة

٤- قد ينشأ عن ذلك تنظيم وتشريع السلطة

٥- كما قد يمكن من ظهور الاستياء الجماعى والمعارضة الجمعية

٦- قد يؤدى عدم التوازن فى العلاقات إلى الصراع

٧- تمثل الجدلية المستمرة بين التبادل وعدم التوازن أساس الدينامية الاجتماعية.

المنهج:

تطبيق نظرية التبادل باستخدام الاستقراء على مستوى الأفراد.

النمط:

مثال تبادلى للحقيقة الاجتماعية.

القضايا:

١- المصادرة على المطلوب والنزعة التحليلية

٢- تتصف قضاياه بأنها عامة وفضفاضة

٣- التماثلات مع البنائية الوظيفية

٤- شروط فضفاضة للمعارضة والتغير

هارولد جارفينكل ١٩١٧

النشأة:

تلقى جارفينكل دراسته الجامعية بجامعتى يورك ونورث كارولينا، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد ١٩٥٠. وقد أشرف تالكوت بارسونز على رسالته لدرجة الدكتوراه. ومنذ الستينيات شغل وظيفة استاذ علم الاجتماع فى جامعة كاليفورنيابلوس انجلوس. وركز اهتماماته الفكرية على دراسة التنظيم الاجتماعى والمعرفة والعلم والاثنوميتودولوجى(*) - وهو طريقة دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها- وهو مجال أسهم فى إثرائه إثراء كبيراً. وقد أحتوى كتابه «الاثنوميتودولوجى» - الذى صدر فى عام ١٩٦٧ معظم أعماله.

الأهداف:

عرف جارفينكل الاثنوميتودولوجى بأنه «طريقة البحث عن الخصائص العقلانية للتعبيرات المرتبطة بالقرائن والمؤشرات والأفعال العملية مثل الانجازات المستمرة العارضة التى تنجم عن التطبيقات العملية المنتظمة فى الحياة اليومية»، وبعبارة أبسط فقد إهتم جارفينكل بكيفية قيام الأفراد بترشيد الحقيقة الاجتماعية أو أخذ فكرة صائبة عنها فى الحياة اليومية أو التفاعل، وخاصة أثناء تبادل الحديث والتفاعل. فالنظم الاجتماعية والنظام الاخلاقى يوجدان داخل التفاعل حسب الطريقة التى يفسر بها الأفراد الحقيقة ويتعلمونها أو يفهمونها أو يأخذون فكرة صائبة عنها. ومن ثم فقد إهتم جارفينكل بعملية أخذ فكرة صائبة عن الاشياء،أى تفسير الحقيقة الاجتماعية.

ويختلف هذا المدخل اختلافاً جذرياً عن علم الاجتماع التقليدى والذى يتضمن فرض مفهومات وتعريفات مسبقة عن الحقيقة على المعلومات التجريبية، وعلى نقيض ذلك تهتم طريقة دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها بالطريقة التى يبدع بها

(*) سنستخدم مصطلح «طريقة دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها» ترجمة للمصطلح الانجليزى الاثنوميتودولوجى. المترجم.

الأفراد – وهم المعطيات نفسها الحقيقة الاجتماعية أثناء التفاعل الاجتماعى. ولقد كان المدخل الأساسى لجارفينكل هو دراسة عملية التفسير الاجتماعى، وعملية التفسير الاجتماعى هذه التى يقوم بها الأفراد أنفسهم هى أساس التنظيم الاجتماعى. كما يتفهمها المشارك من وجهة نظره.

الافتراضات:

من الممكن أن نجرد عدداً من الافتراضات الأساسية تكمن فى أعمال جارفينكل.

١- افترض جارفينكل وجود نظام أخلاقى هو البناء الاجتماعى ذو القيم المعيارية – ويمثل النظام الاخلاقى أساس التنظيم الاجتماعى، وهو موضوع بحث علم الإجتماع.

٢- يقبل المشاركون فى الحياة اليومية هذا النظام الاخلاقى، ويعتبرونه تحديداً للحقيقة الاجتماعية.

٣- ترجع التنظيمات إلى هذا النظام الاخلاقى، أى أنه يمثل أساس تفسير الحقيقة الاجتماعية.

٤- يسعى الأفراد إلى جعل دوافعهم متطابقة مع النظام الأخلاقى لتفسير الحقيقة الاجتماعية، أى أنه يريد أن يضفى الصواب على أعماله اليومية وسلوكه فى الحياة اليومية، ويفسره بالرجوع إلى النظام الاخلاقى وهكذا يسعى الناس أن تكون أنشطتهم متلائمة مع هذا النظام الاخلاقى، ليتسنى فهمها وتبريرها عقلانياً لأنفسهم.

٥- وعلاوة على ذلك ، ولما كانت عملية التفسير العقلانى تحدث فى كل مجالات السلوك، فإنه يفترض أن كل بناء اجتماعى ينظم نفسه، أى أن كل المواقف الاجتماعية تنظم نفسها من خلال محاولة الاعضاء إضفاء المعقولية على الموقف.

٦- يتصف هذا التنظيم بالديناميكية، مادام هذا التنظيم يتحقق من خلال التفاعل.

٧- يفترض عادة أن تلك العملية التنظيمية هى التى تكون الحقيقة الاجتماعية فى مقابل التفسير المفروض من العلماء والاجتماعيين التقليديين.

٨- افترض جارفينكل - متأثراً بأعمال ألفريد شوتز - أن عملية التعقل تتكون من عدد من العناصر المتميزة: التصنيف والمقارنة، واحتمال الخطأ المقبول أى الدقة - والبحث عن الوسائل، وتحليل البدائل، وتحليل النتائج والاستراتيجية والاهتمام بالتوقيت والتنبؤ، وقواعد الاجراءات والإختيار وأسس الإختيار، ويستخدم الفرد تلك العمليات لبلوغ العقلانية، أو يجعل من النشاط اليومى صواباً.

وبإيجاز إن محور اهتمام علم الاجتماع هو النظام الأخلاقى، كما يتحقق داخل الممارسات المنظمة للحياة اليومية، وأثناء سعى الفرد نحو تحقيق العقلانية، والمواءمة مع هذا النظام، وأثناء تفاعله مع الآخرين، وتبعاً لذلك فالتنظيم الاجتماعى، تنظيم ديناميكى، ومستمر ويعبر عن نظام تفاوض بين الأفراد المتفاعلين، كما يفسرون باستمرار الحياة اليومية ويسعون إلى جعل سلوكهم فى الحياة اليومية صواباً فى نظر الآخرين.

المنهج:

يتضمن منهج جارفينكل فى المقام الأول تطبيق إفتراض شوتز التفصيلى عن العقلانيات ونماذج الحقيقة الاجتماعية فى مجال علم الاجتماع، وفى مجال البيانات الاجتماعية. ومن جهة أخرى تتضمن مناهجه التجريبية محاولة دراسة العمليات العقلانية بطرق مختلفة مثل، تحليل الحوار، ودراسة حالات أنماط خاصة من الناس، وإجراء بعض التجارب فيها يخضع الأفراد لمواقف متمشية مع النظام الأخلاقى، وملاحظة تفسيرات الناس لما يواجهونه فى هذه المواقف ويفترض فى تلك المواقف عدم الثقة، كما يلاحظ ردود أفعال الآخرين.

وتلقى كل هذه النماذج الضوء على الكيفية التى بها يؤثر النظام الأخلاقى أثناء عمليات التفسير عند الفرد عندما يسعى لتحقيق التوافق مع النظام الأخلاقى، وإضفاء العقلانية على أفعاله، وتتضمن النماذج التى قدمها جارفينكل أمثلة من سلوك المحلفين والقضاه والمحامين والباحثين.

النمط:

يتضمن نموذج جارفينكل عن الحقيقة الاجتماعية النظام الاخلاقى - وهو التنظيم الاجتماعى - الذى يؤثر بفاعلية على دافع الفرد للتوافق مع النظام الاجتماعى وإضفاء العقلانية على انشطته فى الحياة اليومية. ونتيجة لذلك تمارس العملية العقلانية أثناء التفاعل فى كل المواقف الاجتماعية من أجل تحقيق التنظيم الاجتماعى. ويعبر التنظيم الاجتماعى عن حالة ديناميكية ومستمرة، وعلاوة على ذلك تتضمن الخصائص النمطية للعقلانية عدداً من العناصر الأساسية مثل تلك التى حددها شوتز ويوضح لنا شكل رقم ٨٣ هذا النموذج.

شكل رقم ٨٣

النمط عند جارفينكل

النظام الاخلاقى ←	الفـــرد ←	العقلانية أثناء الفاعل الاجتماعى
١- يتصف النظام الاخلاقى بالتنظيم وتوحد الأفراد له. ٢- هو الاساس الذى يقوم عليه التنظيم الاجتماعى	الدافع إلى التوافق مع النظام الاخلاقى والعقلانية فى الحياة اليومية	١- التصنيف والمقارنة ٢- الخطأ المقبول ٣- البحث عن الوسائل ٤- تحليل البدائل ٥- الاستراتيجية ٦- التوقيت ٧- التنبؤ ٨- قواعد الاجراءات ٩- الاختيار ١٠- قواعد الاختيار

الخاتمة:

يرى جارفينكل أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة النظام الاخلاقى الذى يؤثر من خلال الممارسات المنظمة للحياة اليومية على دوافع الفرد إلى العقلانية والتوافق مع هذا النظام أثناء تفاعله مع الآخرين، وتبعاً لذلك يتصف التنظيم الاجتماعى بالديناميكية والاستمرارية، ويعبر التنظيم الاجتماعى عن نظام تفاوض بين الأفراد الذين يتفاعلون سويا والذين يفسرون باستمرار الحياة اليومية ويحاولون جعل سلوكهم صائباً فى الحياة.

ولقد أثار نموذج جار فينكل جدلاً كبيراً، وأثار قضايا هامة مميزة كانت محل حوار وجدل:

١- يمكن أن ينظر إلى طريقة دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها، عند تأكيده على النظام الأخلاقى للقيم المعيارية والتوافق والعقلانية باعتبارها شكلاً آخر من البنائية الوظيفية فى خصائصه الكلية والوحدة الكبيرة والعمومية.

٢- يعد طريقة دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها مثل التفاعلية الرمزية منظوراً فى الدراسات الاجتماعية العلمية، ولايرقى إلى مستوى النظرية ويكشف هذا النموذج عن ثغرات نظرية كثيرة فى النموذج الآلى المبسط عن الحقيقة الاجتماعية.

٣- وثمة مشكلة أخرى هى المدى الذى يبدو فيه أن جارفينكل أهمل السياق البنائى الذى تظهر فيه العقلانية أى أهمل تأثيرات خصائص الجماعات المختلفة على هذه العملية.

٤- ويمكن ان تطبق مشكلة التحليل إلى العناصر على مستوى الوحدة الصغيرة كما ظهرت فى أعمال بلاو على منهج دراسة كيفية ترشيد الشعوب لسلوكها أى تصير كل مظاهر النسق الاجتماعى دالة على عمليات التوافق والعقلانية.

شكل رقم ٨٤
ملخص إطار العمل النظرى عند جارفنكل

النشأة:

١- تعلم فى جامعة هارفارد
٢- مارس العمل الاكاديمى كأستاذ علم الاجتماع فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس
٣- الاهتمام بالتنظيم الاجتماعى

الأغراض:

فهم الخصائص العقلانية للحياة اليومية

الافتراضات:

١- وجود نظام اخلاقى
٢- النظام الاخلاقى مقبول ويحدد الحقيقة
٣- ترجع التنظيمات إلى النظام الاخلاقى
٤- دافع الفرد هو الرغبة فى التوافق مع هذا النظام الاخلاقى
٥- أى بيئة اجتماعية هى تنظيم ذاتى
٦- التنظيم ديناميكى ويحدث خلال التفاعل
٧- تشكل العملية المنظمة الحقيقة
٨- عملية الترشيد تتكون من عشر عمليات نمطية

المنهج:

تطبيق أنساق شوتز عن العقلانية ونموذج الحقيقة الاجتماعية على الظواهر الاجتماعية

النمط:

نموذج عملية الترشيد

القضايا:

١-التماثل مع النزعة البنائية الوظيفية
٢-إفتقاد النظرية
٣-إهمال السياق البنائى
٤-مشكلات التحليل على مستوى الافراد

ورغم ذلك فقد كشف لنا جار فينكل عن بديل ديناميكى وجذرى عكس لنا تغيرات متطرفة طرأت على النظرية الاجتماعية التقليدية فى علم الاجتماع وترجع أهمية هذه التغيرات إلى كونها بداية تحقيق اعتراف بعلم الاجتماع المعاصر ويلخص لنا شكل رقم ٨٤ اطار العمل النظرى عند جارفينكل.

ملخص للنزعة الطبيعية
فى الدرسات الاجتماعية النفسية

لقد كشف لنا بلاو وجارفينكل عن عدد من أوجه الإتفاق بينهما:

١- دراسة أساس التنظيم الاجتماعى.

٢- تحديد أساس التنظيم الاجتماعى باعتباره عملية خاصة للتبادل أو العقلانية.

٣- النظر إلى البناء الاجتماعى باعتباره فى حالة ديناميكية ووقتى.

٤- النظر إلى الحقيقة الاجتماعية باعتبارها متوحدة داخل الفرد.

٥- وضع كل منهما نماذج للحقيقة الاجتماعية تستند إلى عمليات التفاعل.

٦- إستخدم كل منهما المنهج الاستقرائى على مستوى الوحدة الاجتماعية المكونة من عدد صغير من الأفراد.

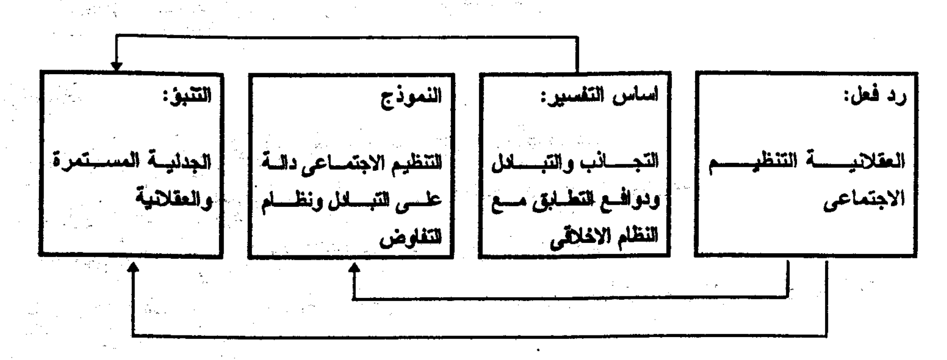
٧- طبق كل منهما إطار عمل من خارج علم الاجتماع عند تحليل التنظيم الاجتماعى.

٨- أثار كل منهما قضايا أساسية حول مدى رد السلوكية الاجتماعية إلى البنائية الوظيفية.

وهذا النمط من النظرية الاجتماعية النفسية يهتم بالوحدات الصغيرة ويعتمد على المنهج الاستقرائى ويؤمن بالديناميكية. ويلخص لنا شكل ٨٥ الخصائص الأساسية لهذا النمط.

شكل رقم ٨٥

بناء النظرية الاجتماعية النفسية ذات الاتجاه الطبيعي



ملخص نموذج النزعة الاجتماعية النفسية

ولقد صورنـا فـى بدايـة هذا الفصـل هذا النـوع من النظريـة باعتبـاره رد فعل مجموعة من المفكرين الملمين بتعاليم مدرسة شيكاغو فـى عدة ظـروف أهمهـا تطبيق مفهومات النزعة الفردية القديمة عن المجتمـع علـى الرؤيـة المعـاصرة، والتـأكيد القـوى على تأصيل الفردية فى الأخلاق البروتستانتية والتأثير الفكـرى لمجموعـة مـن المفكريـن الاوربيين مثل دور كيم وفيبر، ونزعة التفاؤل فى التطور عند داروين، والتـأثير السـلبى للصناعة الحديثة والبيروقراطية علـى الفـرد، وكـانت النتيجـة رؤيـة المجتمـع كمـا يكمـن داخل الفرد، وخاصة فيما يتعلق بتصوره لذاته، كذات ديناميكية تظهر من خـلال التبـادل الاجتماعى والتفاعل الاجتماعى، وتكتشف خلال عمليات الاسقاط الفردية والملاحظة.

ولقد أدت بنا دراسة بلومـر وجوفمـان وبـلاو وجـارفينكل إلـى القـاء الضـوء على عدد من التماثلات الواسعة. وباستثناء بلومر، فإن هؤلاء العلماء ولدوا فى عقـد العشرينيات، والكل إهتم بمجالات علـم النفس والتنظيـم الاجتمـاعى، وأنجـز أعمـالاً أساسية فى الابنية الاجتماعية والعمليات الاجتماعية على مستوى الوحدات الصغـيرة أو مسـتوى الأفـراد. وثمـة عنـاصر معينـة مشـتركة فـى التنشـئة الاجتماعيـة لهـؤلاء الأربعة وأعمالهم الاكاديميـة واهتمامـاتهم كذلـك تتصـف وتتمـيز نمـاذجهم بعـدد مـن العناصر المتماثلة المشتركة على النحو الآتى:

الأغراض:

التحليل الاجتماعى العلمى للتفاعل الاجتماعى.

الإفتراضات:

١- أن المجتمع يكمن فى تعريف الفرد للحقيقة الاجتماعية.

٢- هذه التعريفات ديناميكية وتبادلية داخل عملية التفاعل الاجتماعى.

٣- التفاعل الاجتماعى يحدده عدداً من الظروف المجتمعية.

٤- يؤدى التفاعل الاجتماعى إلى ظهور روابط وارتباطات وأشكال حركية أكثر تعقيداً للتنظيم الاجتماعى.

٥- يتصف التفاعل الاجتماعى بقوة ترشيد كامنة وذاتية التنظيم وهى أساس التنظيم الاجتماعى العام.

المنهج:

تطبيق عدد من النماذج القديمة أو النماذج اللااجتماعية(ميد) والمماثلة المسرحية عند تحليل التنظيم الاجتماعى واستخدام الاستقراء على مستوى الوحدات الصغيرة.

النمط:

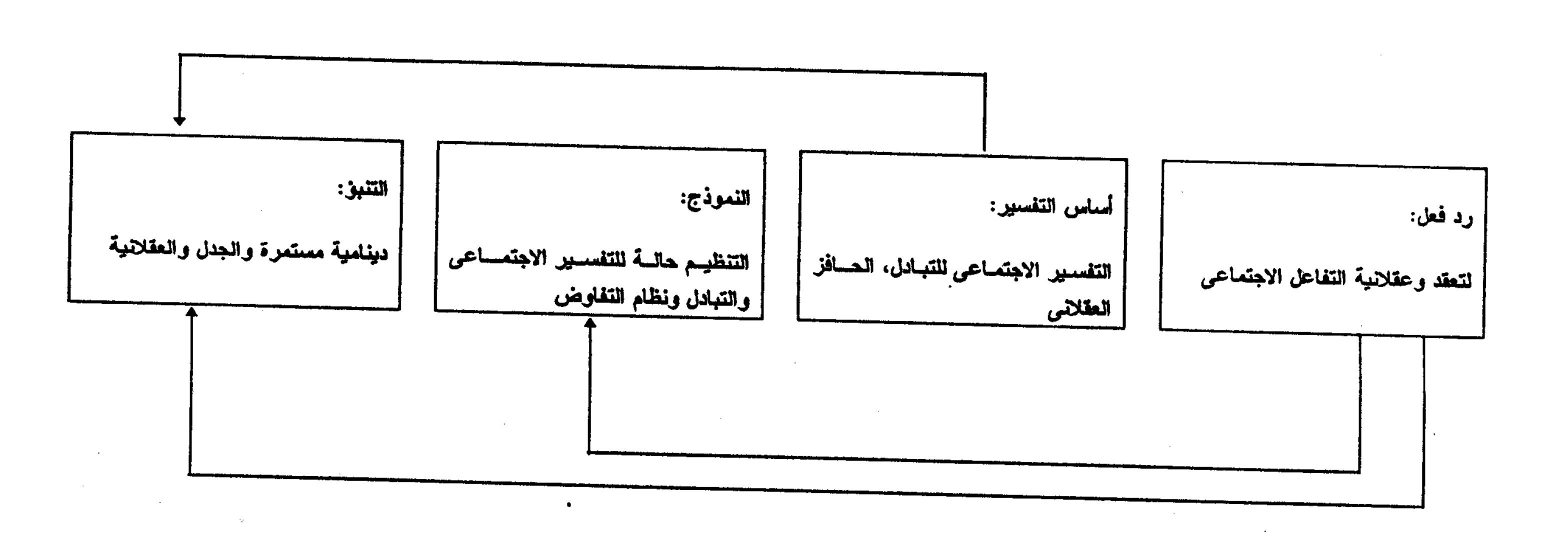
نماذج الحقيقة الاجتماعية.

يتبين لنا مما سبق أن النظرية الاجتماعية النفسية تمثل رد فعل لتحليل المجتمع المعاصر على مستوى الوحدة الصغيرة والنزعات الفردية والتوجه إلى داخل الإنسان، والتأكيد على الرمزية والاعتماد على منهج الاستقراء والديناميكية لتحليل المجتمع المعاصر. وقد آمن بهذه النظرية مجموعة من المفكرين درسوا تعاليم وأفكار ميد ومدرسة شيكاغو وعاشوا فى بيئة تسودها الثقافة والمصلحة العملية والنفعية والبيروقراطية. والتواصل بين النزعة السلوكية الاجتماعية والمدرسة الاجتماعية النفسية واضح فى التوسع والتعمق فى تطبيق النماذج التى تهتم بالوحدات الصغيرة.

ويلخص لنا شكل رقم ٨٦ العناصر الاساسية لهذا النمط من النظرية.

شكل رقم ٨٦

بناء النظرية الاجتماعية النفسية



الفصل الرابع عشر

نحو نموذج للتنظير المعاصر فى علم الاجتماع

ملخص الجزء الثالث

ولقد حددنا عدداً من النقاط الأساسية عند تحليلنا للنظرية الاجتماعية المعاصرة وهذه النقاط هى :

١- عرفنا النظرية فى علم الاجتماع الأمريكى بأنها تطبيق وتطوير للنماذج الاوربية فى بيئة جديدة تسودها الثقافة المادية والمصلحة العملية والنفعية، وأنها إلى حد كبير تعد استمراراً للنظرية الاجتماعية التقليدية، ورغم أن مضمونها أقل مثالية من النظرية التقليدية. كما أنها تعتمد على التجريب أكثر مما تعتمد النظرية التقليدية.

٢- وتبعاً لذلك فالنماذج العضوية والصراع والسلوكية الاجتماعية، تتواصل فى صورة النزعة البنائية الوظيفية، والنظرية المعاصرة للصراع، والمدرسة الاجتماعية النفسية (أو علم النفس الاجتماعى) على التوالى.

٣- حددنا جذور نظرية علم الاجتماع الأمريكى فى الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩١٨، وأنها تستند على أعمال كونت وسبنسر وداروين، وايمان بالقوانين الطبيعية والتغير الاجتماعى إلى حال أفضل، والاصلاح الاجتماعى، وتصور نظرية الفرد أساس المجتمع. وقد صاغ لنا وأبدع هذه النظرية نسبة عالية من العلماء الذين نشأوا نشأة دينية وريفية، وإهتموا اهتماماً أكبر بمشكلات امريكا الاجتماعية فى أعقاب الحرب الأهلية والتطور الصناعى والنمو الحضرى.

٤- وتبعاً لذلك عرفنا علم الاجتماع الامريكى بأنه استجابة من بعض المفكرين المحافظين أبناء الطبقة الوسطى للمشكلات الاجتماعية فى المجتمع الأمريكى فى ضوء تأثرهم بعلم الاجتماع الأوربى فى القرن التاسع عشر .

٥- ولقد حددنا عدداً من مراحل تطور النظرية الاجتماعية المعاصرة على النحو الآتى:

المرحلة الأولى: المرحلة العلمية من ١٩١٨ إلى ١٩٣٥، وفى هذه المرحلة فقد علم الاجتماع نزعته المثالية وصار أكثر اهتماماً بالتجريب العلنى، كما صار مهنة تحترف وتنظيماً اكاديمياً، **المرحلة الثانية:** مرحلة النظرية والبحث والتطبيق (١٩٣٥- ١٩٥٤)، وتتميز بالنفعية المتطرفة والنزعة المهنية وتزايد فروع علم

الاجتماع. **المرحلة الثالثة:** ظهور النظرية المعاصرة فى الصراع ابتداء من الستينيات أى تطور وظهور علم الاجتماع الراديكالى، ونظرية الصراع استجابة إلى الصراع الاجتماعى والصراع بين الجماعات العرقية والتأثيرات السلبية للبيروقراطية والتصنيع. **المرحلة الرابعة:** مرحلة التكنولوجيا ونظرية الأنساق المعاصرة فى السبعينيات أو تطبيق السيبرنطيقا ونظرية الأنساق فى علم الاجتماع المعاصر استجابة للتكنولوجيا السائدة فى المجتمع المعاصر والحاجات الاقتصادية.

٦- وإستخلصنا من ذلك أن التنظير فى علم الاجتماع الأمريكى يمثل تطبيقاً للأفكار الفلسفية الأوربية على المشكلات المتغيرة فى مجتمع تسوده المادية والمصلحة العملية والنفعية، وأخلت فيه المثالية الطريق للتجريبية والنفعية.

٧- ولقد تقدم التحليل خطوة، ووضعت ٣ نماذج فى النظرية المعاصرة، النزعة البنائية الوظيفية، والنموذج المعاصر للصراع والنزعة الاجتماعية النفسية.

٨- وينظر إلى النزعة البنائية الوظيفية باعتبارها تأكيداً لوجود الانساق المتكاملة، وللتطور والاستاتيكا، وأنها ظهرت رد فعل لحاجات المجتمع المعاصر، وهى نظرية صاغها بعض المفكرين المؤمنين بالاستقرار، والذين طبقوا الفكر الاجتماعى الذى ساد أوربا فى القرن التاسع عشر فى بيئة يسودها النفعية والمصلحة العملية ونسق للقيم لا يؤمن بالمثالية ويؤكد على النفعية الواقعية، ويلخص لنا شكل رقم ٨٧ تفاصيل هذا النموذج كما صاغه منظروه، ويمكن أن يدرك أن النمط الطبيعى يمثل استجابة بعض الصفوة من المفكرين لحاجات الأنساق. وقد استخدم هؤلاء المفكرون المماثلة الاحيائية والسيبرنطيقا مما أدى إلى ظهور مدخل طبيعى عضوى لتفسير المجتمع. وقد إستجاب اتزيونى وتير ياكيان من جهة أخرى للمشكلات نفسها. ولكن من منظور يؤمن أكثر بالتفسير الإرادى وفلسفة الظاهراتية مما أدى إلى صياغة مدخل يؤمن أكثر بالمعيارية ويعتمد على الأنساق الشمولية المتكاملة مقتدياً فى ذلك بدوركيم وتوينز، ويعبر عن رد فعل حاجات المجتمع المعاصر فى ضوء تأكيد أكثر بالأنساق المتكاملة والإيمان بالتطور والاستاتيكا وقد صاغ هذا المدخل مجموعة من المفكرين المؤمنين بالاستقرار النين طبقوا المماثلة العضوية.

شكل رقم ٨٧

ملخص لنموذج البنائية الوظيفية

النمط	التنظيم الطبيعي		التفسير المهتم بالمعايير	
المنظر	بارسونز	بكلى	اتزيونى	تيرياكيان
النشأة	له جذور اوربية كما تعلم تعليماً دينياً درس علم الاحياء وألم بنظريات فيبر	نشأ نشأة أبناء الصفوة	نشأ نشأة أبناء الصفوة	نشأ نشأة أبناء الصفوة
الأغراض	صياغة نظرية عامة عن المجتمع	تطبيق نظرية الأنساق الحديثة على المجتمع	صياغة علم الاجتماع الوحدات الكبيرة	صياغة نظرية ظاهراتية عن النظام الاجتماعى
الافتراضات	وجود النسق الاجتماعى	المجتمع نسق للمعلومات	تتكون الأنساق الاجتماعية من الضبط والقدرات السيبرنطيقية	البناء مجموعة ظواهر
المنهج	الاستدلال التاريخى	تطبيق السيبرنطيقا	تطبيق مدخل أرادى سيبرنطيقى على المجتمع	تطبيق النزعة الظاهراتية على المجتمع
النمط	مراحل التطور	أنساق نموذج المجتمع	أنماط المجتمعات	نموذج المجتمع
القضايا	تطبيق المماثلة الاحيائية	تطبيق المماثلة بالسيبرنطيقا	تطبيق المدخل الارادى السيبرنطيقى	تطبيق الفلسفة الظاهراتية

٩- وينظر إلى نظرية الصراع المعاصرة من جهة أخرى باعتبارها رد فعل إزاء اشكال الصراع والهيمنة فى المجتمع المعاصر يرتكز على الأنساق والتطور، ويؤمن بالتطرف. وقد ظهرت هذه النظرية عند بعض المفكرين المتأثرين بالأفكار الاوربية الثورية فى بيئات يسودها الصراع والاستغلال. كما أن التواصل بين نموذج الصراع فى بدايته والنموذج المعاصر للصراع واضح، ويتمثل ذلك التواصل فى التوسع فى الفكر الماركسى وتطبيق هذا الفكر على مجتمعات أخرى. ويلخص لنا شكل ٨٨ المدخل المهتم بالمعايير والتكامل فى دراسة الصراع كما تتضح فى أعمال دارندورف وميلز ومن الواضح أن اعمالهما تعبر عن رد فعل إزاء الصراع والهيمنة مرتكزاً على تعاليم ماركس، أى تعاليم مثالية عصر التنوير، وقد إتخذ كوزر وريزمان اتجاهاً آخر يؤكد أكثر

على المدخل الوظيفى والتفسيرات السكانية مرتكزان فى ذلك إلى حد كبير على تعاليم المدرسة الطبيعية.

شكل رقم ٨٨
ملخص لنموذج الصراع الحديث

النمط المنظر	التفسير المهتم بالمعايير		التفسير الطبيعى	
	دارندورف	ميلز	كوزر	ريزمان
النشــأة	تعلم تعليماً أوربياً نشأ نشأة أوربية	ألم بالفكر الاوربى وتعاون مع جيرث	معرفة زيمل ونظرية علم الاجتماع	تعلم أنواعاً مختلفة من التعليم وأحترف مهناً مختلفة
الأغـراض	نظرية عامة عن الصراع الطبقى والتغير الاجتماعى	تطبيق المخيله الاجتماعية على تحليل المجتمع	تحليل الوظائف الاجتماعية للصراع	تحليل التغير فى الشخصية الاجتماعية
الافتراضات	نظرية المجتمع فى القهر	يقود التصنيع والعقلانية إلى الهيمنة والاغتراب	الصراع قد يؤدى وظيفة	اساس الصراع والتوافق هو توزيعات السكان
المنهج	تطبيق اراء ماركس وفيبر	تطبيق مهارة الحرفى القديم	تطبيق منهج زيمل	تطبيق نظريات التوزيعات السكانية والنظرية الاقتصادية
النمط	نموذج الصراع الطبقى	أنماط البناء الاجتماعى	أنماط البناء الاجتماعى	أنماط التوافق الاجتماعى
القضايا	التركيب والتوفيق بين ماركس وفيبر	أنماط البناء الاجتماعى المدخل الذاتى	أنماط البناء الاجتماعى العلاقة بين البناء والوظيفية	تطبيق العوامل السكانية

وهكذا يمكن أن ينظر إلى النظرية المعاصرة فى الصراع باعتبارها تعبر عن رد فعل بعض المفكرين الذين تأثروا بالاتجاهات الاوربية لمظاهر الصراع والهيمنة فى المجتمع المعاصر والذين طبقوا أشكال التفسير المرتكزة على الأنساق المتكاملة والعوامل الطبيعية وهى أشكال متأصلة فى النظرية التقليدية للصراع.

شكل رقم ٨٩
ملخص نموذج النزعة الاجتماعية النفسية

النمط	التفسير المهتم بالمعايير		التفسير الطبيعى	
المنظر	بلومر	جوفمان	بلاو	جار فنكل
النشـــأة	درس ميد وأفكـار مدرسة شيكاغو	تربـى فـى مدرسـة شيكاغو	تعلم فى جامعة كولومبيا وعمـل فـى جامعـة شيكاغو	تعلم فى هارفارد وكـان تلميذاً لبارسونز
الأغـراض	التفاعلية الرمزيـة وفهـم التفـاعل الإنسانى	تحليـل التفـاعل الاجتماعى	تحليـل الوحـدات الصغـيرة أسـاس الروابط الاجتماعية	تحليـل الخصـائص العقلية للحياة اليومية
الافتراضـات	الفعـل دينـاميكى ويمكن تفسيره	المواءمة بين المعلومات الاجتماعيـة والسـيطرة على الانطباعات	التبـادل الاجتمـاعى أساس روابط المجتمع والبناء الاجتماعى	العملية العقلانية أساس التنظيم الاجتماعى
المنهـج	تطبيق أفكار ميد	المماثلـة بالدرامـا المسرحية	تطبيق نظرية التبادل	تطبيق أفكار شوتز
النمـط	نمـوذج الحقيقـة الاجتماعية	نمـوذج التمثيـل المسرحى	نموذج تبادل الأفعال	نموذج العقلانية
القضايـــا	افتقاد النظرية	افتقاد النظرية	مشكلة تحليل الوحدات إلى عناصرها	مشكلة تحليل الوحدات إلى عناصرها

يمكن أن ينظر إلى النظرية الاجتماعية النفسية بأنها رد فعل لتحليل المجتمع المعاصر. ويهتم هذا التحليل بالوحدة الاجتماعية الصغيرة، وخاصة تفاعلات الأفراد والفردية، ويهتم بالمشاعر الداخلية الذاتية والرمزية والاستقرار والديناميكا. وقد تبنى هذا المدخل مجموعة من المفكرين عرفوا فكر ميد وتعاليم ومبادئ مدرسة شيكاغو. وقد ظهرت هذه النظرية فـى بيئـة ثقافيـة يسـودها النفعيـة والمصلحـة العمليـة والبيروقراطية. إن التواصل والاستمرارية بين أفكار النزعة السلوكية الاجتماعية وأفكار المدرسة الاجتماعية النفسية واضح وظـاهر فـى التوسع فـى تطبيق وتفسير النماذج الأوربية القديمة التى تهتم بالوحدات الاجتماعية الصغيرة الحجم. ويكشف لنا شكل رقم ٨٩ كيف أن نمط النسق كما عبر عنه بلومر وجوفمان يمثل محاولة للتوسع فى تطبيق وتفسير نموذج ميد وأفكار مدرسة شيكاغو وكانت تلك المحاولة استجابة لتعقد وديناميكية التفاعل الاجتماعى.

ولقد تبنى بلاو وجارفينكل بتأثير انتمائهما إلى جامعتى هارفارد وكولومبيا مدخلاً طبيعياً فى التفسير يهتم بالظواهر الدافعة لدى الأفراد باعتبارها أساس تفسير التفاعل الاجتماعى الذى يؤدى إلى اطارات عمل تشبه فى الشكل النزعة البنائية الوظيفية. بيد أن هذا النمط من النموذج ككل يمكن أن ينظر إليه باعتباره استجابة من مجموعة من المفكرين ألموا بالسلوكية الاجتماعية وعرفوا مبدأ الدينامية والتفاعل الاجتماعى وتعقده، مما أدى إلى ظهور فرع من النظرية الاجتماعية يهتم بالوحدات الصغيرة والفردية ويتجه إلى اعماق الأنساق فى الداخل ويؤكد على الرمزية والاستقراء والدينامية.

الخاتمة: نحو مثال للتنظير فى علم الاجتماع المعاصر:

ولتأكيد المدخل إلى النظرية مرة أخرى. تعبر نظرية علم الاجتماع عن رد فعل جماعة خاصة من المفكرين إزاء المشكلات الخاصة فى المجتمع من منظور مذاهب فلسفية خاصة، مما أدى إلى صياغة تصورات شمولية عن المجتمع تتباين فى المستوى (الوحدات الاجتماعية الكبيرة الحجم مقابل الوحدات الاجتماعية الصغيرة الحجم) ونمط التفسير (نمط التفسير الطبيعى مقابل نمط التفسير المهتم بالمعايير). وفى حالة النظرية المعاصرة يتضمن هذا النموذج عدداً من العناصر المميزة: نشأة المنظر (وخاصة تربيته الأساسية) ورؤيته الفلسفية (المثالية أو النفعية أو الطبيعية) والمشكلات المجتمعية الظاهرة فى تلك الفترة (الهيمنة السياسية والاقتصادية أو تأثيرات التصنيع). وكانت تلك النماذج الاجتماعية التى ترتبت على ذلك هى (البنائية الوظيفية أو الصراع أو الدراسات الاجتماعية النفسية).

ويفترض مرة ثانية بعبارة أعم أن نموذج التنظير يعمل على النحو الآتى: تتفاعل التنشئة التعليمية والرؤية الفلسفية مع مشكلات المجتمع السائدة، مما ينجم عنه نموذج يؤمن بتكامل الأنساق عن المجتمع يختلف حسب المستوى ونمط التفسير. وقد لخصت عناصر هذا النموذج كما طبقت فى النظرية المعاصرة فى شكل رقم ٩٠. ويبين لنا هذا الشكل أن البنائية الوظيفية أساساً تعبر عن رد فعل مجموعة من الصفوة الذين إطلعوا على المماثلة العضوية والمماثلة السيبرنطيقية، رد فعل

للمشكلات السياسية والاقتصادية فى ضوء تعاليم المثالية الالمانية والنزعة الطبيعية. كما أن نظرية الصراع تعكس تفاعل هؤلاء الذين أطلعوا على الفكر الاوربى مع مظاهر الصراع السياسى والاقتصادى والهيمنة فى ضوء التعاليم الاوربية للمدرستين المثالية والطبيعية. كما يمكن أن ينظر إلى النظرية الاجتماعية النفسية باعتبارها رد فعل مجموعة من الصفوة وهؤلاء الذين عرفوا تعاليم مدرسة شيكاغو ودرسوا أراء جورج ميد وعايشوا تأثيرات الصناعة من منظور المثالية الاوربية والنزعة الطبيعية والنفعية الامريكية بالمثل.

شكل رقم ٩٠

ملخص لنموذج النظرية الاجتماعية العلمية المعاصرة

النموذج	الجذور العامة	الفلسفة	المشكلات الاجتماعية	التفسير
البنائية الوظيفية	علم الاحياء السيبرنطيقا. تعاليم الصفوة	النزعة الطبيعية النزعة المثالية	سياسية واقتصادية سياسية واقتصادية	التفسير الطبيعى التأكيد على المعايير والتكامل
الصراع الحديث	الجذور الاوربية المتباينة وتنشئة الصفوة	المثالية النزعة الطبيعية	سياسية واقتصادية سياسية واقتصادية	نسق المعايير النزعة الطبيعية
الاجتماعى النفسى	مدرسة شيكاغو أفكار ميد. تنشئة الصفوة	المثالية النزعة الطبيعية	التصنيع والتحضر	نسق المعايير

وعلاوة على ذلك. فقد وضحت الصلة بين النزعة الطبيعية الاوربية ونموذج علم الاجتماع الطبيعى، كما نوضح الارتباط بين المثالية الاوربية والنفعية الامريكية وانماط علم الاجتماع فى التفسير.

ورغم أننا فى هذا التوضيح صغنا نموذجاً عاماً وبسيطاً فإنه يلقى الضوء على الكيفية التى تمثل بها النظرية المعاصرة رد الفعل الشمولى والمنهجى لمجموعة خاصة من المفكرين إزاء مشكلات المجتمع الظاهرة الواضحة والتطورات التى تحدث فى تلك الفترة.

الخاتمة

الجزء الرابع

الفصل الخامس عشر

الخصائص الأساسية فى النظرية الاجتماعية

الموضوعات الأساسية:

- المشكلات الأساسية
- النظرية الاجتماعية العلمية عامة
- بعض النتائج

سنحاول فى هذا الجزء الأخير من المناقشة أن نكمل تحليلنا للنظرية الاجتماعية بتلخيص المشكلات الأساسية فى التنظير الاجتماعى، واستخلاص نتائج رئيسية تتعلق بالخصائص الأساسية، وحاجات هذا النمط من النظرية.

المشكلات الرئيسية:

قد ذكرنا أربعة أسئلة رئيسية فى الفصل الأول تعد محورية فى تحليلنا: وهذه الأسئلة هى:

ما النظرية؟

ما المقصود بالنظرية الاجتماعية؟

ما المقصود بالنظرية الاجتماعية التقليدية؟

ما المقصود بالنظرية الاجتماعية المعاصرة؟

وسنحاول أن نلخص إجابتنا على هذه الأسئلة قبل استخلاص بعض النتائج العامة.

ما النظرية:

لقد عرفنا التنظير بأنه العملية التى بها يفسر الأفراد بيئاتهم الطبيعية والاجتماعية فى سياق وضع اجتماعى محدد ورأينا النظرية المنطقية بشكل خاص تتكون من مجموعة من القضايا المجردة والمنطقية التى تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر. وتتكون هذه المجموعة من ثمانية عناصر بنائية: ١- النموذج، ٢- مجموعة من التصورات ٣- علاقات منطقية بين المفهومات ٤- مجموعة من المتغيرات والمؤشرات الاجرائية ٥- تصميم منهج لاختبار العلاقات المتنبأ بها ٦- تحليل البيانات ٧- تفسير البيانات ٨- تقييم النظرية فى ضوء العناصر السابقة كلها.

وعلاوة على ذلك فلقد فرقنا بين النظريات التى تهتم بالناحية المنطقية الشكلية والتفسير والمنهج العلمى والاستدلال والموضوعية والنظريات التى تهتم بالمضمون والوصف والإيديولوجية والاستقرار والحدس. وأخيراً حاولنا أن نبين كيف تتأثر النظرية بالبيئة الاجتماعية والمناخ الفكرى والنشأة المعيشية والتعليمية للمنظر وفى النهاية، فالنظرية هى تعريف خاص للحقيقة الاجتماعية والفيزيقية فى بناء معين يظهر فى محيط معين خاصة.

ثانياً: المقصود بالنظرية الاجتماعية:

وبعد تطبيق المدخل السابق على علم الاجتماع. عرفنا نظرية علم الاجتماع باعتبارها مجموعة من النماذج تهتم بالمجتمع والظواهر الاجتماعية بالرجوع إلى ما يمثله كل منها من واقع مميز في المجتمع، واستخدمت النماذج لتفسير البناء الاجتماعي للمجتمع والعمليات الاجتماعية الداخلية ولقد تقدمنا خطوة لمناقشة متصل من الأراء حول النظرية ابتداء من تلك النظريات التي لا تهتم بالشكل المنطقي وتركز على الجانب الفني في النظرية وانتهاء بالنظريات التي تهتم بالشكل المنطقي والطابع العلمي للنظرية، وعلاوة على ذلك. صغنا ووصفنا ثلاثة نماذج كبرى للحقيقة الاجتماعية كما تعالجها النظرية الاجتماعية. والنماذج الثلاثة هي النظرية العضوية وتطورها إلى النظرية الوظيفية ونظرية الصراع وتطورها إلى الراديكالية ثم النظرية السلوكية الاجتماعية وتطورها بعد ذلك إلى النظرية الاجتماعية النفسية. ولقد رأينا هذه النماذج استجابة للتغيرات السياسية والاقتصادية في اوربا والولايات المتحدة الامريكية ويكشف التطور التاريخي لهذه النماذج عن حركة نحو الاهتمام بالطابع العلمي للبحث والتركيز على الوحدات الصغيرة والجانب الاجتماعي لها تغاير في ذلك الاشكال القديمة من التفسير التي تتصف بالطابع الفلسفي والاهتمام بالوحدات الكبيرة والنزعات الطبيعية. وأخيراً حاولنا بيان كيف أن النظرية الاجتماعية تمثل رد فعل مجموعة خاصة من الاكاديميين لحاجات المجتمع كما يدركونها متأثرين في ذلك بمجموعة خاصة من القيم الفكرية والتجارب العلمية، ومن ثم فالنظرية الاجتماعية رد فعل ديناميكي موقفي يستند على منهج للحياة لادراك حاجات ومطالب المجتمع.

ما المقصود بالنظرية الاجتماعية التقليدية:

لقد وصفنا ثلاثة نماذج أساسية في النظرية الاجتماعية التقليدية هي: العضوية والصراع والسلوكية الاجتماعية، ويمثل النموذج الأول رد فعل مجموعة من المفكرين الاكاديميين أبناء الطبقة العليا، للمشكلات السياسية والاقتصادية في أيامهم. في ضوء تعاليم عصر التنوير. وتصور هؤلاء المفكرون المجتمع نسقاً عضوياً متطوراً يتكون من المعايير والأنساق الفرعية، وهو نسق يتفاعل وفق القوانين الطبيعية والغرائز ونظام تقسيم العمل في المجتمع.

وعلى النقيض من ذلك يمثل نموذج الصراع رد فعل مجموعة من أفراد الطبقة الفقيرة لمظاهر القهر السياسى والصراع والتطور الاقتصادى، وتأثر رد الفعل هذا بفلسفة عصر التنوير والنفعية الامريكية. ونجم عن هذا التفاعل مع أحداث المجتمع مدخل مادى يهتم بالبيئة ويفسر المجتمع كنسق يتكون من جماعات متنافسة.

وعرفنا السلوكية الاجتماعية باعتبارها رد فعل مجموعة من المفكرين من أبناء الطبقة الوسطى لمشكلات التصنيع والتحضر، وقد تأثر رد الفعل هذا بروح الداروينية والمثالية الالمانية والنفعية الامريكية وأدى هذا التفاعل إلى تصور المجتمع على مستوى وحداته الصغيرة وتتكون كل وحدة من عدد صغير من الافراد، باعتباره نسقاً معيارياً من القيم والروابط والتنشئة الاجتماعية يقوم على أساس النمو السكانى للمجتمع والغرائز الإنسانية. وبهذه الكيفية تمثل النظرية الاجتماعية التقليدية رد فعل شمولى للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من جانب مجموعة من المفكرين فى عصرهم. وتتباين ردود الافعال هذه حسب تباين محور اهتمامهم والمضمون الايديولوجى مما أدى إلى ظهور مجموعة من النماذج تهتم بالمجتمع والظواهر الاجتماعية بالرجوع إلى ما يمثلونه من واقع مميز فى المجتمع.

المقصود بالنظرية الاجتماعية المعاصرة:

إنتهينا إلى أن التنظير فى علم الاجتماع الامريكى المعاصر يمثل تطبيقاً للأفكار الفلسفية الاوربية لعصر التنوير على المشكلات المتغيرة فى مجتمع تسوده المادية والمصلحة العمليه والنفعية أفسحت فيه المثالية الطريق للتجريب والنزعة النفعية. وحددنا نماذجها الثلاثة الأساسية - وهى البنائية الوظيفية والصراع الحديث والاجتماعية النفسية. ورأينا أن النموذج الأول رد فعل منهجى شمولى يؤمن بالتطور وتوازن حاجات المجتمع المعاصر. وقد تطورت هذه الرؤية بفضل مجموعة من المفكرين آمنوا بالاستقرار وطبقو الفكر الاجتماعى العلمى الاوربى الذى ساد فى القرن التاسع عشر فى بيئة يسودها نسق قيم النفعية والبعد عن المثالية.

ورأينا أن مدرسة الصراع الحديث من جهة أخرى باعتبارها رد فعل منهجى يؤمن بالتطور والتطرف للاشكال المعاصرة للصراع والهيمنة. وقد ظهرت هذه الرؤية ونمت عند مجموعة من المفكرين المتأثرين بالاتجاهات الاوربية فى بيئة يسودها الاستغلال واستحوذ عليها الصراع. ورأينا أن النظرية الاجتماعية النفسية رد فعل للاهتمامات بالوحدات الصغيرة والايمان بالفردية والاهتمام بالإنسان من الداخل والرمزية والاستقراء والديناميكية عند تحليل المجتمع المعاصر. وقد نمت هذه الرؤية فى بيئة يسودها الثقافة النفعية والبيروقراطية. وقد تبنى هذا المدخل مجموعة من المفكرين عرفوا أفكار ميد ومدرسة شيكاغو.

ومن ثم فالنظرية المعاصرة تنزع إلى مواصلة التعمق فى تفسير النماذج التقليدية فى بيئة تتميز بثقافة بلغت أقصى مستوى من التصنيع والنفعية.

وبعد أن لخصنا إجابتنا على هذه المسائل الكبرى فى النماذج الثلاثة الأساسية نتحول الآن لنستخلص بعض النتائج الأساسية فيما يتعلق بالنظرية الاجتماعية على وجه العموم.

النظرية الاجتماعية العلمية فى مجموعها

بعض النتائج:

سنحاول فى هذه الملاحظات الأخيرة أن نؤكد على بعض المعانى الأساسية المتضمنة فى هذه الدراسات عن النظرية الاجتماعية فيما يتعلق بتعريفها ونماذجها الأساسية وخصائصها وتطورها فى المستقبل.

تعريف النظرية الاجتماعية:

ينظر إلى النظرية الاجتماعية أساساً بأنها تضم مجموعة من النماذج (أى أشكال أو تعريفات الحقيقة) تختص بالمجتمع والظواهر الاجتماعية بالرجوع إلى ما تمثله من واقع مميز فى المجتمع.

وقد تأثرت النظرية الاجتماعية فى بدايتها بالنزعة الطبيعية والنزعة المثالية اللتين سادتا فى عصر التنوير، ثم تطورت متأثرة بالنزعة النفعية فى

المجتمع الامريكى. ومن ثم فالنظرية الاجتماعية العلمية تعد رد فعل شمولى منهجى لحاجات ومشكلات المجتمع المدركة. وقد صاغ النظرية الاجتماعية مجموعة من المفكرين تأثروا بمواقف اجتماعية معينة وتبعاً لذلك فالنظرية الاجتماعية ديناميكية وشمولية ومنهجية تعبر عن التفاعل الاجتماعى بين المنظر وبيئته. بيد أنه رغم التباين فى محتوى كل نموذج وتطوره فجميع النماذج تعكس الإيمان بضرورة دراسة المجتمع وتفسيره كنسق اجتماعى من أجل أغراض معينة تحت تأثير تعاليم عصر التنوير وفى ضوئها.

وبإيجاز فالنظرية الاجتماعية تمثل تطور نموذج منهجى شمولى محكم عن الحقيقة الاجتماعية والتوسع فى تفسير هذا النموذج فى ضوء تعاليم عصر التنوير، استجابة لمشكلات المجتمع المدركة، وقد حدث التوسع فى تفسير هذه النماذج وتحديد معالمها فى ضوء الثقافة الامريكية النفعية.

شكل رقم ٩١

ملخص النماذج الاساسية فى النظرية الاجتماعية

النموذج	العضوية/ البنائية الوظيفية	الصراع/ الراديكالية	السلوكية الاجتماعية/ النظرية الاجتماعية النفسية
الجـذور	نشأوا فى أحضان الصفوة، تعلموا مبادئ عصر التنوير، وتعلموا علم الأحياء والفيزياء	تعلموا تعليماً اوربيا، ومثالية عصر التنوير	تعلموا فى ضوء مبادئ النفعية والمثالية
الأغـراض	صياغة نظرية عامة عن المجتمع لزيادة التخطيط والضبط	فهم الهيمنة والصراع لبلوغ الحد الأقصى من التفسير	فهم الفعل الاجتماعى ليتسنى فهم المجتمع
الافتراضـات	تطبيق المماثلة العضوية على المجتمع	المجتمع نسق من العناصر والجماعات المتنافسة	المجتمع يوجد على مستوى الوحدات الصغيرة فى شكل المعايير والقيم والتبادل الاجتماعى
المنهـج	الوضعية والاستدلال التاريخى	المادية الجدلية والاستقراء التاريخى	التفسير والاستبطان
النمـط	أنماط المجتمع وتطور المجتمع	أنماط من البناء الاجتماعى ومراحل التطور والصراع الاجتماعى	أنماط من وحدات بنائية صغيرة الحجم
القضايـا	النزعة التحليلية للمجتمع الكبير ليتسنى فهمه	النزعة التحليلية للمجتمع	النزعة التحليلية للوحدات الصغيرة

النماذج الكبرى فى النظرية الاجتماعية

١- عرفنا النماذج الكبرى الثلاثة باعتبارها أساس النظرية الاجتماعية وهى - نموذج العضوية الذى تحول إلى البنائية الوظيفية - والصراع الذى تحول إلى الراديكالية - والسلوكية الاجتماعية التى تطورت إلى النزعة الاجتماعية النفسية.

ما الخصائص العامة لهذه النماذج ككل؟

ثمة محاولة تلخص هذه الخصائص فى شكل رقم ٩١، ورغم أن هذا النمط معقد ومضغوط فهو يتضمن مجموعة متباينة كبيرة من المعلومات وعدداً من الاتجاهات العامة الاساسية.

١- يبدو أن النموذج العضوى - البنائى الوظيفى يمثل محاولة الصفوة من المفكرين تطبيق المماثلة العضوية على المجتمع سعياً وراء صياغة نظريات عامة عن المجتمع تهدف إلى التعمق فى فهم المجتمع والسيطرة عليه. ويتضمن المنهج الأساسى الاستدلال التاريخى، وتعريف أنماط المجتمعات. وكانت القضية الأساسية التى أثاروها هى مسألة تحليل المجتمع الكبير الحجم إلى عناصره المكونة له.

٢- نشأ نموذج الصراع والراديكالية من تطبيق مثالية عصر التنوير لفهم الصراع الاجتماعى والتغير بغية بلوغ الحد الأقصى من التغير الاجتماعى الايجابى والمتطرف. وكان منهج أنصار هذا النموذج الاستقراء التاريخى، وتعريف مراحل الصراع وأنماط المجتمعات، وتثير تلك النظريات مشكلة الحتمية على مستوى المجتمع الكبير الحجم وتحليله إلى عناصره.

٣- وظهرت السلوكية الاجتماعية ثم الاجتماعية النفسية نتيجة تطبيق المبادئ المثالية والنفعية لفهم الفعل الاجتماعى والتفاعل الاجتماعى فهى تنظر إلى المجتمع كنسق صغير الحجم يتكون من عدد قليل من الأفراد ويستند على المعايير والقيم والتفسيرات الاجتماعية. وتعتمد السلوكية الاجتماعية على الفهم التفسيرى كمنهج. وصاغت تلك النظريات أنماطاً صغيرة الحجم عن الفعل الاجتماعى. كما تثير مسألة تحليل الوحدات الصغيرة إلى عناصرها.

ويمكننا النظر إلى هذه النماذج ككل بوجه عام من تلخيص النظرية الاجتماعية بأنها رد فعل مجموعة من المفكرين أصحاب النفوذ نتيجة التأثر بالمشكلات الاجتماعية المحيطة بهم، فى ضوء تأثرهم بتعاليم عصر التنوير والنزعة الطبيعية والمثالية والنفعية التى سادت فى عصرهم مما أدى بهم إلى صياغة نظريات عامة عن المجتمع (نظريات تؤمن بالتفسير الطبيعى للمجتمع مقابل النظريات التى تؤمن بالمعايير الاجتماعية – والنظريات التى تفسر المجتمع على المستوى الكبير الحجم مقابل النظريات التى تفسر المجتمع على المستوى الصغير الحجم). وقد استخدم أصحاب هذه النماذج الاستدلال التاريخى والاستقراء التاريخى وتطبيق نماذج طبيعية ومثالية ونفعية لتفسير المجتمع. وقاموا بتحديد أنماط المجتمع أو أنماط البناء الاجتماعى. كما بدت مسائل تحليل الوحدات إلى العناصر الأساسية فى هذه النماذج اثناء التطبيق مسألة لا مفر منها، ومن ثم تنزع النظرية الاجتماعية إلى أن تكون تعبيراً عن فكر الصفوة، ورؤية المجتمع كنسق كلى والمماثلة والأبعاد التاريخية، والنزعة إلى التحليل.

الخصائص الاساسية للنظرية الاجتماعية العلمية:

لقد حددنا بعض هذه الخصائص من قبل، على أننا نهتم على وجه الخصوص بخصائص الافتراضات الاساسية التى صاغتها نظرية علم الاجتماع. ويمكن أن ينظر إلى تلك النماذج باعتبار أن النظرية الاجتماعية نموذجاً عاماً ينزع إلى:

١- الايمان بالنسق. بمعنى أنها تدرك المجتمع والظواهر الاجتماعية باعتبارها أنساقاً (كليات متكاملة) سواء على مستوى الوحدات الصغيرة أو مستوى الوحدة الكبيرة.

٢- أنها ذات نزعة إلى تحقيق التوازن. وينظر إلى المجتمع سواء فى حالة التوازن أو التحرك خلال عدد من مراحل التطور فيها. يتحرك النسق ثم يحقق التوازن لعله يبلغه ثم يتحرك بعيداً عن التوازن، ثم يعود ليحققه باعتباره عملية للديناميكيا الاجتماعية.

٣- الوظيفية : تعرف المجتمع وظواهره الاجتماعية باعتبارها وظيفة لعدد من العوامل الكامنة الأساسية. مثال ذلك مشكلات الأنساق والحاجات الاولية والرواسب والسمات والضغوط السكانية.

٤- التطورية: لا ينظر إلى المجتمع فى حالة ثبات، بل هو متغير وديناميكى ويتطور من مرحلة تطور اقتصادى معين إلى مرحلة تالية خاصة التطور من مرحلة ما قبل التصنيع إلى مرحلة الرأسمالية والصناعة.

٥- النزعة الطبيعية أو النسقية: تقوم تفسيرات هذه النزعة على الظواهر الطبيعية (خصائص الطبيعة الانسانية) أو خصائص الأنساق الاجتماعية، وحاولنا أن نرى الشكل الأول فى النزعة الطبيعية التى سادت عصر التنوير والنمط الآخر فى ضوء مثالية عصر التنوير.

٦- ذات اتجاهات نحو البناء والعملية: ينظر إلى الظواهر الاجتماعية باعتبارها تنقسم إلى فرعين: الأول داخل البناء الاجتماعى، الفرع الأخر العملية الاجتماعية خاصة فى الأنماط الاجتماعية للمجتمع.

٧- تاريخية: يعد الإستقراء التاريخى والاستدلال التاريخى من المناهج الأساسية لكونهما يتقصيان التطور التاريخى ويطبقان افتراضات شمولية النظرة على مستوى تحليل الوحدات الصغيرة.

٨- النزعة المحافظة: فى تأكيد النظرية الاجتماعية على الخصائص الاجتماعية وخصائص النسق، وخاصة الاتجاه نحو اولويات التخطيط والضبط المتأصلين فى النموذجين العضوى والبنائى الوظيفى فإنها تميل إلى أن تكون نظريات ذات اتجاه محافظ من خلال تأكيدها على مطالب المجتمع بدلا من حاجات الأفراد باعتبارها الأسس الملحة التى قامت عليها النماذج التى صاغتها عن الإنسانية والمجتمع. وهذا اتجاه دعم مرة أخرى فى المجتمع الأمريكى وتمثل النزعة المحافظة تأكيداً مسيطراً فى تطور واستمرار النظرية الاجتماعية. ولكن ذلك ليس هو القاعدة دائماً

٩- النزعة اليوتوبية: تنزع النظرية الاجتماعية فى ايديولوجيتها واتجاهاتها وتطورها إلى أن تكون ذات طبيعة يوتوبية، أى أنها تسقط نوعاً من اليوتوبية الاجتماعية (الوضعية والنزعة الاشتراكية والتحديث) باعتبارها مرغوبة ونهاية

التطور الاجتماعى. وينزع الكثير من أشكال اليوتوبية إلى التبسيط فى الشكل مؤيدة لمبدأ اخضاع الفرد للسلطة، بيد أنها تمثل المشروع المنطقى لأساس النظرية فى عقلية المنظر على الأقل.

١٠- تعتمد على المماثلة: وكما رأينا فإن كثيراً من النظريات الاجتماعية العلمية تتكون من تطبيق نماذج من خارج علم الاجتماع (علم الاحياء والسيبرنطيقا والفلسفة وعلم السكان) عند تحليل المجتمع.

وهكذا فأساس النموذج محدود بتصور المفكر تبعاً لصياغة النظرية الاجتماعية من خلال رد فعل لمشكلات المجتمع من وجهة نظر منظورات فلسفية أخرى.

وملخص ذلك مرة أخرى: تنزع النظرية الاجتماعية العلمية إلى أن تعبر عن تطبيق محافظ لنماذج أنساق من خارج علم الاجتماع على مشكلات المجتمع. مستخدمة فى ذلك الاستقراء التاريخى والاستدلال التاريخى.

تطور النظرية الاجتماعية العلمية:

لقد حاولنا إثبات مدى تأثر علم الاجتماع بفلسفة عصر التنوير وخاصة النزعة الطبيعية والنزعة المثالية. وعلاوة على ذلك، صورنا علم الاجتماع الامريكى باعتباره تطبيقاً وتطويراً للنماذج الاوربية فى بيئة تسودها ثقافة مادية ونفعية، ولاحظنا أنه بمجرد أن حدث هذا التطور حتى تحررت النظرية الاجتماعية من النظريات الفلسفية والوصفية والشمولية على المستوى الكبير الحجم والتأثر بالأيديولوجيا، وصارت نظرية تعتمد أكثر على المنهج العلمى والتفسير وتهتم بالوحدة الصغيرة والموضوعية. وذلك كله رد فعل للمعايير الفكرية المتغيرة فى المجتمع وإلى حد كبير يمكن أن ينظر إلى تطور النظرية الاجتماعية باعتبارها تطبيقاً منهجياً لفلسفة عصر التنوير، وخاصة تطبيق النزعة الطبيعية والفلسفة المثالية - على مشكلات المجتمع فى شكل اجتماعى علمى، وعلاوة على ذلك إزدادت النظرية الاجتماعية إحكاماً ودقة فى بيئة تسودها الثقافة العلمية وتتطور من الفلسفة والوصف والاهتمام بالمجتمع الكبير إلى شكل يتجه إلى العملية والتفسير والوحدات الاجتماعية الصغيرة.

وملخص ذلك أن النظرية الاجتماعية العلمية تمثل تطوراً ودقة أكثر فى صياغة نموذج منهجى للحقيقة الاجتماعية فى ضوء تعاليم عصر التنوير استجابة لمشكلات المجتمع المدركة، وازدادت صياغة هذا النموذج دقة واحكاماً فى الثقافة الامريكية النفعية، وأصبحت النظرية تميل إلى رؤية منهجية تكاملية ذات توجه نحو التوازن والوظيفية والتطور والتفسير الطبيعى والشمولية أو التوجه نحو البناء والعمليات والتاريخية والنزعات المحافظة واليوتوبية والمماثلة. وأخيراً تطورت النظرية من الاهتمام بدراسة المجتمع الكبير والارتباط بالفلسفة والاهتمام بالوصف إلى دراسة الوحدات الاجتماعية الصغيرة والاهتمام بالتفسير والنزعة العلمية.

وبعد ذلك علينا أن نتحول إلى انواع متطلبات صياغة النظرية الاجتماعية والتى تتضمنها هذه النتائج.

متطلبات صياغة النظرية الاجتماعية:

من الواضح فى حوارنا السابق أن النظرية الاجتماعية كانت محدودة المجال فى كل من نشأتها وتطورها وايديولوجيتها وفكرها وشكلها وفى محتواها التاريخى. وهكذا إلى حد كبير فإنها تعبر عن رد الفعل المنهجى للفلسفة الغربية نحو مشكلات المجتمع وخاصة التأثيرات التى ترتبت على الصناعة، ويمكن أن ينتقد هذا النموذج بأنه يعكس نظرة الصفوة وأنه محافظ وتوجهه الجماعة، أو يعكس ما أسماه ماركيوز الفكر ذا البعد الواحد[1]: وهو اتجاه نحو تحقيق العقلانية التكنولوجيه - والجهود المكثفة لاحتواء تلك النزعة فى نظم مستقرة. ومن ثم تمثل النظرية الاجتماعية إلى حد كبير فرضاً يوتوبياً تكنولوجيا - عن الحقيقة الاجتماعية، ويترتب على ذلك أن الظواهر الكلية الاقتصادية والتكنولوجية هى المعايير الثابتة فى تطور النظرية، ونتيجة لذلك فإنها تنزع إلى أن تكون منهجية تكاملية ومادية توجهها الجماعة، بدلاً من التلقائية والنزعات الإنسانية واتجاهات الافراد (ومن ثم فى يوتوبية مادية تكنولوجية صاغها مجموعة من الصفوة اصحاب النفوذ وتطورت بتأثير بيئة ثقافية عملية)، ولكى نسهل حوارنا عن المطالب والبدائل يلخص لنا شكل ٩٢ الخصائص الكبرى والمطالب الاساسية للنظرية الاجتماعية.

---

(١) لمزيد من الايضاح عن مفهوم البعد الواحد، راجع بالعربية مقال د. فؤاد زكريا «هربرت ماركيوز» عالم الفكر الكويتية ١٩٧٢ المترجم.

شكل رقم ٩٢

الخصائص العامة والمطالب الاساسية للنظرية الاجتماعية

البعد	الخصائص	البدائل
النشأة	من الصفوة. تربوا تربية الصفوة التقليدية	الجماعية التعليم رحب الأفاق
الأغراض	عامة. الاتجاه نحو الضبط	التخصيص الاتجاه نحو التغير
الافتراضات	المماثلات المحدوده الثنائية: المستوى الكبير والصغير الشمولية.. التكاملية اتجاه نحو التوازن. الوظيفية. التطورية النزعة الطبيعية. نسق المعايير عملية البناء. التاريخية. المحافظة. اليوتوبيه. التمثيل	المماثلات الجمعية التركيب: حاجات – البناء الديناميكية الاستناد على الحاجات الاتجاه إلى التغير الاتجاه إلى الحاجات التركيب: تعريفات الحقيقة النزعة المستقبلية التطرف المجتمع المفتوح الاستناد إلى الحاجات
المنهج	الاستدلال التاريخي التجريبية والاستقراء التاريخي	الفكر النقدى الفكر الجدلى استقراء الحاجات
النمط	أنماط البناء الاجتماعي	العلاقات: حاجات إنسانية والبناء الاجتماعى
القضايا	البناء الكبير البناء الصغير ونزعة التحليل إلى العناصر الاساسية	العلاقات: الحاجات الانسانية والبناء الاجتماعى

النشأة:

الجذور الاجتماعية والتربويه والتعليمية للمنظرين هى بصفة عامة تمتد إلى الصفوة التقليدية، وعلى نقيض ذلك فثمة حاجة واضحة إلى تباين فى الأصول الاجتماعية والثقافية والمناهج الدراسية للمنظرين وقيمهم لتعميق وتوسيع مصادر النظرية الاجتماعية ومضمونها.

الأغراض:

أن أغراض النظريــة الاجتماعيـة ذات اتجاهـات عامـة وموجهـة تهتـم بـالضبط، وعلى نقيض ذلك، فالنظرية ينبغى أن تكون أكثر إهتماماً بالتغير وخاصة بـالرجوع إلـى حاجات الفرد.

الإفتراضـات:

لقد ناقشنا الافتراضات الاساسية للنظرية الاجتماعية، فهى أساساً ذات خصـائص شمولية وظيفية، وأساس هذه النظرية يكمن فى مماثلات أو نماذج محـددة للغايـة. وعلـى نقيض ذلك فالثابت أن النظرية الاجتماعية يمكن أن تقوم على تعدد النماذج، وتستند علـى حاجات الإنسان، ولإتجاه التغير، والرؤية المستقبلية، والمجتمع المفتوح.

المنهج:

يستند منهج النظرية الاجتماعية على النزعة الوضعية أو المنهج العلمى وهو منهج تجريبى أساساً (أى يعتمد على الملاحظة) وتاريخى وإستقرائى، والبدائـل التـى تقابل ذلك تتضمن مدخلاً نقدياً يسـتند علـى القيـم علـى نقيض التجريبيـة والتـأكيدات على التفسيرات الاستقرائية التى تستند على ما تحدده الحاجات الإنسانية.

النمـط:

وتبعاً لذلك فالأنماط الناجمة بدلاً مـن أن تكـون أنمـاط تحديـد للبنـاء الاجتمـاعى، ستركز على المعانى البنائية (أى أنماط اليوتوبيا) لأنساق القيم الخاصة (أى الافتراضـات التى تهتم بالحاجات الإنسانية).

القضايا:

القضايا الناجمة تتكون من العلاقات بين أنساق القيم الخاصة وأنماط الأنساق الاجتماعية التى تتضمن هذه القيم بدلاً من مشكلات التحليل إلى العناصر الاساسية.

وعلى العموم فإننا ندعو إلى مجموعة نماذج اجتماعية تقوم علـى الحاجـات الإنسـانية والنقد والديناميكيـة علـى أن يكـون أسـاس النمـاذج الاجتماعيـة مجموعــة

متباينة من أنساق القيم تعكس استجابة المفكرين من مختلف الطبقات لمدى واسع من الحاجات الإنسانية، وفي الحقيقة فهذه البدائل حاسمة في مستقبل تطور النظرية الاجتماعية عامة، وإذا لم تنمو هذه البدائل، فإن النظرية الاجتماعية ستستمر تخدم المصالح العامة الصفوة، وتعكس أنساق قيم محدودة ومحافظة، ومن ثم يتحرك علم الاجتماع نحو طريق مسدود فكرياً.

ومن ثم فنحن في أشد الحاجة إلى تنوع التنظير وتباين فئات المنظرين في المستقبل فيما يتعلق بشكل ومضمون علم الاجتماع إذا كان لعلم الاجتماع أن يقدم مساهمة حيوية لتطور المجتمع.